

المنها

مجلة علمية أدبية تهذيبية ملية أخبارية شهرية
(تصدر في كل شهر عربي مرة)

لمنشأها

السَّيِّدُ مُحَمَّدُ رَشِيدُ رَضَا

عنوانها (مصر - إدارة مجلة المنار) والثلغراف (المنار بمصر)

الجزء الأول



تاريخ الصحافة الإسلامية

تأليف

أبو الوفاء



0148390



Bibliotheca Alexandrina

أنوار الجندی

تاج الصحفا المستقلة

۱

المنار - محمد رشید رضا

۱۳۱۵ هـ - ۱۸۹۸ م

۱۳۵۲ هـ - ۱۹۳۵ م

توزیع
دار الانصار
۸۱ شارع البستان خاصية شارع الجمهورية
ہا پیرینے ۹۳۶۰۸۱

موسوعة

تاريخ الصحافة الإسلامية

(خلال القرن الرابع عشر الهجرى)

(١٣٠١ - ١٨٨٤) الى (١٤٠٠ - ١٩٨٠)

١ - مجلة المنار - رشيد رضا

٢ - مجلة الفتح - محب الدين الخطيب

٣ - صحف الاخوان - حسن البنا

٤ - مجلة الازهر (فريد وجدى - محب الدين الخطيب - الزيات)

٥ - الصحف الاسلامية (بعد الحرب الثانية الى نهاية القرن الرابع عشر)

(١٩٤٠ - ١٩٨٠)

تصدر تباعا باذن الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مدخل إلى تاريخ الصحافة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن دعا بدعوته الى يوم الدين . تباركت ربنا وتعاليت وحددا على فضلك وعطائك ان هديتنا الى هذا العمل النافع : تاريخ الصحافة الإسلامية منذ نشأتها الى اليوم ونسالك الهداية والتوفيق الى تمام الامر وحسن العرض وكمال الاداء .

المرحلة الأولى : حتى نهاية الحرب العالمية الأولى :

وبعد فالصحافة الإسلامية هي قطاع من الصحافة العربية التي عرفها العالم الإسلامي في العصر الحديث ، توصف بالإسلامية لتمييزها بدراسة شئون المسلمين وقضاياهم ، وقد صدرت الصحف في تركيا ومصر ولبنان في هذه الفترة المبكرة (يومية وأسبوعية وشهرية) وأبرز الصحف التي عرفت بالاهتمامات الإسلامية هي (ثمرات الفنون) التي عاشت فترة طويلة في لبنان (١٨٨٥ - ١٩٠٨) عبد القادر قباي (وهي تحتاج الى دراسة مستفيضة) .

أما في مصر فإن أبرز الصحف اليومية التي عنيت بقضايا المسالم الإسلامي فهي المؤيد (على يوسف) التي صدرت ١٨٨٩/١٢/١ ثم اللواء (مصطفى كمال) وصدرت ١٩٠٠/١/٢ وفي هذه الفترة صدرت مجلتان شهريتان إسلاميتان هما :

المسار (محمد رشيد رضا) ١٨٩٨

الحياة (محمد فريد وجدى) ١٨٩٩ .

ولم تلبث (الحياة) ان توقفت بينما استمرت (المسار) حتى توفي صاحبها ١٩٣٥ .

أما أبرز المجلات الشهرية الإسلامية فهي (العروة الوثقى) التي أصدرها الأفغاني ومحمد عبده في باريس ١٨٨٤ (ولم يصدر منها الا ١٦ عددا ثم توقفت) .

ويرى السيد رشيد رضا ان (المؤيد) هي الصحيفة الاسلامية اليومية الاولى ويرتبط بها في كثير من المواقف والأحوال والواقع ان جريدة اللواء (مصطفى كامل) كانت تعنى بقضايا العالم الاسلامي وتعالج القضية الوطنية من مدخل اسلامي اساسي .

وقد اصدر مصطفى كامل (الحزب الوطني) فيما بعد مجلة العالم الاسلامي (١٩٠٥ - ١٩٠٧) .

ثم اصدر الشيخ عبد العزيز جلاويش مجلة (الهداية) .

ولما ان هاجر الى تركيا اصدر مجلة العالم الاسلامي (١٩١٦ - ١٩١٧) .

وفي هذه المرحلة التي تنتهي بالحرب العالمية الاولى نجد عددا من المجلات العربية والاسلامية خاصة تلك المجلات التي صدرت عن الجمعيات الاسلامية :

مجلة جمعية الملايكة ١٩٠٦ خليل حمدي حمادة .

مجلة مكارم الاخلاق الاسلامية ١٩٠٠ (١٣١٧ هـ)

وكانت قد صدرت (مجلة مكارم الاخلاق) ١٨٨٧ (احمد الشريف)

كما صدرت مجلة الأزهر (حسن رفقي وابراهيم مصطفى) ١٨٨٩ .
(وهي المجلة التي استأجرها ولیم وتكوكس فيما بعد لنشر دعوته الى العامية) .

مجلة الملايكة العباسية ١٩٠٦ .

وهناك صحف صدرت في هذه الفترة لها طابع اسلامي ولكنها ليست اسلامية خالصة :

مرآة الشرق ١٨٨٢

مصباح الشرق ١٨٩٨

الموسوعات ١٨٩٨

مجلة المجلات العربية ١٩٠٨

ويربط السيد رشيد رضا مجلته بالمعروة الوثقى ويرى انه امتداد لها الا في مسائل السياسة فقد كانت المعروة الوثقى قذيفة نارية على الاستعمار

البريطاني بينما يتجنب الشيخ رشيد رضا معارضة النفوذ البريطاني الذي كان جاثما على البلاد . وبين صدور العروة الوثقى (١٣٠١ - ١٨٨٤) وصدور المنار ١٣١٥ (١٨٩٨) أربعة عشر عاما لم تصدر فيها مجلات اسلامية سوى مجلة (الاسلام) ١٨٩٤ (١٩١٢) احمد على الشاذلي الازهرى وهى مجلة ذات طابع خطابي ونمطي (والاستاذ الشاذلي هو الذى سافر من بعد الى اليابان وادخل الاسلام الى ربوعه) .

والواقع ان مجلة المنار هى التى ادخلت اسلوب المعالجة الحديث وقضايا المسلمين الى الصحافة الاسلامية .

مجلة الاسلام (اقدم مجلة اسلامية تحمل اسم الاسلام)

بدأت ١٨٩٤ وتوقفت ١٩١٤ ولم يسبقها الا مجلة الازهر (حسن رفقى وابراهيم مصطفى)

يقول احمد على الشاذلي - الازهر - فى التعريف بالصحافة الاسلامية :

ان الجرائد لها من فضل ما يضيق عن حصر نطاقه بيان كاتب وقلم شاعر اذ هى مصباح النهى ، ورائد الأمة ، ومرآة ذوى الأمور ، بها يعرضون ما انطوى عليه العالم شرقا وغربا ويهتدون الى حجة الصواب بلا معاناة سفر او معاناة حركة فكم حملت مخترعات ووضعت اساسا وربت بنين وبنات وهذبت رجالا وشيوخا وهى السبب الاكبر الذى نهض بانفريين الى هذا الحد الذى نراه حين اعتاضوا بحرب الاقلام عن حرب المدافع ، واستغنوا بالطروس عن الدينايت وبالحرير عن التوربين ، لم يزل بين اظهرنا معشر الشرقيين المسلمين من يلتفت لهذا الامر الجليل (الصحف الاسلامية) بلادهم بلدى بالجرائد الدينية التى تهتز لدعاة الملة وغيرهم سبيل الدعوة منشأ الطفل وقد عرف آباء وامه والمعبود الذى يدين بالتقرب اليه .

وان الشرق مفعم برجال الدين الثقافة وفرسان الكتابة المجيدين الذين عرفوا الامر معرفة خبير وسسبروا الغرب والشرق ان لم اقل بالرؤية فيمطلعة الجرائد وما يلحق شبابنا أبناء المدارس الذين يتربون

— ٧ —

في مدارس الأجانب وينشؤون على غير معرفة بدينهم وقلوبهم خالية من حب الاسلام فاذا صادفتهم شبهة او سمعوا نكرة من آخر طاروا اليها فرحا . وهذا ما أثار في قلبي حمية العمل والاجتهاد في بث تلك المبادئ في قلوب الشباب والعامه من الناس الذين لا يعرفون العلم الا بالأذان ولا يرون الا يفرون بفهمهم ويذلون بذلهم وسمينها الاسلام تسمية لها بأشرف مبحث تحرير جريدة عربية العبارة اسلامية المثرب مصرية الهداية تكفل لإخواننا المسلمين ببيان أمور دينهم وتدلهم على طرق النصح لهم ولاخوانهم الذين يفرون بفهمهم ويذلون بذلهم وسميتها الاسلام تسمية لها بأشرف مبحث ينشر فيها » .

وقد حفلت المجلة بآبواب مختلفة منها :

أدبيات — أمثال وحكم ، آداب الاسلام ، العقائد التوحيدية ، قواعد الاسلام ، كتاب صحيح البخارى ، صلاة الجماعة ، اجتناب المعاصي ، الخبر ومضارها ، الحشيش ومضاره . . الخ الخ .
هذه هي طلائع الصحافة الاسلامية التي اعطاها اصالتها فريد وجدى ورشيد رضا .

مجلة الحياة (١٣١٧ — ١٨٩٩)

يقول الأستاذ فريد وجدى : ان مقصد (الحياة) المجلة — هو الحيلولة بين مكاريث الاتحاد واذهان أبناء المشرق ولذلك فهي سستجعل مطمح نظرها جملة نقط مهمة :

اولاها : اقامة اقوى الأدلة العلمية على ان الديانة الاسلامية هي روح العمران وقوام سعادة الانسان بطرق لا تجعل للشكوك مجالا في الأذهان وستسلك لهذا العرض المسالك العصرية في تلييد آقاويلها بالحجج الفلسفية الحسية .

ثانيا : تثبيت الأحوال الدينية في العقول الطموحة . كاثبات وجود الله تعالى والروح والآخرة بالأدلة الدامغة . وستعتمد في ذلك على تحقيقات العلماء العصريين جريا مع سنة الزمان اعتقادا منا بان نشأتنا الحديثة أحوج الى الخدمة منها الى سواها وايقانا من لدنا بان نقش أصول العقائد

— ٨ —

في اذهانتنا بالطرق العصرية انفع لها وللبلاذ من تعليمهم الطبيعة والكيمياء
وليس بعد المشاهدة حجة لمرتاب .

وليس قصدنا الا خدمة الاقطار العمومية من هذه الوجهة الرئيسية :
التمدن والتدين — تغذية الجنان ببذائع الاكوان — اثبات وجود الله
تعالى — ما وراء المادة .

واننا وان كنا لانود فائدة مادية ، من هذه المجلة ، الا اننا لانود
ايضا ان نخسر فيها كثيرا واننا لم نتشجع على تحمل هذه الخسائر المادية
الا لما نعلمه من شغف الخاصة والعامة بمطالعة ما نكتبه (واثار الكاتب
الى آثاره السابقة على انشاء المجلة وخاصة كتاب الحقيقة الفكرية في
اثبات وجود الحضرة الالهية بالأدلة الطبيعية) .

يقول : وقد اسسنا هذه المجلة ومطمح نظرنا غرضان مهمان :

وهما تثبت اصول الدين الاسلامي الحنيف في عقول ابنائه بنتائج
العلم العصري واقامة الأدلة العلمية والفلسفية على ان هذا الدين الكريم
هو منتهى ما يصل اليه الانسان من حقيقة الدين وغاية ما تدفعه اليه
استعداداته الفطرية المنزوية في طي مواهبه الطبيعية .

وقد اعتضدنا في سائر أبحاثنا ببراهين الفلسفة الغربية ، واستخدمنا
نتائج افكار قادتها وثمرات كدهم وكدهم في تليد اصولنا الاسلامية ، مراعاة
لحطوب العصر الحاضر ومجاراة للأبصار العامة راينا ان اندفاق منبذة
الغرب على الشرق ستجر معها ما يلبسها من سموم قاتلة ومكاريت هائلة
فوجدنا ان اجل خدمة تؤدي للاسلام هي وقوف بعض بنيه على ما رب ذلك
التيار المنفع بمصفاة من العلم لتحجز ما تحمله من قذر وتترك السبيل
لسلسبيله الصافي ليرده من بعد الورود بلا خوف ولا تخرج . وقد تبين العالم
أجمع ان ترك ذلك التيار على ما هو عليه من كدر وبجل قد جر بعضا منا
الى ما لا يحمد من الخروج عن دائرة الحكمة حتى قال قائلنا اذا كانت هذه
نتائج المدنية فاللهم حوالينا ولا علينا » .

وقد مضى فريد وجدى في منهجه هذا الذي اطلق عليه :

« التسهيلات العصرية على الأديان ونفيها عن الاسلام »

— ٩ —

وهو مدخل حقيقى لما اطلق عليه من بعد علم مقارنات الايمان . وهذا المنهج الذى سار عليه فريد وجدى حياته كلها يختلف اختلافا واضحا عميقا عن منهج رشيد رضا وان كان هذا المنهج قد بدأ فى طريقتة التمييز محمد عبده ، فان فريد وجدى يعتبر نفسه تلميذا لهذه المدرسة السلفية ولكنه يتفرد بالجنوح الى دراسات الفلسفة والطب الحديث واجراء مقارنات بينها وبين الاسلام ، وقد مضى فريد وجدى فى مجلته المنيان نثره لم تزل فقد توقفت المجلة ولكنه ولى عام ١٩٢٥ رئاسته تحرير مجلته المزهر وساد فيها هذا الأسلوب الى نهاية حياته ١٩٥٢ سوريا . وقد وقع فى شأن هذا المنهج خلاف واسع وعميق بينه من ناحية وبين رشيد رضا ومحب الدين الخطيب من ناحية اخرى كما يظهر فى مسويلات مجلته (الحلقة الثانية : مجلة الفتح) .

اما منهج المنار فهو يختلف اختلافا واضحا عن هذا الأسلوب الذى اتخذه فريد وجدى ، اذ انه يعتمد على أسلوب اهل السنة والجماعة وهو اصح المذاهب وهو النور الطيعى للأسلوب الذى يده جمال الدين الافغانى ومحمد عبده (وكنا يسميان المعتزلة البند) وصولا الى منهج اهل السنة ومفهوم القرآن الاصيل على النحو الذى سار عليه رشيد رضا واتسع به وعمق فى كتابات الأستاذ حسن البنا (الحلقة الثالثة : صحف الاخوان) .

وفى هذه المرحلة نجد ان هناك عددا من المجلات الاسلامية فى البلاد العربية والاسلامية :

المنصف — تونس — محمد الشريف التيجانى — ١٩٠٧

القبلة — مكة المكرمة — محب الدين الخطيب — ١٩١٦ .

ولا ننسى فى هذا المجال ان نذكر ان مجلة الأستاذ لصاحبها (عبد الله نديم) صدرت فى عام ١٨٩٢ ولكنها لم تلبث ان توقفت وهى ليست مجلة اسلامية بقدر ما هى مجلة وطنية اجتماعية .

اما مجلة الهداية التى انشأها الشيخ عبد العزيز جاويش (١٩١٠ — ١٣٢٨) فقد عنيت بتفسير القرآن (أسرار القرآن ، النسخ فى القرآن ، نزول القرآن) .

وقد أولت اهتماما كبيرا لأحوال المسلمين في العالم فتحدثت عن مسلمى بلغاريا وروسيا والبوسنة والهرسك وانتشار الإسلام في أفريقيا وبين روسيا وفارس والإسلام في الهند وعن وفد مسلمى الصين إلى السلطان ، كما أولت اهتماما للغة العربية وأنشاء نادى دار العلوم للغة العربية واهتمت بإحياء التراث الإسلامى ، والكلام عن الشريعة الإسلامية ، وموقف العرب من مذهب دارون وهذه عبارتها :

(تزود عن الدين الخفيف وتزيل الشكوك التى يروجها المشككون وتدحض مزاعم الطاعنين من القساوسة والراهبين وتدعو إلى التمسك بتعاليم دينهم وبالأخلاق الكريمة :

يقول الأستاذ عبد العزيز جاويش : كان حقا على كل مسلم نور قلبه الإيمان أن يهيب بالمسلمين داعيا إياهم إلى السبيل القويم ناصحا لهم أن يعضوا على دينهم بالتواجز مستمسكين منه بالعروة التى لا تنفصم ، مستعصمين منه بالحبوة التى تؤمن كل معتصم مفندا ما يأتى به الطاعنون فيه من الشبه التى تقوى ضعاف اليقين فقد طمى سيلها وسكت عن تنفيذها الذين من أخص خصائصهم أن يفندوها ويحسوها حتى كثر سواد الطاعنين من القساوسة والرهبان ولم يعذر السفه إلا أن يؤتى دواه وقلما ، رأينا وسمعنا ذلك فعن لنا أن ننشئ مجلة تفرغ بعضها لإذاعة (أسرار القرآن) الذى هو دستور السعادت . . ولرد تلك الشبه وإحاض ما يكيلونه جزافا من الأكاذيب وبيان أن الإسلام دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، ونفرغ من بعضها قسما لاتعاش لغة العرب من عثارها مما نأتى به من التحقيقات اللغوية والإشارات الأدبية فقد أصبحت الألسنة ترتضع عجمه لبست الأصيل والذخيل ونودع ما بقى من فراغ المجلة إباحا أخرى » .

وقد مضى الشيخ عبد العزيز جاويش وهو تلميذ الشيخ محمد عبده أيضا إلى إصدار مجلته ولكنه توقف بعد قليل — وأن كانت له مثل فريد وجدى مؤلفات مشهورة — أما الذى صمد فى الحقيقة من تلاميذ الإمام الثلاثة فهو رشيد رضا .

المرحلة الثانية : من الحرب العالمية الأولى إلى الحرب العالمية الثانية
(١٩١٩ — ١٩٣٩)

وهذه هي أدق مراحل العمل الصحفي الاسلامى فقد صدرت فيها
مجالات اسلامية كثيرة أبرزها :

- ١ — مجلة الفتح : محب الدين الخطيب ١٩٢٦
- ٢ — مجلة الأزهر : ١٩٣٠ صدرت تحت اسم نور الاسلام ثم عدلت
- ٣ — صحف الاخوان المسلمين : [١٩٢٣ أسبوعية (الاخوان)
الخير ١٩٢٨ المتولد ١٩٢٨]
- ٤ — الشبان المسلمون ١٩٢٩ (جماعة الشبان)
- ٥ — مجلة الشهاب (عبد الحميد بن بانيس) قسنطينة ١٩٣١ .
- ٦ — التمدن الاسلامى : دمشق ١٩٢٥/١٩٥٤ — أحمد مظهر العظمه
(وما تزال مستمرة الى اليوم) وهى من أدبل المجلات التى يجب
دراستها
- ٧ — الاعتصام (أحمد عيسى عاشور) ١٩٣٩
- ٨ — الهداية الاسلامية (محمد الخضر حسين) ١٩٢٨ .
- ٩ — الهدى النبوى — ١٩٣٧ — محمد حامد الفقى
وفى أنحاء العالم الاسلامى صدر عدد من المجلات الاسلامية منها :
الهدى — ماليزيا — عبد الواحد الجيلانى العلوى ١٩٢١
مرآة المحمدية — جاكرتا — محمد على قدس ١٩٢٧
المرشد — بغداد — محمد الحسنى / صالح الشهرستانى ١٩٢٥
الاصلاح (مكة المكرمة) محمد حامد الفقى ١٩٣٠
الاعتصام (حلب) عبد الله المعطر ، عون الله الاصلاحى ١٩٢٩ .
أم القرى (يوسف ياسين) ١٩٢٥
شمس الاسلام (تونس) محمد الصالح بن مراد — ١٩٣٧
القضايا التى عالجتها الصحافة الاسلامية :

وقد تناولت هذه المجلات مختلف القضايا الاسلامية المثارة فى هذه

المرحلة :

- قضية الدعوة الاسلامية : صحف الاخوان
- قضية الخلافة (المنار)
- قضية التفريب : طه حسين ومحمود عزمى وعلى عبد الرازق (المنار

والفتح)

— ١٢ —

قضية الفلسفة : الأزهر (فريد وجدى)

قضية العقائد : مصطفى صبرى — فريد وجدى — محب الدين
الخطيب (الفتح)

قضية فلسطين : صحف الاخوان والفتح .

قضايا التحرر السياسى الاسلامى ، قضايا المغرب الباكستلى ،
فلسطين (النشج وصحف الاخوان)

قضايا الاقتصاد الوطنى : (صحف الاخوان)

قضايا الشريعة الاسلامية : (صحف الاخوان والفتح)

قضايا بناء المجتمع الاسلامى بالتربية (صحف الاخوان) .

كما تناولت الصحف الاسلامية فى هذه الفترة قضايا النفوذ الاجنبى
وقضايا الدعوة الاسلامية ، واللغة العربية والتاريخ وتركزت تراثا ضخما
واسعا فى حاجة الى عرض وتقييم واسعين نرجو ان نتمكن من القيام بجانب
منه فى دراستنا للصحف الاسلامية .

[المنار — الفتح — صحف الاخوان — الأزهر]

تتميز هذه المرحلة بالجرأة فى معالجة قضايا التبشير والاستشراق
والتعريب ويبرز عدد كبير من اعلام الفكر الاسلامى

٣ — المرحلة الثالثة : من الحرب العالمية الثالثة الى اليوم :

فى هذه المرحلة صدرت صحف اسلامية عديدة ابرزها :

الدعوة — مصر — صالح عثماوى — ١٩٥١ (ثم توقفت ١٩٥٦)
وعادت الى الصدور ١٩٧٤

المجتمع — الكويت — جمعية الاصلاح ١٩٧١

• جوهر الاسلام (تونس)

• دعوة الحق (المغرب)

• الاصاله (الجزائر)

• اللواء الاسلامى : احمد حمزة .

— ١٣ —

- البصائر — الجزائر — محمد البشير الإبراهيمي ١٩٤٧
- الشهاب — مصر — حسن البنا ١٩٤٧
- جريدة الاخوان المسلمين (اليومية) ١٩٤٦
- المسلمون : سعيد رمضان ١٩٥١
- الوعى الاسلامي : الكويت
- الرابطة الاسلامية : محمد شاهين همزة ١٩٤٤
- منار الاسلام : أبو ظبي
- منبر الاسلام : (وزارة الاوقاف) ١٩٤٨
- البريد الاسلامي : محمد توفيق أحمد ١٩٤٣
- الامة : قطر
- هضارة الاسلام : سوريا (مصطفى السباعي) •
- صوت الاسلام : محمد عطية خميس ١٩٥٤
- رابطة العالم الاسلامي : محمد سعيد العامودي (رابطة العالم الاسلامي) مكة
- وواصلت الشبان المسلمين ، الاعتصام ، الازهر ، الفتح صدورها •
- البلاغ : الكويت (عبد الرحمن الولايتي) ...
- الدعوة : المملكة السعودية ..
- المسلم : محمد زكي ابراهيم ١٩٥١
- هذه عجالة لاستعراض رموس موضوعات وأسماء الصحف ، نقدمها بين يدي الدراسة الاولى عن (العروة الوثقى والمآثر) على أن نعد في نهاية المطاف بحثا مستفيضا مفصلا عن نتائج دراسة الصحافة الاسلامية وتحليل لواقعها وآثارها على أن تبدأ من اليوم فنضع هذه الخطوط العامة :
- اولا : هناك صحافة دعوة وصحافة فكر :
- أما صحافة الدعوة فهي التي تتحدث عن التربية والتكوين الخلقي

والاجتماعى للشباب المسلم ولا تقدم له الا الأبحاث الناضجة البعيدة عن الخلافات والتيارات الفلسفية ، رغبة في اعداده اعدادا سليما .

اما صحافة الفكر فهى التى تعنى بالدراسات الفلسفية والمنطقية وغيرها على النحو الذى نراه واضحا فى المرحلة الأولى من مجلة الأزهر .
خلال تولى فريد وجدى رئاسة تحريرها (١٩٣٥ - ١٩٥٦) حتى وفاته .
اما مجلة الفتح وصحف الاخوان ومجلة الدعوة فهى صحافة دعوة .
وهناك صحف جمعت بين الدعوة والفكر .

ثانيا : هناك صحف لمعت فى المراحل التالية لها واخذت وضعا الشد قوة وحيوية مما كانت فى اول امرها ، كما ان هناك صحف توقفت تحت ضغط الظروف السياسية او وفاة منشئها .

ثالثا : هناك صحافة شعبية وصحافة حكومية :

الصحافة الأولى التى يقوم بها افراد او جمعيات اسلامية وهى اكثر حرية واكثر تعمقا فى معالجة المشاكل والقضايا وابرار وجهة نظر الاسلام اكثر من الصحافة الاسلامية الحكومية التى ترتبط بمواقف الحكومات من هذه القضايا او بمواقف بعض الاقطار بالاقطار الأخرى .

رابعا : ولم تتوقف الكتابات الاسلامية على كتاب الاسلام العرب ولكن ظهرت أسماء كثيرة من الكتاب الاسلاميين من الهند وباكستان واندونيسيا وماليزيا وايران وتركيا .

خامسا : غطت الصحافة الاسلامية جميع القضايا الاسلامية المثارة فى العصر والبيئة معا ووصلت بعض الصحف الاسلامية الحرة الى القدرة على الكشف عن وجوه النقص والقصور فى تلك القضايا .

سادسا : ابرز القضايا التى عولجت هى قضية فلسطين ثم قضية فلسطين والقدس وقضايا الربا والتعليم الغربى ومختلف قضايا المجتمع الاسلامى والاقتصاد والسياسة والتربية وقد قدمت فيها دراسات خصبة واوراق عمل نافعة .

صدرت فى السنوات الاخيرة مجلات اسلامية أخرى خاصة فى القاهرة :
اللواء الاسلامى والنور والتصوف الاسلامى .

— ٦٥ —

سابعا : غطت الصحافة الاسلامية جميع المؤتمرات الاسلامية التي عقدت لدراسة مختلف القضايا وخاصة قضايا التضامن الاسلامي والملتقيات الاسلامية في الجزائر والرياض وجاكرتا ومكة المكرمة . ومؤتمر السنة والسيرة في اسلام اباد واستانبول والدوحة .

ثامنا : كشف مخططات الاستشراق والتعريب في عديد من مؤتمراتهم ودراساتهم ، وزيف تلك الشبهات وابانت عن وجه الحق كما كشفت زيف الديمقراطية والاشتراكية والوجودية والعلمانية ، وواجهت النحل المنحرفة كالفاديانية والبهائية .

تاسعا : صحافة اسلامية مختلطة : كالاسلاميات في مجلات الرسالة والهلال والثقافة .

والصفحات الاسلامية السياسية التي كانت تنشر في الصحف اليومية : التبلاغ وكوكب الشرق والجهاد .

وفي المرحلة الثالثة تلك الصفحات الاسلامية الاسبوعية في الاهرام والجمهورية واخبار اليوم ، ومدى الدور الذي تقوم به (مع ملاحظة ان الجمهورية اصدرت ملحقا دينيا بتوجيه مصطفى بهجت بدوى واشراف صلاح عزام خلال فترة الستينات) ثم توقف ، كذلك فانه يجب دراسة ظاهرة صدور صحيفة يومية اسلامية وكان هذا امل من امل المصلحين خلال نصف قرن فلما صدرت صحيفة الاخوان اليومية (١٩٤٦ — ١٩٤٨) ثم توقفت لم يتجدد التفكير في اصدار صحيفة يومية اسلامية مرة اخرى .

كتاب الصحافة الإسلامية

كشفت هذه الصحافة الإسلامية عن عدد كبير من الكتاب الذين اشتغلوا بالصحافة والدعوة الإسلامية في مقدمتهم :

محب الدين الخطيب :	أحمد حمزة : لواء الإسلام
الزهراء ، الفتح ، القبلة	أحمد عارف الزين : العرمان
محمد الهياوي :	أحمد مظهر العظمة :
محمد أبو زيد عثمان : النذير	التمدن الإسلامي
محمد شاهين حمزة :	أحمد عيسى عاشور : الاعتصام
الرابطة الإسلامية	أحمد الشاذلي الأزهرى :
محمد البشير الأبراهيمي : البصائر	الإسلام
محمد حامد الفقى : الهدى النبوى	أمين الرافعى : الأخبار
محمد الخضر حسين :	أمين عبد الرحمن : الإسلام
الهدى الإسلامي	أحمد أنس الحجاجي :
محمد عطية خميس : صوت الإسلام	منزل الوحي
محمد زكى إبراهيم : المسلم	حسن البناء :
محمد رشيد رضا : المنار	(صحف الاخوان) و (الشهاب)
محمد محمد علوان :	حسن عبد المقصود : الانتصار
الإسلام والتصوف	سعيد رمضان : المسلمون
محمود أبو الفيض المتوفى :	صالح عثمانوى : الدعوة
العالم الإسلامي ، لواء الإسلام	على الفاياتي : منبر الشرق
محمد سعيد العامودي :	عمر التلمساني : الدعوة
الرابطة الإسلامية	عبد الحميد الزهراوى : الحضارة
محمد توفيق أحمد :	عبد الحميد بن باديس : الشهاب
البريد الإسلامي	عبد العزيز جاويش :
مصطفى السباعي :	العالم الإسلامي والهداية
حضارة الإسلام	فريد وجدى : الحياة
	ليبيه أحمد : النهضة التنشيطية

(ولقد أفرزت الصحافة الإسلامية خلال هذه المراحل الثلاث عددا ضخما من كتاب المدرسة الإسلامية هم جديرون بدراسة خاصة مستقلة عنهم)

وبعد فهذا استعراض سريع هو بمثابة إطار للتحرك من داخله في إصدار هذه الموسوعة عن تاريخ الصحافة الإسلامية ، هذا وبالله التوفيق .
أنور الجندى

البَابُ الْأَوَّلُ

العروة الوثقى

الفصل الأول : أثر العروة الوثقى في منهج الصحافة الإسلامية

الفصل الثاني : من العروة الوثقى إلى المنار

الفصل الأول

اثر (العروة الوثقى) في منهج الصحافة الاسلامية (بين العمق التاريخي والأثر المستقبلي)

صدر العروة الوثقى في باريس (٥ جمادى الأولى ١٣٠١) الموافق ١٣ مارس ١٨٨٤ وتوقفت في ١٦ أكتوبر ١٨٨٤ (وأصدرت ثمانية عشر عددا) فكانت هذه الاضمانة بمثابة دستور جامع شامل للعمل الصحفي الاسلامي لم يلبث أن نما واتسع بعد خمسة عشر عاما بصدر مجلة المنار عام ١٨٨٩ حيث امتدت سنة وثلاثين عاما ، وقد كانت المنار بمثابة منار حقيقي للصحافة الاسلامية التي حملت لواء الفكرة السلفية بكل نقائنها وايمانها وقد امتدت الى المغرب غربا والى أندونيسيا وأرخبيل الملايو شرقا عبر جميع الاقطار الاسلامية من الجزيرة العربية الى الشام الى العراق الى الهند الاسلامية والباكستان وأفغانستان .

ولقد كانت هناك صحافة سياسية قبل العروة الوثقى تحدثت عن قضايا العالم الاسلامي من أبرزها مجلة الجوائب التي كان يصدرها أحمد فارس الشدياق منذ ١٨٥٠ ميلادية (١٣٠٤ هـ) حتى وفاته ١٢٧٧ هـ (١٨٨٧ م) فعاشت ثلاثة وعشرين عاما ولكنها لم تقدم منهاجا اسلاميا للصحافة على النحو الذي عرفناه في العروة الوثقى .

لقد صدرت العروة الوثقى بعد الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢ (وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر ١٨٣٠ وتونس ١٨٨١) ، وكانت خلقية العروة الوثقى ممثلة في آهرين :

أولا : كان أمام محمد عبده وجهال الدين تجربة الامام ابن تيميه في الحروب الصليبية ومواجهة الغزو الخارجي .

ثانيا : حركة التوحيد في الجزيرة العربية بقيادة الامام محمد بن عبد الوهاب .

وكانت هذه المرحلة قد تجاوزت الوقوف عند قضية تحرير الفكر الاسلامي من قيد التقليد التي قامت بها حركة التوحيد ، الى العمل لمواجهة الغزو الاستعماري للعالم الاسلامي ، هذه القضية التي بدأت باحتلال

الجزائر بعد جهاد الامام عبد القادر خلال سبعة عشر عاما ، وهى المعركة التى واجهت الامام محمد بن على السنوسى فطاف البلاد العربية والاسلامية للبحث عن مواجهة الخطر ، وكان جمال الدين الافغانى قد قدم من ارض افغانستان وايران والهند حيث كان النفوذ الاجنبى (الانجليزى) يتحرك هناك بقوة ، وقد واجه هو شخصا فى بلاط امبراطور فارس هذه التجربة وحاول التصدى لاصدار الدستور الايرانى ، ومن ثم واجهه النفوذ الاستعمارى بالاضطهاد فقدم الى مصر « قلب العالم الاسلامى » لمواجهة هذه الغزوة الاستعمارية ، وكانت كلمته المعروفة دائما :

هى « تنكيس اعلام بريطانيا فى العالم الاسلامى » .

وكانت بريطانيا قد سيطرت على الهند عام ١٨٥٧ وامتد نفوذها الى ايران وافغانستان عام ١٨٦٨ .

ومن هذا فقد جاء صدور العروة الوثقى بعد الاحتلال البريطانى لمصر مضيفا مبدءا جديدا للعمل الصحفى الاسلامى وهو قضية الوحدة الاسلامية التى كان يحمل لواءها السلطان عبد الحميد حاكما ، والسيد جمال الدين الافغانى داعيا ، وقضية تحرير الاوطان الاسلامية من النفوذ الاجنبى .

وهكذا انشأت « العروة الوثقى » ذلك المنهج الجامع الصحيح الذى سارت عليه الصحافة الاسلامية منذ ذلك اليوم والى اليوم من خلال اهداف واضحة محددة اهمها :

اولا : ايقاظ الروح الكامنه فى النفس الشرقية ومحاربة اليأس ومواجهة النفوذ الاجنبى الزاحف .

ثانيا : التماس منهج القرآن فى بناء الامراء والمجتمعات بوصفه المنقذ الوحيد للمسلمين .

ثالثا : تنبيه الامة الى ذاتيتها الاصيلية التى انشأت الحضارة الاسلامية الزاهرة وقدمت صفحات التاريخ الوضئى والتذكير بعظمة التراث الاسلامى .

رابعا : محاربة الاستعمار بكل ما تملك الامة من وسائل بمفهوم الجهاد الاسلامى .

فصامتنا : الدعوة الى امتلاك اسباب القوة والتقدم والعلم والتدين

— ٢٠ —

دون التخلّى من الجذور في دائرة مفهوم الاسلام القائم على العدل والرحمة والاخاء البشرى .

سادسا : مقاومة التبعية والحيلولة دون الذوبان في الأمية أو الفكر العالمى .

وبذلك دخلت الصحافة الاسلامية الى اطار الاسلام السياسى والحضارى والاجتماعى وكانت قبل ذلك تتقف عند كتابات حول العقائد والعبادات .

ومن قبل صدور العروة الوثقى ومنذ وصول جمال الدين الى القاهرة عام ١٨٧٩ ، فقد كان له دوره الواضح الخطير في الصحافة المصرية والاداء الصحفى بالتحول عن أسلوب السجع والمحسنات اللفظية والمقدمات المستطردة الى أسلوب جديد أقرب الى الاداء العلمى المبسط ، وهذا ما ظهر في كتابات تلاميذه والصحف التى صدرت في عهده وفي كتابات محمد عبده وإبراهيم اللقانى وسعد زغلول .

ولقد كان اثر العروة الوثقى واضحا على مستويات متعددة :
في بيان الزعماء والمصلحين وكتابات الكتاب وفي الحركات الاسلامية وفى الصحف التى صدرت منذ ذلك الحين .

وقد كان أكبر مظاهر هذا الأثر في مصر عن طريق المنار التى تعتبر الامتداد الطبيعى للعروة الوثقى من حيث أن الشيخ محمد عبده الذى كان المحرر الأول للعروة هو بمثابة المشرف على المنار (مع ملاحظة تغيرات العصر والمسائل المتجددة) حتى وفاته ١٩٠٥ .

وفي هذه المرحلة صدرت صحيفتى المؤيد (الشيخ على يوسف) اللواء ، والعلم (الحزب الوطنى وأبرز محرريها الشيخ عبد العزيز جاويش) ، وذلك حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) ثم صدرت صحف سياسية تقدم صفحة اسلامية تحت عنوان العالم الاسلامى أو العربى ، وذلك في صحف كوكب الشرق (أحمد حافظ عوض) ، البلاغ (عبد القادر حمزة) ، والجهاد (توفيق دياب) ، وجريدة الأخبار (أمين الرافعى) .

ثم صدرت بعد الحرب مجلات : الأزهر (١٩٣٢) تحت اسم « نويه

الاسلام « أولا ، ومجلة الفتح ١٩٢٧ (محب الدين الخطيب) ، ومجلات الجمعيات الاسلامية : الشبان المسلمين ، والاخوان ، والهداية الاسلامية وغيرها عشرات المجلات الاسلامية الاخرى التى لم تخرج على هذا النسق الذى رسمته العروة الوثقى وطبقه المنار .

وفي اوربا (فى جنيف) صدرت مجلة الأمة العربية (شكيب أرسلان واحسان الجابرى) ، وصدرت منبر الشرق (على الغياتى) لمعالجة قضايا الاقطار الاسلامية .

اما فى المشرق الاسلامى فقد صدرت المجلات الاسلامية الآتية :
تونس : شمس الاسلام ١٩٣٧ ، مجلة المعارف ١٩٠٧ (محمد صادق الممودى) .

الحجاز : مجلة مكة المكرمة (هاشم يوسف الزواوى) ، الاصلاح ، ام القرى ١٩٢٥ ، القبلة .

حلب : الاعتصام

دمشق : التمدن الاسلامى .

تسليطية : الشهاب ١٩٣١ (عبد الحميد بن باديس) .

ماليزيا : الهدى ١٩٣١ (عبد الواحد الجبلانى العلوى) .

الجزائر : البصائر (محمد البشير الابراهيمى) .

وصحف اخرى كثيرة يخطئها الحصر .

اما عشرات الاعلام الذين تعلموا على « العروة الوثقى » والمنار ، فهم كثيرون ، فى مقدمتهم عبد العزيز الثعالبى والطاهر بن عاشور فى تونس ، وعبد الحميد بن باديس فى الجزائر ، وعلال الفاسى فى المغرب وفى دمشق ، الشيخ حسين الجسر ، وظاهر الجزائرى ، والكواكبى ، وجمال الدين القاسمى ، وعبد الرازق البيطار ، وفى العراق محمود شكرى الالوسى .

فهذه المدرسة السلفية التى أنشأتها العروة والمنار امتدت الى كل هذه المناطق ، وكان محمد عبده قد أقام فى بيروت فكون بذرة صالحة هناك لازداع مفاهيم التوحيد الخالص ، كما أنه زار تونس والجزائر وترك فيها بذرة العمل السلفى الذى انبثقت منها الحركة الوطنية فى الجزائر والمغرب وتونس

في سبيل مقاومة النفوذ الأجنبي ونشأ على ذلك جيل قاوم هذا النفوذ مقاومة صامدة حتى تحقق له النصر .

وأينما تلتفت في أقطار الاسلام الى المجاهدين في سبيل تحرير الأوطان تجدهم من تلاميذ العروة الوثقى والمنار ، وقد امتد هذا النفوذ الى أرخبيل الملايو حيث يقول المستشرق ك . ك . برج . (في كتاب وجهة الاسلام) تأليف هاملتون جب وترجمة الأستاذ محمد عبد الهادي أبو ريدة ما يلي :

« ولم يشرق منار القاهرة على المسريين وحدهم ولكنه أشرق على العرب في بلادهم وخارجها وعلى مسلمي أرخبيل الملايو الذين درسوا في الجامعة الأزهرية وعلى الأندونيسيين المنعزل الذي ظل محافظا على علاقاته بقلب العالم الاسلامي بعد عودته لبلاده النائية على حدود دار الاسلام : هؤلاء جميعا رأوا الاسلام على نور جديد لم يرو فيه مثالا للتشدد والجمود ورأوه الدين المختار بين الأديان ، وحامل المثل الأعلى لكل زمان ومضى ، المثل الجديدة لكل زمان آت ، وهو شباب متجدد الشباب حامل لواء كل تقدم ، شديد في التسامح ، وقد أصبح الذين اقتبسوا من نور المنار منارات صفرى في أندونيسيا بعد أن عادوا اليها » .

وقد أشار مؤلف كتاب « الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا » الى اثر الشيخ محمد عبده والمنار في الحركة السلفية في تونس والجزائر والمغرب على اثر زيارته لتونس عام ١٨٨٣ ثم زيارته للجزائر عام ١٩٠٤ ثم كانت المنار التي تصل الى كل مكان في العالم الاسلامي وقد تأثر بها الدعاة المسلمون هناك وكان خطها واضحا في مجلة الشهاب التي أصدرها الامام عبد الحميد بن باديس عام ١٩٣٠ على نفس النهج ، ولقد حدثني الأستاذ أحمد توفيق المدني الذي هو أحد ثمار ما سمى في الجزائر وتونس جماعة العروة الوثقى أن الجماعة أصدرت عام ١٩١٥ أول صحيفة اسلامية في الجزائر تحت اسم الفاروق بقيادة السيد عمر بن قدور الجزائري وأنها تصدت للاستعمار الفرنسي بمقال كتبه المدني كان من نتيجته أن حكم عليه بالسجن هو ومؤسس مجلة الفاروق من ١٩١٥ الى ١٩١٨ في زنزانة ضيقة .

وفي الجزيرة العربية كانت العروة ثم المنار موضع تأثير كبير في مجالس العلم ، ويتحدث الأستاذ مبارك الخاطر في كتابه عن القاضي الرئيس قاسم ابن مهزح حيث يصور الحركة الفكرية في البحرين فيقول : ان شباب البحرين الذين درسوا في الأزهر بمصر وكلية عليكرة في الهند وعادوا قد اعتنقوا آراء

السيد جمال الدين الأنفاني والشيخ محمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي وأحزابهم في مصر والشام والعراق الذين وجدت آراؤهم صدق لها هنا بين الشباب إذ ذاك عبر ما يقرأونه هنا من صحف هؤلاء المصلحين المجددين أمثال العروة الوثقى للأنفاني ومحمد عبده ، والمؤيد لعلى يوسف ، والمنار لرشيد رضا ، واللواء لمصطفى كامل ، وقد كانت هذه الصحف تحمل آراء هؤلاء إلى كل أبناء المسلمين في كل الأرض وكانت عناوين مقالات تلك الصحف من مثل (أخبار الجاويين) أى مسلمى أندونيسيا وجميعيات المسلمين في الهند ، والمسألة الشرقية ، فقد كتب التمدن الاسلامى لجرى زيدان ، الجامعة الاسلامية ، المسلمون الروس في مجلس الدوما السوفياتى ، الاستثمار في جزيرة العرب ، الغارة على العالم الاسلامى .

وكان من ظهور هذه الصحف العربية الاسلامية وآخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كردة فعل جاءت بالفكر الاسلامى الاصلاحى الجديد وكسلاح فكري اسلامى لوقف الأخطبوط الماسونى التبشيري الذى غزا الأمة الاسلامية على حين غرة مهدين السبيل للهجمة الصليبية الاستعمارية الجديدة التى استهدفت عقيدة هذه الأمة وتراثها ليسهل أمر استعبادها فكريا وبالتالي ليستمر استعبادها جسديا ، وقد كان .

وكان الشيخ قاسم بن مهزوع زعيم الفكر الاسلامى في البحرين يقرأ مجلة المنار ويقول انها تعبر عن الأقوال الفاصلة بالحق .

ولقد امتدت المنار حتى عام ١٩٣٦ حيث توفي السيد رشيد رضا ولكن مجلة الفتح التى أنشأها السيد محب الدين الخطيب الذى يعتبر خليفة السيد رشيد رضا في هذا المجال امتدت حتى عام ١٩٤٨ ، كذلك فإن السيد فريد وجدى تلميذ الأستاذ الامام قد اشرف على مجلة الأزهر (١٩٣٤ - ١٩٥٢) ثم تولاه السيد محب الدين الخطيب ثم الأستاذ أحمد حسن الزيات .

وقد امتدت جماعة العروة والمنار من تلاميذ الأستاذ الامام في مجموعة أخرى ، منها الشيخ سرور الزنكونى والشيخ محمد مصطفى المراغى والشيخ عبد المجيد سليم ، ثم في مجموعة تالية أو طبقة تالية ، منها الشيخ محمود شلتوت والشيخ عبد الجليل عيسى .

وفي الهند الاسلامية امتدت هذه المدرسة في الشاعر محمد اقبال والسيد بن المودودي وأبو الحسن الندوي ، وفي أفغانستان وإيران لا نعد الكثيرين من تلاميذ المدرسة السلفية التي كونتها العروة والمنار .

وقد أحصى المغفور له الدكتور أحمد الشرباصي في كتابه (مدرسة الأستاذ الامام وأثرها في اللغة والأدب) عددا كثيرا ممن تأثروا في أسلوبه ومنهجه وهم تلاميذ العروة والمنار على الأصح ، سعد زغلول ، حفي ناصف ، محمد المهدي ، مصطفى لطفى المنفلوطي ، على يوسف ، رشيد رضا ، شكيب ارسلان ، عبد القادر المغربي ، عبد الرحمن البرقوقي ، أحمد لطفى السيد ، مصطفى عبد الرازق ، أحمد تيمور ، محمد مصطفى المراغي ، أحمد فتحي زغلول ، ابراهيم اللقاني ، عبد الكريم سلمان ، ابراهيم الهلباوي ، عبد العزيز جاويش ، حافظ ابراهيم ، اسماعيل صبرى ، رفيق العظم ، أحمد ابراهيم ، حسن منصور ، عبد الوهاب النجار ، مصطفى العناني وغيرهم .

أما في الحاضر فان مدرسة العروة والمنار فما تزال ذلك اثر واضح في الصحافة الاسلامية القائمة الآن التي لم تخرج عن نفس الأصول العامة التي وضعتها العروة قبل مائة سنة بل ان القضايا التي ظهرت في سنوات ما بين الحربين وما بعدها كسقوط الخلافة الاسلامية وانشاء اسرائيل ، وظهور حركات التبشير والتغريب والغزو الثقافي مائها كلها تدخل تحت تلك الأصول وقد كانت مؤامرة النفوذ الأجنبي واضحة تماما لصاحب العروة وكاتبها رحمهما الله رحمة واسعة وأجل مثوبتهم جزاء ما قدما ومكن لكل العاملين على طريق الصحافة الاسلامية الاصيل .

مراجع البحث :

- تاريخ الأستاذ الامام (الجزء الثالث) : محمد رشيد رضا .
- اليقظة الاسلامية في مواجهة الاستعمار : أنور الجندى .
- الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا : أنور الجندى .
- المنار والأزهر : محمد رشيد رضا .
- الشيخ طاهر الجزائري : الدكتور عنان الخطيب .
- مدرسة الأستاذ الامام وأثرها : الدكتور أحمد الشرباصي .
- القاضي الرئيس قاسم بن مهزح : مبارك الخاطر .
- وجهة الاسلام : هاملتون جب وآخرون .

الفصل الثانى

من العروة الوثقى الى المنار

تحدث السيد رشيد رضا فى (المنار) عن (العروة الوثقى) وكيف كان لها اثرها فى تكوينه الثقافى والاجتماعى وفى منهج المنار ، فى أكثر من موضع وعلى مر السنوات الطوال . فائسار الى الدور الذى قامت به فى توجيه الراى العام الاسلامى ، كما نقل فصولا متعددة من العروة الوثقى فى مناسبات متوالية وأعلن أنه وجريده امتداد لهذه الحركة التى أطلق عليها « حركة الاصلاح الاسلامى » كما قارن بين العروة الوثقى والمنار فقال : كل ما صدر من « العروة الوثقى » (١٨ عددا) هزت القلوب وأيقظت العقول وكان الغرض من انشائها : اثاره العالم الاسلامى وجمع كلمته لدفع عبودية الاستعمار الاوروبى وتجديد دولة اسلامية عزيزة تتولى فى ظل حريتها ما يجب من الاصلاح الدينى والدنيوى وكان من رأى السيد جمال الدين أن الثورة اقرب الوسائل لتجديد الملة بالعلم الصحيح والعمل المفيد فى ظل الاستقلال والقوة . أما عرض (المنار) فهو اعداد الأمة لهذا التجديد وأول وسائله بيان أمراض الأمة وأسبابها ووصف علاجها وتأليف الجماعات للتعاون فى المعالجة المطلوبة وكان الأستاذ الامام أول من ناط أهله به فى الاصلاح المطلوب كله وكان يصرح به فى مجالسه لمن يراهم أهلا لفهمه واستعداد لطلبه وهو الذى أغناه عن كتابة وصيته للأمة ، اذ الوصية لا تكون الا كلاما مجبلا ، لما أنشئ « المنار » لبيان مفصلا والناس لا يفهمون من الكلام الا بقدر ما استعدوا لفهمه والاعتبار به ولا يكون ذلك الا بالتدريج .

وقد مضى « المنار » لطيته وما زال بتوفيق الله وحوله وقوته يرتقى فى كل معراج من معارج عمله ، ودون كسبه نظام معيشته فممنشؤه قد نشأ وشب وشاب على الزهد فى الدنيا وجدانا وعملا لا رأيا وعقلا ، فهو يرى أن الزهد لا يجوز أن يتجاوز شعور القلب الى التقصير فى الكسب ، لكن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل ميسر لما خلق الله » متفق عليه ، وروى بزيادة (اعملوا) فى أوله ، وبهذا الزهد يسر الله له أن يتصرف بكل قواه الى الاصلاح والتجديد الاسلامى علما وبحثا ودعوة وحجة ودفاعا

واقناعا حتى صار موضع ثقة خواض المسلمين غير الجغرافيين في العالم الاسلامى كله في اصلاحهم كما قال الأستاذ المرافى شيخ الاسلام وخليفة الأستاذ الامام على اصلاح الأزهر لولوى مشير قدوائى من كبراء مسلمى الهند وقد سألته أن يروى عنه لمسلمى الهند كله فيما يجب عليهم من اصلاح فقال ما خلاصته : « ان المسلمين لا يرجى لهم صلاح الا بالقرآن على الوجه الذى يفسره به المنار » تلك فائدة زهد منشئ المنار في دنياه له وللناس وهى علمية خالصة ، أما مضرة هذا الزهد له فهى مالية خالصة به ، ذلك أنها أوصدت أمامه باب طلب الرزق وفتحت عليه باب الدين ، حتى كادت تقضى على المنار الذى كان مفتاح كل خير فانى لم أستطع أن أعنى بنظام ادارته وضبط حساباتها ولا مراقبته بنفسى ، وانما تركت مطالبة قراء المنار بما له عليهم من حق النفقة لأجل أن أوفيههم حقهم وحق الأمة كاملا بقدر استطاعتي .

(٢)

وفي موضع آخر عرض للعروة الوثقى واثرها في المنار فقال :

أنشأ (الأفغانى ومحمد عبده) جريدة العروة الوثقى لدعوة المسلمين الى الوحدة الصحفية ، وان يجعلوا امامهم الأعظم « القرآن الكريم » أرشدت هذه الجريدة العلماء الى اماتة البدع واحياء السنن كما أرشدت الملوك والأمراء ولا سيما المختلفين في المذاهب (كأهل السنة والشيعة) الى الاتحاد والاتفاق ، وأن لا يجعلوا الخلاف الفرعى في الدين من أسباب التفرق والانقسام الذى يقضى على الجميع فاهتز لها العالم الاسلامى هزة لو طال عليها العهد لزلزلت لها الأرض زلزالا لو طال الأمد على جريدة « العروة الوثقى » لحدث في العالم الاسلامى انقلاب مهم ، ولهب المسلمون من رقادهم ونشطوا لاسترجاع مجد آبائهم وأجدادهم ، ولقد بلغ من غرام نبهاء المسلمين بهذه الجريدة أن حفظها بعضهم عن ظهر قلب . كانت العروة الوثقى قيسامين نور القرآن ونعمة من روحه ، وجدولا من ينبوعه ، خافت الدولة الانجليزية يومئذ مغبة الأمر ، لم تذكر فيها الشئون الاسلامية العامة في الجرائد الا ما يجىء في عرض القول ، حتى أنشأ نابغة الكتاب عبد الله نديم مجلة الأستاذ ١٣١٠ وكتب فيها المقالات الطنانة الربانية في تنبيه المسلمين الى الأخطار المحدقة بهم وبسائر الشرقيين فتر بعدها الكلام عن (الجامعة الاسلامية) حتى وفقنى الله لانشاء المنار لاحياء تعاليم العروة

الوثقى فوضعنا قاعدته على أساسها ، وأضأنا قمة نبراسها الا ما كان فيها من السياسة التى تتعلق بالنسالة المصرية والتحريرى على الانجليز فهذا امر ذهب بذهاب وقته .

قلنا أن (المنار) وافق (العروة الوثقى) فى تعاليمها الاجتماعية وقواعدها التى وضعتها للوحدة الاسلامية وخالطها فى وجهها السياسية المصرية . ونقول أيضا : انه زاد عليها البحث فى حرفيات البدع وتفصيل القول فى التعاليم الفاسدة والعقائد الزائفة والتربية المقيدة ونحو ذلك .

ولهذا يقول قراء المنار انه لم توجد قبله جريدة فى موضوعه وقال صاحب الأهرام ان فى طريق هذه الخدمة خطرا عظيما ، وهو مقاومة أوربا للمسلمين اذا هم حاولوا الترقى من وجهة الدين (ناقشه صاحب المؤيد وصاحب المنار) وفى هذه السنة (١) كثرت الكتابة فى شأن المسلمين فنشر المؤيد كثيرا من المقالات لكتاب من المسلمين فى الشرق والغرب منهم الفقير منىء هذه المجلة : جريدة زمان التركية فى قبرص ، جريدة محمدان الهندية ، جريدة معلومات العربية فى الأستانة ، ثمرات الفنون ، جريدة انحاضر التونسية ، وفى هذين الأسبوعين كتب الأهرام بعنوان الجامعة الاسلامية ثم كتب المقطم ، وناقشه المؤيد وكتب اسماعيل عصبونسكى فى جريدة ترجمان فى القريم ، الأهرام والمقطم متفقان على أن الدعوة الى الجامعة الاسلامية باسم الدين مضره وغير موصلة الى الغاية وانه لا سبيل الى ترقى الأمة الاسلامية الا باتباع خطوات أوربا كما فعلت اليابان (المسلمون ثلاثمائة مليون) اما المؤيد فقد اقترح عقد مؤتمر اسلامى ودعا الى الأخذ بالفنون والصنائع الأوربية ومن الآراء تعميم التربية والتعليم وانشاء الجمعيات والشركات والمننديات العلمية والأدبية وتكثير الجرائد التى ينطق بها المسلمون والعناية بأمر القوة الحربية وتعليم النساء .

واقترح المنار تأليف جمعية اسلامية تحت حماية الخليفة يكون مقرها مكة المكرمة ولها شعب فى سائر البلاد وجريدة مخصوصة وتقوم الأصول على التوحيد فى العقائد والتعاليم الأدبية والأحكام القضائية والتربية والتعليم وتلافى البدع والتعاليم الفاسدة واصلاح الخطابة والدعوة الى الدين .

والنتائج هى اتحاد الحكومات الاسلامية ، ان سبب النهضة التى

تجمع الاسباب كلها هو تعميم التربية العملية والتعليم الصحيح من الوجهة الدينية الجامعة لمصالح المعاش والمعاد . وأكبر عقبة في سبيل ذلك هو ندرة الرجال القادرين على التعليم الذى نريده والتربية التى نبتغيها .

(٣)

كذلك فقد نقل السيد رشيد رضا كلمات كثيرة من العروة الوثقى الى المنار في مناسبات مختلفة مجددا هذه الدعوات الحارة ومن ذلك ما نقله في المجلد الثانى من فهم صاحبه العروة للاسلام وذلك قوله :

الديانة الاسلامية وضع أساسها على طلب القلب والشوكة ، ورفض كل قانون يخالف شريعتها ونبذ كل سلطة لا يكون القائم بها صاحب الولاية على تنفيذ أحكامها ، فالناظر في أصول هذه الديانة ومن يقرأ سورة من كتابها المنزل يحكم حكما لا ريب فيه بأن المعتندين بها لابد أن يكونوا أول ملة حربية في العالم وان يسبقوا جميع الملل الى اختراع آلات المقاتلة واتقان العلوم العسكرية والتبحر فيما يلزمها من الفنون كالطبيعة والكيمياء وجبر الأثقال والهندسة وغيرها ومن تأمل في آية (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) أيقن أن من صبغ بهذا الدين فقد صبغ بحب القلب وطلب كل وسيلة الى ما يسهل لها سبيلها والسمى اليها بقدر الطاقة البشرية فضلا عن الاعتصام بالمنعة والامتناع من تغلب غيره عليه ومن لاحظ أن الشرع الاسلامى حرم المراهنة الا في السباق والرمية انكشف له مقدار رغبة الشارع في معرفة الفنون العسكرية والتمرن عليها . ولكن مع كل ذلك تأخذ الدهشة من أحوال المسلمين المتسكين بهذا الدين لهذه الأوقات اذ يراهم يتهاونون بالقوة ويتساهلون في طلب لوازمها وليست لهم عناية في فنون القتال ولا في اختراع الآلات حتى نافقتهم الأمم سواهم فما كان أول واجب عليهم واضطروا لتقليدها فيما يحتاجون اليه من تلك الفنون والآلات .

(مقدمة الجزء الثانى من العروة الوثقى)

البَابُ الثَّانِي

مجلة المنار : محمد رشيد رضا

- مدخل : عرض عام لخطة المنار واهدافها •
- الفصل الأول : من نشأة المنار الى وفاة الأستاذ الامام •
- الفصل الأول : من نشأة المنار الى وفاة الأستاذ الامام •
- الفصل الثالث : الى سقوط الخلافة الاسلامية •
- الفصل الرابع : المنار الى وفاة الشيخ رشيد •

مدخل

عرض عام لخطة المنار وأهدافها

صدرت من ٢٢ ثوال ١٣١٥ هـ الموافق ١٨٩٨ م واستمرت الى ٣٠ محرم ١٩٥٤ الموافق مايو ١٩٣٥ (٣٤ مجلدا) خلال ثلاثة وثلاثين عاما ، أصدرها السيد محمد رشيد رضا في القاهرة وظل يصدرها الى حين وفاته (في نفس العام) وقد نوه على صدر صفحاتها الأولى أنها « مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وثقون الاجتماع والعمران » .

وقد كشفت منذ عددها الأول عن هدفها الذي يتمثل في العناصر الآتية :

- الإصلاح الدينى والاجتماعى لأمتنا الاسلامية .
- اتفاق الاسلام مع العلم والعقل ومواقفه لمصالح البشر في كل قطر وكل عصر .
- ابطال ما يورد من الشبهات عليه وتنفيذ ما يعزى من الخرافات اليه .

— الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وفى البدء طبع ألف وخمسمائة نسخة من كل عدد أرسلت الى البلاد المصرية والسودانية وكانت لا تلقى رواجاً في أول الأمر ، حتى كانت السنة الخامسة للمنار ١٩٠٢/١٣٢٠ بدأ رواجه وسعة انتشاره ، وقد بدأ على هيئة جريدة أسبوعية ذات ثمان صفحات كبيرة كانت تحمل برقيات الأسبوع وبعض الأخبار ثم وضع في شكله المجلد (الحجم ٧٠ في مائة المعروف الآن) في السنة الثانية وأعيد طبع السنة الأولى وفق هذا الحجم الذى استمرت عليه المجلة الى نهايتها .

يقول : وما زاد المشتركون عن ١/٣ الألف الا قليلا ، وما كان انتقاص عملى منتقاصا شيئاً من أمالى ولا زهد آلامه في المنار باعثاً على جعله طعاماً للنار بل كنت أحرص عليه حاسساً أن الناس سيعودون اليه ، وقد صاه الناس فتعلا وبدعوا يطلبون مجموعات السنين الماضية .

- ٢١ -

قال السيد رشيد رضا في افتتاحية العدد الأول :

فأنشأت هذه الجريدة اجابة لرغبة من تنبهت نفوسهم لاصلاح الخلل ومشايعة للساعين في مداواة العلل ، الذين أرشدتهم تعاليم الدين وهداهم النظر في الآيات الكونية . فتكون الجريدة وصل بينهم وبين الأمة تبعث بارشادهم روح الهمة في أفرادها ، وتحيي ميت العبرة في نفوس أحادهم . ان فرضها الاول الحث على تربية البنات والبنين والترغيب في تحصيل العلوم والفنون واصلاح كتب العلم وطريقة التعلم والتنشيط في مجارة الأمم المتقدمة في الأعمال النافعة ، وشرح الدخائل التي مازجت عقائد الأمة والتي أسست الكثير من عوائدها والتعاليم الخادعة التي البست الغي بالرشاد والتأويلات الباطلة التي شبهت الحق بالباطل حتى صار الجبر توحيدا وانظار الاسباب ايمانا وترك الأعمال المقيدة توكلا ، ومعرفة الحقائق كنرا والحادا .

ويقول : اقتبسنا أسلوب الاجمال قبل التفصيل ، وقرع الاذهان بالخطابيات الصاعدة عن القرآن الكريم . فافتتاحيات المنار زواجر منبهة وبيانات في الاصلاح مجلة ترشد المسلمين الى النظر في سوء حالهم وتندهرهم الخطر المهدد لهم في اشتغالهم وتذكرهم بما فقدوا من سيادة الدنيا وهداية الدين وما أضاعوا من مجد آباؤهم الأولين » .

« صاحب المنار »

ولابد لمعرفة آفاق مجلة المنار من التعرف على صاحبها السيد محمد رشيد رضا : ذلك الشاب الذي ولد في بلدة القلمون (طرابلس الشام) الذي تعرف على الدعوة الاسلامية من خلال المدرسة السلفية المبثوثة في الشام من أمثال الشيخ حسين الجسر ، هذه المدرسة التي تعرفت الى جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده والى كتاباتهما في مجلة العروة الوثقى التي كانا يصدرانها في باريس في مطالع القرن الثالث عشر الهجري وقد قرأ رشيد رضا فصول (العروة الوثقى) وتأثر بها وحاول الاتصال بالسيد جمال الدين الأفغاني خلال اقامته في استانبول ، فلما سبق القدر بوفاته اتجه الى الاتصال بالشيخ محمد عبده في نفس العام ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م في القاهرة ولم يلبث أن عرض وجهة نظره في اصدار مجلة اسلامية على الشيخ الامام مؤسسيها متوجهة في العتاق الثاني في شوال ١٣١٥ هـ الموافق ١٨٩٨ م .

وبذلك ارتبطت الدعوة الإسلامية بين (الشام ومصر) على هدف واحد ، ومن خلال هذه المدرسة ظهر عديد من الدعاة أمثال عبد الرحمن الكواكبي ، والقاسمي ، والرافعي ، و (الزهراوى) صاحب مجلة الحضارة وظاهر الجزائرى .

وقد امتدت حياة الشيخ رشيد رضا مع مجلة المنار الى نهاية المطاف خضبة عامرة بالعمل الإسلامى ، من طريق الصحافة الإسلامية ونشأت فى خلال هذه المرحلة المجلات الإسلامية التى سارت على نفس الطريق ،

ريادة المنار للصحافة الإسلامية

وكانت المنار رائدة حقاً فى رسم الطريق الصحيح للصحافة الإسلامية من حيث عنايتها بالجوانب المختلفة :

أولاً : دراسة العقيدة الإسلامية : فى مجال تفسير القرآن والسنة والفقه والفتاوى .

ثانياً : دراسة أحوال المسلمين فى العالم الإسلامى كله وخاصة البلاد الإسلامية فى معركتها المواجه للاستعمار .

ثالثاً : ظهور حزب الإصلاح الإسلامى الذى قاده الشيخ محمد عبده ومضى فيه رشيد رضا وتلاميذ الامام ، وتبلور مفهوم واضح للإسلام من خلال الفهم المنبعث من المنابع الأصلية .

رابعاً : متابعة أحوال ونشاط الجمعيات الإسلامية فى مصر وتونس والعالم الإسلامى .

خامساً : دراسة المجتمع الإسلامى وأحوال المرأة وإصلاح المحاكم الشرعية ومختلف ما يتصل بالقمار والخمر والزنا والترف والفساد الاجتماعى جملة .

سادساً : التربية الإسلامية وإصلاح التعليم والجامع الأزهر وشئون

سابعاً : مواجهة التحديات والأخطار المنبعثة من الدعوات الهدامة كالبهائية والقاديانية والرد على كتابات الغربيين من خصوم الإسلام .

ثامناً : المؤلفات الإسلامية والتراث المجدد . وقد عنيت المنار بتقديم عرض للمؤلفات الإسلامية الحديثة وما يتجدد من كتب التراث التى كان للمنار وللشيخ محمد عبده دور كبير فى احياؤها :

تاسعا : (الاهتمام باللغة العربية) التعرّض للأدب والشعر والبلاغة وفنون الأدب المختلفة ونشر قصائد الشعر الجيد .

عاشرا : التعرّض لوجهة نظر الصحافة الإسلامية من المجلات والصحف اليومية وخاصة ما يتصل بصحف الحزب الوطنى وغيرها .

رسالة المنار

ولم تتوقف المنار عن التعريف برسالتها فأشار محررها الى ما امتازت به جريدة المنار بالتنويه المتواصل [بأن الاسلام جاء بتعاليم كافية لعروج الامم الى سماء السيادة العليا وبلوغها مراتب السعادة القصوى لأنها أبطلت جميع الاعتقادات التى تحول بين الانسان وبين كماله ، ان أمة هذه قواعد دينها لا يصلح حالها الا بالتمسك بها وما كتبا ممن يسند الى الاسلام ما ليس فيه فان الدين نفسه يحظر علينا هذا ، كيف وقد اعترف للاسلام بمزاياه الشريفة جميع الناظرين فى التاريخ والباحثين فى الملل والشرائع بالانصاف من غير المسامحين حتى ان ذلك ليفيض من أنابيب أقدامهم فيما يكتبون] م ١ /

ويقول : انشأنا المنار من أجل الإصلاح الدينى والاجتماعى لامتنا الإسلامية وبيان اتفاق الاسلام مع العلم والعقل ومواقفه لصالح البشر فى كل قطر وابطال ما يورد من الشبهات عليه وتقنيده ما يعزى من الخرافات اليه .

ويقول : « اننى لم أنشئ المنار ابتغاء ثروة أتأملها ولا رتبة من أمير أو سلطان أعمل بها ولا جاه عند العامة أو الخاصة أباهى بها الأقران بل لاية فرض من الفروض ، يرجى النفع من اقامته وتائم الأمة كلها بتركه فلم أدن أبالى بشئ الا قول الحق والدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فكنت اذا أصبت هذا بحسن عملى واجتهادى فسيان رضى الناس أم سخطوا ، قبلوا المنار أم رفضوا » .

الفصل الاول

من نشأة المنار الى وفاة الأستاذ الامام

المجلد الأول (١٣١٥ هـ - ١٨٩٨ م)

تمثل المنار في هذه المرحلة نموذجا من الصحافة الاسلامية المرتبطة بملهج الأستاذ الامام وتحركاته وصداقاته ووجهة نظره في مختلف القضايا وخاصة بالنسبة للحركة الوطنية والقصر والنفوذ الانجليزي وخطته في العمل في سبيل انشاء حزب الاصلاح الاسلامي ، وقد اشار السيد رشيد رضا الى اهداف المنار في العدد الأول على هذا النحو :

- ١ - الحث على تربية البنات والبنين .
 - ٢ - الرغبة في تحصيل العلوم والفنون .
 - ٣ - التنشيط في مجارة الأمم المتقدمة في العلوم النافعة .
 - ٤ - طروق أبواب الكسب والاقتصاد .
 - ٥ - شرح الدخائل التي مازجت عقائد الأمة والأخلاق الرديئة أنتى أفسدت كثيرا من عوائدها والتعاليم الخادعة التي ليست ألفى بالرشد والتأويلات الباطلة التي شبهت الحق بالباطل .
- وكان رشيد رضا يكرر دائما عبارته : ان الصحيفة الناجحة لا تكون كذلك الا « اذا جاءت بمشرب جديد » ، وقد اعترف صاحب هذا الرأي بأنه جاء ببيان الأمراض الاجتماعية التي طرأت على الأمة الاسلامية والشرق كله والبحث في أسبابها وعلاجها ، والأخطار التي تتهدد الشرق كله والمسلمين فيه والاعتصام بالدين القويم ، والاعتصام بحبل الخلافة ، وعلم العلماء ، وتأليف الشركات المالية ، وتعميم المدارس للبنين والبنات وطبع المؤلفات النافعة وانشاء المنتديات العلمية ، كما اشار الى مضرة مذهب التصوف ، من الامراط في الزهادة وترك العمل للدنيا ، وان شدة زهادتهم في الدنيا كانت سببا لزهادة المسلمين في الدنيا والاخرة .
- وكان سببا في تزايد النزعات الوثنية في المسلمين بسببهم (م ١ - ١٨٩٨) .

المجلد الثاني (١٣١٦ - ١٨٩٩)

وفي العام الثاني تابع الشيخ رشيد رضا دعوته على نفس الأهداف التي رسمها في العام الأول .

وكان أبرز أحداث العام مظالم هولندا في جاوه والحديث عن الاسلام في البرازيل واليابان ومستقبل الاسلام في الصين ومراكش والهند ، ومقدونيا والمسلمون في روسيا .

وكان من أهم ما أولته اهتمامها ثورة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في اصلاح المحاكم الشرعية ، وتأييد كتاب تحرير المرأة لقاسم أمين ، والحديث عن الجامعة الاسلامية وتاريخها .

وقد اشار صاحب المنار الى أهداف المنار مجددا وعرضها في أربعة عناصر :

١ - تبين البدع التي مازجت العقائد والمفاسد التي عرضت للسجاياء والعوائد .

٢ - وتهدى لعلاج هذه الامراض الروحية والادواء الاجتماعية بكشف الحجاب عن وجوه التربية النافعة وتسهيل سبل التعاليم الناجعة .

٣ - وتختار من الآثار العلمية والأدبية والنوادر الفكاكية ما ترتاح له النفوس وتنجلي على نزاهة الهموم والبؤوس .

٤ - أما جوانب الأخبار وحوادث الاقطار والأمصار فنذكر منها أهم ما يعين ، سائقين منهج المؤرخ العادل من غير طعن ولا تحامل .

فالخدمة الصحيحة للدولة والأمة انما تكون بتبيين الرشيد من الغي وتمييز الخطأ من الصواب والتزييل من النافع والضار .

المجلد الثالث (١٣١٧ - ١٩٠٠)

واصلت المنار مهمتها بحماس وإيمان شديدين ، في مختلف المجالات وأولت اهتمامها للتربية فأفردت لها باب واسعا تحدثت فيه عن تربية الاستقلال ومضار القهر والالزام ، ونحدثت عن التربية وعلم الاخلاق وعن التعليم في الأزهر وعن الجمعيات الاسلامية التي بدأت تنمو في مصر وخاصة الجمعية الخيرية الاسلامية ، وقد بدأت المنار مواجهة الدعوات

الهدامة وخاصة البهائية ، كما جاء رد الشيخ محمد عبده على اتهامات هانوتو .

وفي هذا العام جرى العنق عن محمود سامى البارودى ، وتوفى عثمان باشا الغازى وظهرت الدعوة السنوسية وتحدثت عنها المنار .

وقد وضعت المنار على صدرها رمزا متمثلا فى الحديث الشريف :
« ان للاسلام صدوى ومنارا كمنار الطريق » .

وفى مجال الاصلاح الاسلامى تحدثت المنار عن دعوة الشيخ محمد عبده ومطالبه بوضع تقرير يشخص من امراض الامة الاسلامية كلها ويصف دواءه ، وقد وعد الأستاذ بتأليف كتاب خاص فى هذا الغرض يسميه « الاسلام والمسلمون » ونم تزل عوائد الزمان وصوارف البيئة والمكان تحول دون الشروع فيه ، كما اقترح السيد رشيد رضا عليه تأليف تفسير على الوجه الذى يقرأه فى الأزهر يبين فيه امراض الأمم الروحية والاجتماعية ويرشده الى علاجها .

ومن أبرز معالم هذا العام بدا نشر تفسير الشيخ محمد عبده الذى كان يقرأه فى الرواق العباسى بالأزهر مع مقدمة تمهيدية له .

وقد كان من أبرز أبحاثها فى هذا المجلد ما كتبه تحت عنوان : إعادة مجد الاسلام : تساءلت فيه كيف يعود للاسلام مجده .

المجلد الرابع (١٣١٨ هـ - ١٩٠١ م)

فى العام الرابع للمنار واصلت المجلة رسالتها على النحو الذى رسمته منذ اعدادها الأولى وكان الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فى هذا العام بارز الأثر فى حركة الاصلاح الاسلامى ومضى رشيد رضا على اهتمامه بالدولة العثمانية ونقدها نقدا خفيفا متصلا دون أن يكشف خصومته لها أو ولائه للاتحايين الذين كان لهم فى القاهرة تجمع يرأسه السيد رفيع العظم ، ومضى فى مهادنته لنورد كرومر وفى نشر دروس التفسير التى يلقيها الامام فى الرواق العباسى ، وفى متابعة تامة للبدع والخرافات والتقاليد ومهاجمتها وفى العناية بالجماعات الاسلامية ، وقد اهتم المنار بالرد على مشروع التعليم باللغة العامية الى عرضه القاضى وليمور والذى شغل الصحافة طويلا .

وفي هذا العام بدأت الحديث عن الصهيونية (يناير ١٩٠٢) حيث
تكشفت بعض الوثائق عن الجمعية الصهيونية في أوروبا ومساعدتها في إعادة
السلطة والملك الى شعب اسرائيل وعرف ان هذه الجمعية بدأت منذ
عام ١٨٩٧ حيث عقد مؤتمر بال ، كما نشرت في هذا العام فصول الكواكبي
التي هاجم فيها السلطان عبد الحميد ، والتي لم تلبث ان توقفت عندما أجرى
الخدوي الصلح مع السلطان في سبتمبر عام ١٩٠١ ، وفي هذا العام
أيضا توالى مؤلفات محمد طلعت حرب ومحمد نريد وجدى في الرد على
قاسم أمين ووقف المنار في صف قاسم أمين وأنشأ الزهراوى كتابه عن الفقه
والتصوف ، وفي هذا العام أيضا نشرت رسالة القس اسحق طيلر الضامية
عن الاسلام في إنجلترا ، وكان قد كتبها في إنجلترا (ابريل ١٨٨٨) .

وقال السيد رشيد رضا في ختام العام : قبله المنار الاصلاح اندى
واقامة القرآن ومذهب السنة وسيرة السلف الصالحين والائمة المجتهدين
وهو خصم الد لجميع البدع والخرافات والتقاليد والعادات التي التصقت
بالدين وفي يقينه ان الشرق لا يصلح الا بصلاح المسلمين وان المسلمين
لا يصلحون الا بالرجوع الى سيرة السلف الصالح في دينهم من غير زيادة
أو نقصان ومجارة الامم الحية في دنياهم واخذهم بجميع فنونها وعلومها
وصنائعها ، فالاصلاح الدينى هو الذى ينفخ منهم روح الاتحاد الاجتماعى .

وركز على « فريضة الدعوة الى الحق والامر بالمعروف والنهي
عن المنكر » وأن يوفق أمراءنا وحكامنا للبذل والامداد واصلاح حال البلاد
وعلمائنا للهدى والرشاد وأغنيائنا للبذل والامداد وأن يوفق الوالدين لتربية
الاولاد وتنفيخ في الجميع روح الاجتماع والاتحاد .

المجلد الخامس (١٣٢٠ هـ - ١٩٠٢ م)

واصلت المنار رسالتها في عزم وقوة فوالى كتاباتها عن قضية
المسلمين الكبرى : قضية ضعف المسلمين وأسبابه ، والاصلاح الاسلامى
وعرضت لأمراء المسلمين واهمالهم الدين وأولت اهتمامها بالتربية الاسلامية
وكشفت عيوب التعليم العصرى وفساده وحاولت أن تتحدث عن بديل له
تقدمه الجمعية الخيرية الاسلامية ، ولم تتوقف عن الحديث عن اصلاح
التعليم في الأزهر ، وعارضت أفكار الصوفية وما يتعلق بالجن والخوارق
والشفاعة والقطب والكرامات ، وهاجمت الفلسفة الالهية والمفاهيم

العقلية المنحرفة التي جاء بها الاعتزال والكلام ، ودافعت عن مفهوم السنة الجامعة الصحيحة ، كما عرضت لمقارنات الأديان في باب متصل عن شبهات المسيحيين وحجج الاسلام ، كما تناولت الرد على الكتاب الغربيين الذين يهاجمون الاسلام وكشفت في فصول متعددة فضل المسلمين على الحضارة .

وكان أبرز موضوعاتها الرد على الاحتفال بتذكار مرور مائة سنة على محمد على باشا فنشرت فصلا مطولا (بدون توقيع وان عرف ان كاتبه هو الشيخ محمد عبده) قال : محمد على لم يؤسس دينا ولم يكن امام مذهب في دين ، وانما أسس ملكا عضودا بسفك الدماء والقوة والحروب . ان تأسيس محمد على حكومة في بلاد مصر كانت مقدمة لدخول الأجانب فيها واحتلالها اياها . فان محاربة الدولة العثمانية كانت مصدرا لظهار ضعفها للبرية ، ومحاربة الوهابيين وخضد شوكتها وابطال امتداد دعوتهم . كانت دولة محمد على دولة ظالمة منذ أسست الى أن تولى الأوروبيون السيطرة عليها فكان الظلم مصدرا لزوالها وقد زالت دولة المماليك الظالمة الفاشمة . هذا النظام كان مقدمة وتمهيدا لدخول مدينة أوربا الى أوربا ونشر مدينتهم والقاء سيطرتهم عليها بالاحتلال الانجليزي والخروج على الدولة العثمانية ومحاربتها وقهرها واطهار ضعفها . والخواص يعلمون أن الوهابيين كانوا قائمين باصلاح اسلامى لو تم لعاد للاسلام مجده الأول والذين وسوسوا لمحمد على بمحاربتهم هم الأوروبيون الذين ينظرون الى غايات الأمور وعواقبها ، أما ما شاع في بلاد الشام والحجاز أن الوهابيين خارجون عن السنة وملحقون بأهل البدعة مسبب بعض المصنفات التي لفقها العلماء الرسميون المضانون للحكام ، وقد كتب أربعة من الاعلام مقالات في أول العام الهجرى ١٣٢٠ عن مستقبل الاسلام : فريد وجدى ، رشيد رضا ، محمد عبده ، أحمد توفيق البكرى . ودخلت المنار في هذا العام في مساجلات مع صاحب الجامعة ، مع الكاتب الفرنسى رينان ، مع هانوتو .

وفي هذا المجلد تناول صاحب المنار الترجمة للكواكبى ومحمد على

الكبير .

المجلد السادس (١٣٢١ هـ — ١٩٠٣ م)

وفي العام السادس كانت أبرز الأحداث زيارة الشيخ محمد عبده لأوروبا والجزائر وتونس ونصيحته لأهلها كما توغلت الأبحاث في كشف حلقات التغريب والغزو الثقافي في ميادين ثلاثة :

أولا : دراسات عن بولس وتغييره دين المسيحية نقلا عن كتاب الأنجيل للفيلسوف تولستوى ، وعن النصرانية وزلزالها في أوربا .

ثانيا : بحوث في نقد التوراة .

ثالثا : بحوث عن البهائية والبابية بفارس .

رابعا : الماسونية واليهود .

كما اتسعت الأبحاث حول صلة العرب بالدولة العثمانية : والعرب والخلافة وسكك حديد الحجاز والخلافة والسلطان والعرب والدولة .

كما بدأ رشيد رضا في التنبيه الى ما في روايات جرجى زيدان من أخطار ونقد روايتي فتاة غسان وفتح الاندلس .

وقد أشار السيد رشيد رضا في افتتاحية العام الى ما أسماه : انتقال من طور الحذر والسببات الى طور الحيرة والثقات . والحيرة والثقات خير من خدر الحواس وفقد الاحساس لأنها من علامات الحياة . فقد ذهب قوم الى أن وقاية المسلمين من الخطر إنما تكون بالاعتماد على الأمراء والسلاطين والاستماتة في الخضوع لهم وتقديس سلطتهم وملوكنا وان جاروا هم القابضون على بقايا ما عندنا من القوة التي تطامح بها تلك القوى . وذهب آخرون الى أن الملوك والأمراء قد استبدوا بسياسة الأمة بدون مشاورتها قرونا طويلة ، فما كان منهم الا أن أوقعوها في هذا الضعف والهوان والفقر والخللان والجهل بأمر الدنيا والدين . وواجب على الأمة مقاومة استبدادهم ، ومقاومة استعبادهم والزاهم المشاورة في الأمر وتقييد السلطة في الحكم (والمعتقد أن هذا الكلام موجه الى الدولة العثمانية) .

يقول وقد أنشئ المنار لمساعدة العقلاء على السعى في تكوين الأمة عن طريق التربية المالية والتعليم النافع وقد ركزنا الحث على التربية والتعليم ويجب على العلماء والكتاب أن يوجهوا عنايتهم الى تكوين الأمة ويجتهدوا

في ذلك قولاً وعملاً . لهذا كان الإصلاح الدينى شرطاً في الإصلاح المدنى أو شرطاً منه في وضع الاسلام ، ومن مقدمات الإصلاح احياء اللغة اذ لا أمة بدون لغة حية ومنها ازالة حجب الغرور عن حقائق الأمور ، ويقول : ان المنار قد جاء بمشرب جديد يستعذبه الأقلون ويمجه الكثيرون ، أولئك هم أسرى التقليد .

المجلد السابع (١٣٢٢ هـ — ١٩٠٤ م)

والى المنار اهتمامه بأخبار العالم الاسلامى واتسع بريده في عرض قضايا المسلمين في أجزاء كثيرة من العالم فضلاً عن أخبار بلاد العرب ونجد والسودان والدولة العثمانية ، فان هناك رسائل متصلة عن مراكش وسيراليون وفارس وزنجبار والهند وفارس والعراق والحرب الروسية اليابانية والقوقاز واليمن .

والت اهتمامها بالدعوات الهدامة فقدمت إبحاثاً مطولة عن البابية في فارس وكشفت شبهات التبشير فعرضت لكتاب (تنوير الأنعام في مصادر الاسلام) وتحدثت عن الإصلاح في فارس . وعن الامتيازات الأجنبية والأسطول الثانى وعن الدروز وعقيدتهم وعن شريف مكة وعن فرنسا والأزهر حيث نقلت مقالا كتبه أحد الفرنسيين وردت عليه وأولت اهتمامها بالدولة العثمانية كما ركزت على الإصلاح الاسلامى وخاصة في مصر وفي شأن التعليم والتربية الاسلامية وثئون الأزهر والقضاء الشرعى ، ولم تتوقف عن معارضة مفاهيم الطرق الصوفية ، ومفاهيم أهل الكلام في نفس الوقت في محاولة لتقديم مفهوم أهل السنة والجماعة صحيحاً ،

وتحدثت المنار عن علماء العصر ، والدين والسياسة .

وتحدثت عن أحداث نجد وانتصار ابن السعود على ابن الرشيد ، وعلان عبد العزيز آل سعود الولاء لدولة السلطان عبد الحميد الثانى ، ودعوته لآقراره على إمارة نجد الموروثة له والاتقبل الدولة العلية في بلاد العرب ما يزعزع ثقتهم فيها وإذا ونق بها أهل نجد سهل عليها حل عقدة اليمن كذا عقدة الكويت ، وقد وضع اهتمام المنار بانتصار ابن سعود وتأييده له ودعوة الخليفة لقبول ولايته ، كما أولت اهتمامها بالفتاوى ، فقدمت الردود التى كتبها الشيخ محمد عبده عن الأسئلة الباريسية والزنجبارية والهندية ، وكانت الفتوى الترنسغالية في حل ذبيحة النصرارى

في تلك البلاد ، وحل لبس القلنسوة الامرنجية لحاجة أو ضرورة ، وكيف تحل صلاة الشافعي خلف الحنفي ، وعرض لتراجم المتوفين في هذه الفترة والقضايا المثارة حول الشخصيات البارزة أمثال قضية علي يوسف ، واستعراض عباس لجيش الاحتلال والى جواره كرومر ، واقتراض سلطان مراكش من فرنسا واقامة جوقة من المطربين والمطربات ، كما أشار الى الوفاق الودى الذى عقد بين بريطانیا وفرنسا وقال ان الوفاق قضى فيه على مصر بسوء سياسة الأمراء الحاكمين الذين استبدوا في الأمة وأذلوا حتى فقدت الاستقلال الشخصى والقومى ثم سلطوا عليها أوربا وأعطوها من الامتيازات . وعرض المنار لعديد من الكتب الاسلامية الجديدة وكتب التراث والصحف وكشف أخطاء جرجى زيدان في كتابه (تاريخ التمدن الاسلامى) وكشف عن اهتمام شاهين مكاريوس بكتابه تاريخ اليهود وتاريخ الماسونية العميلة ، ومما يذكر أن جرجى زيدان لم يلبث أن كتب عن الماسونية أيضا . وتحدثت المنار عن نمو الجمسية الخرية حيث بلغت إيراداتها ١٣٣١ جنيها بالإضافة الى ١٢٢٣ جنيها من ريع الاطيان (٢٨٠ فدانا) وأنفق على التعليم ٢٤٥٩ جنيها ، واعانة الفقراء ٣٧٣ جنيها .

وفي فاتحة المنار أشار السيد رشيد رضا انه أنشئ لخدمة الأمة والدفاع عن الملة . وقال : انتشر المنار في جميع الأقطار ولا يزال انتشاره في نمو مستمر من غير سعى ولا دعوة تذكر وبدا لنا من الناس ما علمنا به علم تجربة واختيار انه لا ينبغي أن يوثق بكلام أحد في أمور الجد والأعمال العامة التى لاحظ فيها أهواء الأفراد الا من شهدت له الأعمال والأخلاق بالاختبار الصحيح وقليل ما هم . وقال : ان من يريد أن يحترم دين الله وعياله أن لا يعتمد في نجاح عمله الا على تحرى الحق والخير والعلم بحاجة الأمة الى خدمته .

ترجم صاحب المنار في هذا المجلد لثلاثة : على يوسف ، ومحمد شاكر ، وحسين الجبر .

المجلد الثامن (١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م)

واصل المنار رسالته في تحرير العقيدة الاسلامية من التحريف وذلك بكشف الفرق المنحرفة أمثال البابية والبهائية ومعارضة البدع التى تقوم بها الطرق الصوفية وخاصة فيما يتعلق بالتأويل والخرافات

— ٤٢ —

وتحدث عن مشايخ الطرق ، وعلماء الرسوم ومذهب السلف ، كما تحدث عن ذم الخوض في علم الكلام ، كما أولى اهتمامه بالتعليم الاسلامي ، وتعليم اللغات .

وكتب عددا من الفصول عن كشف زيف دعاوى التبشير المسيحي في مواجهة مفاهيم الاسلام وتصدي الدكتور محمد توفيق صدقي لمقارنات الاديان في فصول تحت عنوان (الدين في نظر العقل الصحيح) وتداول . ٤ شاهدا من الكتاب المقدس على تناقضه واختلافه (ص ٧٤٣) كما عرض للشرعية الاسلامية والقوانين الوضعية بمناسبة كتاب على بك أبو الفتوح الذي قال ما أجدر الحكومات الاسلامية باستنباط قوانينها وأحكامها من الشريعة مع اختيار القول الأكبر مناسبة للزمان والمكان وأشار الى كتاب الخراج للامام أبي يوسف المتوفى عام ١٨٢ ، ومن أكبر أحداث هذا العام وفاة الشيخ محمد عبده (مايو ١٩٠٥) وكان هذا الحدث هاما بالنسبة للمنار التي قدمت أبحاث متعددة عن الشيخ المفتي الذي كان قد استقال قبل وقت قريب من المجلس الأعلى للأزهر بعد (يأسه من الإصلاح وادخال العلوم الحديثة) ، وذكرت الصحف أن النفوذ الفرنسي والانجليزي يعاديان الامام في الإصلاح ، وكان الشيخ محمد عبده قد حاول اصلاح التعليم في الأزهر وقد قرأ فيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز كما قرأ شرح التلخيص للشيخ البرقوقي . وقد أشار المنار الى :

- ١ — التفسير والأستاذ الامام .
- ٢ — الامام والثورة العربية .
- ٣ — جمعية احياء العلوم العربية التي أنشأها الشيخ محمد عبده .
- ٤ — الانجليز والشيخ محمد عبده .

واهتم المنار في هذا العام بانتشار الدعوة الاسلامية في العالم وخاصة في الصين واليابان .

واهتم بمذهب السلف ورد على أخطاء الفرق وتحدث عن علم الكلام ، وتحدث عن أعداء الامام في الأزهر كالشيخ عليش ، وغيرهم ممن أسماهم المنار علماء الرسوم ، كما عرضت لعدد من المؤلفات الجديدة .

ترجم صاحب المنار في هذا المجلد للشيخ محمد عبده ، وعلى أبو الفتوح .

وفي افتتاحية المجلد الثامن يتحدث الشيخ رشيد رضا حيث قال :

انه ما وقع تغيير الا بدعوة ، وان دعاة الخير والاصلاح في كل أمة كانوا ممقوتين من أصحاب السلطة مضطهدين من رؤساء الأمة ، أولئك الذين حبس خيارهم مثل الامام أبى حنيفة حتى مات في السجن وجلدوا الامام مالكا والزموه بيته حتى ترك الجمعة والجماعة واضطروا الامام الشافعى الى الفرار من بغداد خوفا على دينه أو نفسه ووطنوا الامام أحمد بالنعال وما زالوا من تلك انعمصور يفتنون أهل العلم والتقوى حتى تم لهم بطول الزمان افساد الدين والدنيا .

وقال : ان انتقال الأمم من حال الى حال لا يكون من الرؤساء المترفين ولا يأتى باختيار الأمراء والسلطين ، وانما يكون بتغيير افراد الأمة ما بأنفسهم من الأفكار والعقائد والأخلاق والسجايا .

فاذا غير المسلمون ما بأنفسهم بالتدريج يغير الله ما كان بهم من عرة العلم والقوة وسيادة العدل والفضيلة ولن يغير ما هم الآن فيه الا بعد الرجوع الى ما كانوا عليه وشرطه قلع جرائم التقليد واجتثاث شجرة التعصب للمذاهب وأساسه جمع كلمة الأمة وتحقيق معنى الوحدة ، ولا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها كما قال الامام مالك بن أنس صلح أول هذه الأمة بهدى كتاب الله وسنة نبيه ، وهدهم ذلك الى كل اصلاح صورى ومعنوى .

قطع الآمال من السياسة والسياسيين وترك الاتصال بالرؤساء والحاكمين والانخداع لأنصارهم وأشياهم لئلا يصرفوكم عن الجد باصلاح النفس الى الهزل بارضاء الحس فانهم طلاب مال وجاه وطلاب رتبة ووسام وأصحاب أوهام .

أدعوكم الى حقيقة الاسلام والتأليف بين المسلمين .

وأشار الى ما كان قبل صدور المنار من حيث كانت الصحف تطعن في القرآن وتشنع على شريعة الاسلام ، ولم توجد فيها صحيفة اسلامية ترد شبهات الطاعنين وتؤيد العقائد بالحجج وتبين حكم الأحكام وانطباقها على مصالح البشر في كل زمان ومكان حتى اذا انشئ المنار نقم منه المتجربون بالدين ونقده المبتدعون وهاج عليه أصحاب المذاهب المبعوضون لانه يقول اب الوهابية السلفية والاشاعرة والماتريدين والشيعة والاباضية كلهم

— ٤٤ —

مسلمون وانه يجب عليهم تحكيم الكتاب والسنة فيما هم فيه مختلفون
ان الدين من حاجات البشر الطبيعية وقوة من أعظم قوتهم المعنوية .
ان الاعتقاد في الامة قوة لا تغالب .

وأشار الى ما ذكرته المؤيد عن المنار : أمضى سنوات هذه المجلة
مناجرا على الخدمة المليئة بالصحة محاربا البدع المضللة ، يبارز المبتدعين
غير هباب ويعتمد في أبحاثه غالبا على الحق الغالب من مفاهيم السنة
والكتاب ، ولذلك كان كلامه مرا على انواق الذين يخطون الدين بغيره
ويظنون أو يزعمون أنهم أئمة أهله .

الفصل الثاني

المنار : الى الحرب العالمية الاولى

بعد وفاة الأستاذ الامام مضى المنار في طريقه حاملاً لواء رسالة الإصلاح كما بداها الشيخ محمد عبده وعلى هدى من الخطة الجامعة بينه وبين جمال الدين الأفغاني ، وقد صمد السيد رشيد في هذا المجال صموداً قويا وواصل اتمام التفسير والفتوى ومواجهة أحداث العالم الاسلامي وقضاياها والكشف عن سموم التبشير والتغريب والغزو الثقافي على نحو قوى ، وحاول الاستفادة من الدولة العثمانية لتحقيق هدفه في بناء مدرسة الارشاد وتخريج الدعاة بعد سقوط السلطان عبد الحميد وقيام الاتحاديين ولكنه ما لبث أن اكتشف عداة الاتحاديين للإسلام فهاجمهم هجوما عنيفا وقصر عمله على مصر وان ظلت أجنحته ممتدة بالدموة والارشاد من جاوة الى المغرب في قوة واتصال .

المجلد التاسع (١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م)

توسع اهتمام المنار بتصحيح العقيدة وبيان مذهب اهل السنة والجماعة بمراجعات واسعة مع كل الفرق والآراء ومهاجمة الطرق وتقاليدها ، والكشف عن الفوارق بين المقلدين والمصلحين في تصحيح العقيدة ومناقشة الشيخ محمد بخيت عن نظرياته في الفونفراف والسكورقاه .

ومتابعة تاريخ الأستاذ الامام ونشر ما ذكره كرومر في تقريره عام ١٩٠٥ عن حزب الشيخ محمد عبده والامل المعقود عليه .

ويواصل رسالته في التربية الاسلامية والعناية باللغة العربية ومهاجمة الفكر الوافد والاستشراق والتبشير ، وبدع المتصوفة وفرق الباطنية والبهائية ويطلق عليها اسم (الباطنية) كما يتعرض للكتب القديمة ناقدا اياها . ويتحدث عن الاسلام في العالم وانتشاره في اليابان والصين وموقف الغرب من العالم الاسلامي ومن الدولة العثمانية ، وقد عرض لكتاب مرجليوت عن النبي صلى الله عليه وسلم وينقد ما جاء في هذا الكتاب ويعنى باتباع حزب الإصلاح فيهتم بتولى سعد زغلول وزيرا للمعارف

كما نقد ادريس راغب من سروات المصريين الذى اعترض على تعليم الدين فى المدارس ، والمعروف أن ادريس راغب هو رئيس المحفل الماسونى فى القاهرة .

ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد : للشيوخ محمد بخيت ، سعد زغلول ، أحمد خان الهندى .

وقد تحدثت افتتاحية السنة التاسعة من المنار عن أحوال المسلمين فقال :

ان المسلمين أمسوا كالكريش فى مهب الحوادث وكالفئاء فى مجرى سيول الكوارث لا رأى لخواصهم فيما يراد منهم ولا شعور لعوامهم فيما يراد بهم ، وللأجانب فى تصرف حكائنا فى سياستنا ويد فى تصرف أموالنا فى مصلحتهم دون مصلحتنا ويد تطبع الأرواح بأخلاق وعادات تنافى آداب ملتنا وتوقع فى العقول عقائد وأفكارا تقوض بناء وحدتنا ، فأى شئبقى فى أيدينا من شؤون امتنا ، اللهم انه يقتل فينا من بقى له أذن تسمع وعين تبصر وقلب يشعر وعقل يفكر ، ويقتل فى هؤلاء القليلين من له ارادة تتوجه الى عمل للأمة وثبات فيما تحاول من كشف الغمة . انه لم تستيقظ أمة من نومها ولم تبعث دولة من موتها الا بصيحة نفر من أولى الألباب وتستغنى العقول والآداب الذين يغير الله ما فى نفوس أقوامهم بما يليق به من الحكمة فى ذلقة السنتهم ونفثات أقلامهم فيستبدلون الاعتصام بالانفصام والاتفاق بالشقاق والوحدة بالفرقة ، وبذلك يشعر الأفراد بمعنى الأمة ويعملون بالتعاون فيكونوا أمة : « سنة الله التي قد خلت من قبل وخسر هنالك الكافرون » وما (المنار) الا صحيفة أنشئت لتأييد دعاة العلم للأمة والعمل لها سواء منهم من دعا الى الإصلاح معها ومن يدعو اليه معها ولتكثير سواد الدعاة الذين يتعلمون للأمة ويعملون للأمة ، ويحيون للأمة ويموتون فى سبيل الأمة ، مهتدين بهدى كتاب الله المتين وسنة خاتم النبيين والمرسلين الذين هما ينبوع الهداية واتباعهما عنوان السعادة .

ويقول : القرآن حجة على شعوب المسلمين فى هذا العصر بما أصابهم وأصاب دولهم من الخسر الذى جنبه الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ، ويأخذ الأمم والدول ايهاهم أخذا وببلا « ولئن جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » .

— ٤٧ —

نعم : ان المؤمن يبطل ويفتن ، ولكنه لا يهن ولا يحزن ، بل يصبر حتى تكون العقوبة للمتقين « ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين » .

نعق ناعقون بأنه لا نجاة لكم الا بفناء ارادتم في ارادة حكامهم ، ولا يتغير ما في انفسكم من اوهام وخرافات ، وصاح خطيب فقيه الوطنية انه لا حياة لكم بالرابطة المالية لانها ممقوتة في نظر اهل المدنية الغربية الذين سادوا بترك العصبية الدينية . انهم لا بغون بدعوة الوطنية الا العصبية الجاهلية والهوى : اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا واخذنا الاجانب من ناحية سلطتهم اخذا وببلا فما اغنت عنا ذلة العبودية لهم مثيلا . لا سبيل اليه الا باتباع هدايته والسير على سنته في خليفته ، عليكم ان تجيبوا داعى الله وتكونوا من حزب من اعطى العفو من ماله لاعلاء كلمة الله ومواساة عياله واتقى اسباب الفتن والحن والفواحش ما ظهر منها وما بطن .

واستطرد صاحب المنار يقول : هداية القرآن : الذى دعا الى جميع الاصول التى فيها سعادة الانسان فجعل البرهان العقلى اساس العقائد امام بناء الآداب والاحكام على قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد ، وارشد الى ما لشئون البشر الاجتماعية من السنن الثابتة او النواميس الطبيعية ، واثبت ان الدين القيم الذى جاء به الاسلام هو اقامة سنن فطرته التى فطر عليها الانام ، فالاسلام عبارة عن اصلاح العقول بالعقائد اليقينية واصلاح النفوس بالأخلاق المرضية .

اما حزب الشيطان وانصار الظلم والعدوان فسيقولون ان هذه الدعوة الى هداية القرآن هى اجتهاد أقل بابيه فى هذا الزمان والداعى انيها عدو مبين لاهل الايمان . ومن هؤلاء من يلقي تبعة هلاك المسلمين وضياع الاسلام على عواتق اهل السلطة المستغلين على الاحكام ومنهم من يحيل على القضاء والقدر ومن ورائهم قوم آخرون مرقوا من الدين وانكروا التقليد ولم يعرفوا الحق اليقين . يقولون لا رجاء للمسلمين بحياة مليية ولا أمل باقامة حكومة اسلامية ، فاذا لم يحيا حياة وطنية فلا حياة لهم . واذا لم يعتنقوا خطوات أوربا فلا مدنية لهم . ولم نر دعوة انكرها الرؤساء

الرسميون والامراء المستبدون الا دعوة هذه الأمة الى الاهتداء بالكتاب والسنة ، فلقد قاوموا المنار وآزوا الأهل والانصار .

المجلد العاشر (١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م)

يتميز هذا العام العاشر من عمر مجلة منار الاسلام بأحداث هامة منها استقالة اللورد كرومر وتوسع في عرض صفحات مجهولة من تاريخ حزب الاصلاح وخاصة ما يتعلق بتاريخ الجامعة الاسلامية ودور جمال الدين ومحمد عبده فيها وكتاب التاريخ السرى للاحتلال الذى ألفه بلنت .

وواضح الاهتمام بأصدقاء الشيخ محمد عبده : حافظ ، وسعد زغلول ، ومعارضة مصطفى كامل واللواء ، والخلاف بين المنار واللواء والاهتمام باللغة العربية ونادى دار العلوم حيث ظهرت دعوة العابية وقاومها الدرعميون وألقيت أبحاث هامة لأحمد السكندرى ، والشيخ محمد الخضرى وقصيدة حافظ ابراهيم : رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى ، كما تناول قضية التعريب والترجمة ، كما أولى اهتمامه بمقارنات الأديان ، وقد ترجم هذا العام انجيل برنابا الذى طبعه المنار وقدم له السيد رشيد رضا وتحدث عن قضايا أهل الكتاب ، وتناول الحديث قضايا اجتماعية على جانب كبير من الاهمية ، منها الربا وودائع البنوك ، وقد توسع فيها ، والاصلاح الاجتماعى والبغاء ، وقدم المنار كتابا عن البغاء فى مصر الفه الدكتور بورفالييس باللغة الفرنسية وترجمه داود بركات وحديث من مراقبة العاهرات وعدد المصابين) . وأولى اهتمامه بالسلطان عبد الحميد والشاه ناصر الدين شاه الفرس ، هذا فى الجانب السياسى ، أما فى جانب العقيدة الاسلامية فقد مضى فى طريقه الى تأصيلها والى الدعوة لمذهب أهل السنة والجماعة فكتب فصولا مطولة عن الامام الغزالى ، والخلاف بين معاوية وعلى ، وتناول مذهب أهل السنة والجماعة لابن تيمية .

وتناول الاصلاح الدينى واصلاح الأزهر وتاريخ أول مصحف طبع ، وتناول التربية الدينية فى مصر وزيارة اسماعيل صبرنسكى لمصر ودعوته الى الجامعة الاسلامية وقدم شهادات لكتاب الغرب عن عظمة الاسلام منها شهادة مسيو وامبرى ، وقد احتفل فى هذا العام بمرور عقد (عشر سنوات) على ظهور المنار وما لاقاه رشيد رضا من الصعوبات فى نصره الحق .

— ٤٩ —

وقد افتتح المجلد العاشر بامتناحية أشار فيها الى عمل المنار وخططه :

١ — تربية البنات والبنين .

٢ — اصلاح كهب العلم وطريقة التعلم .

٣ — شرح الفضائل التي مازجت عقائد الأمة وشبهت الحق بالباطل حتى صار انكار الاسباب ايمانا وترك الأعمال المفيدة توكلا ومعرفة الحقائق كبرا والتعلق بالخرافات صلاحا واختبال العقل ولاية والخضوع والذل تواضعا والتقليد الأعمى علما واتقاناً .

٤ — درء الشبهات الواردة عن الشريعة الاسلامية ودحض مزاعم من زعم انها حجاب بين العاملين بها وبين المدنية .

٥ — اقناع ارباب النحل المتباينة بان الله تعالى شرع الدين للتعاب والتواد والبر والاحسان .

وقد استهلك حديثه بهذه العبارات :

ايها الشرقي المستغرق في منامة قد تجاوزت حد الراحة فتنبه من سباتك وانظر الى العالم الجديد فقد بدلت الارض غير الارض واستولى اخوك الغربي المستيقظ على قوى الطبيعة فقرن بين الماء والنار واوقدهما البخار واستخرج الكهرباء والنور واخترق الجبال واختبر اعماق البحار . ويتول الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضتان في الدين حافظتان لجميع الفرائض ومرغبتان في جميع الفضائل وتركهما معصيتان كبيرتان مسهلتان للنسوق والعصيان .

وواضح من خطوات المنار :

١ — خلاف حزب الشيخ محمد عبده والمنار مع الحزب الوطني ومصطفى كامل .

٢ — مدحه لكرورم وللطنى السيد وسعد زغلول باعتبارهما من مدرسة سعد زغلول .

٣ — متابعة رشيد رضا لنقد الانجيل ونشر لباب الانجيل للفيلسوف تولستوى ونشر فصول من انجيل برنابا .

٤ — اولى اهتماما كبيرا للوقف دار العلوم من اللغة العربية والحرب المشنونة عليها عام ١٩٠٧ وقد تبين بعد انقسام نادى دار العلوم ان المهمة

— ٥٠ —

الأولى هي خدمة اللغة العربية ، ومراجعة مسألة أسماء الأجناس الأعجمية التي يراد ادخالها في اللغة العربية ، هل تعرب تعريباً أم تؤخذ بالترجمة وقد نشر خطابين للشيخ محمد الخضري (الذي طالب بإنشاء مجمع اللغة العربية) وخطاب للأستاذ أحمد السكندري .

٥ — الانتقاد على فريد وجدى في كتابه (كنز العلوم واللغة) .

٦ — وجه عناية الى قضايا المجتمع في ضوء الاسلام وخاصة بالنسبة لعمل المرأة في التمثيل .

ترجم صاحب المنار في هذا العدد للشخصيات الآتية :

حسين عبد الرازق ، كرومر ، سعد زغلول ، بلنت .

المجلد الحادي عشر (١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م)

في هذا العام من المنار بدأ الشيخ رشيد رضا يتألق بقوة ، فقد استطاع أن يتخلص من الموصفات الخاصة التي كانت تحصد من صراخته وجرائته وإعلان كلمة الحق بعد أن توفى الشيخ محمد عبده وأخرج كرومر وعزل السلطان عبد الحميد ، فقد بدأت أوراق كثيرة كانت مذكورة ، تتكشف من حقائق كثيرة مرت في السنوات الماضية ولكنها عرضت في تحفظ شديد ، وأهم ما في ذلك موقفه من مفهوم أهل السنة والجماعة الذي حرره بعيداً عن الفلسفة والكلام والاعتزال والمنطق ورجع به الى أصوله الحقيقية التي عرفها الأئمة الغزالي وابن تيمية وابن القيم ومن تابعوا طريقهم .

وقد أولى اهتمامه بخمس قضايا أساسية :

الأولى : الرد على شبهات المستشرقين ومن تابعهم من كتاب العرب وفي مقدمتهم كانياتي وجرجي زيدان الذي واصلت المنار الرد على أخطائه وتجاوزاته في مختلف كتبه عن التمدن الاسلامي والأدب العربي .

الثانية : الرد على شبلى شميل ومفاهيمه المادية .

الثالثة : عرض آمال حركة الاتحاديين في الدولة العثمانية وآماله في الالتقاء بين العرب والترك واهتمامه بصدور الدستور العثماني .

الرابعة : الرد على كرومر في كتابه الذي نشره بعد سفره من مصر تحت اسم مصر الحديثة وقد عاود الشيخ رشيد رضا مراجعة مختلف القضايا

الخاصة بموقف النفوذ البريطانى وكرومر من الاسلام وخاصة فيما سبق النظر فيه على نحو من التحفظ لوجوده فى مصر اذ ذاك ممثلا للسلطة البريطانية التى كانوا يطلقون عليها السلطة الفعلية .

الخامسة : متابعة أبحاثه فى كشف الباطنية (البهائية والبابية) كما يتابع دراسته حول أخطاء الطرق الصوفية (النقشبندية والرفاعية) .
السادسة : اهتمامه باللغة العربية والدراسات المتصلة التى قدمها فتحى زغلول وحفى ناصف فى مواجهة الحملة المركزة التى قام بها خصوم الاسلام ، كما تناول فى أبحاث أخرى العربية وانتشارها .

السابعة : عرض ما كتبه بعض علماء الغرب عن الاسلام ، وقد عرض بحث مسيو رينيه مپليه الذى ألقاه فى مؤتمر أفريقية الشمالية عن الاسلام والمدنية .

الثامنة : عرض قضايا الاسلام المتصلة بالمجتمع والحياة العامة وخاصة ما يتعلق بالربا والتربا والقرآن والعلم ، ومبادئ الاقتصاد السياسى والدعوة الى علم تدبير الثروة ، كما عرض الدكتور محمد توفيق صدقى للآيات العلمية فى القرآن (الرياح والجبال والثمار والليل والنهار) .

التاسعة : وأصل دراسة آثار الشيخ محمد عبده وتلاميذه ومواقفه وصلته بجمال الدين الأفغانى .

العاشرة : متابعة نقد الشبهات المثارة حول الكتب القديمة المقدسة ، كما كتب مقدمة لانجيل برنابا الذى اكتشفه وأعاد طبعه بالعربية ، وفى هذا العام تحدث عن المسلمون والقبط بمناسبة مؤتمر الأقباط ومؤتمر المصريين ورد الشبهات التى يرددها الافرنج على بعض آيات القرآن والعلم ، وقد قدم الدكتور محمد توفيق صدقى فصولا متوالية عن قضايا مثارة فى القرآن والكتب المقدسة ، منها : ذو القرنين ، والسامرى والمجلى ، وميراث بنى اسرائيل ، وموت سليمان ، ويفسر آيات عدم صلب المسيح ، وهامان وزير فرعون ، وأموال قارون ، والبعث الجسمانى .

ويعد العام الحادى عشر أخطر سنوات المنار فقد برز فيه مفهوم حزب الإصلاح فى مهاجمته السياسة للحزب الوطنى ، وللاتحاديين فى تركيا ، ومهاجمة الخرافات والدجاجة والمقلدون والانطلاق تحت لواء السنة والتزويل على هذا تعبير رشيد رضا .

« لا خوف على الحق الامع الاستبداد ، بمنع حرية العلم والارشاد »

وقال لا تخاف على دعوة الإصلاح في هذه البلاد — يقصد مصر .

وقال : ان للاسلام ثلاث مراتب أو مظاهر (١) التقليد : وعليه أكثر المسلمين المعتقدين (٢) البصيرة : وعليها نفر من العلماء المتخصصين (٣) والجنسية : التي تشمل المارقين من المتفرجين ، ويقول : ان المتفرجين يفتنون العامة عن تقاليدهم باسم المدنية وشبه العلوم والفنون العصرية ويحطون جنسهم الاسلام بدعوتهم الى الجنسية الوطنية ، وقال ان مصارعة الجنسية الوطنية للجنسية الاسلامية : مجهولة العواقب ويقول : لا تفرنكم حوامل المدنية ولا تفتنكم سلطة الأهم الأوربية وان الفساد قد طرا على جسم هذه الأمة منذ زمن بعيد فهو يحتاج الى تكوين جديد « ومن المبشرات أن نرى المسلمين قد تنبهوا الى الحاجة الى هذا التكوين ولكن اختلفت فيه الآراء وعبثت به الأهواء . الى أن ينهض زعيم من الأمة يدعو المنار الى اقامة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر « وفتح باب المناظرة التي تعلم كل واحد من المناظرين ما لم يكن يعلم ، وقطع السنة أهل الدعوى والمعتقدين للهوى من غير بينة فيما يقولون ، ودعا الى انتقاد المنار بتحري الحق والارشاد في كل ما يكتب ، ويعتقد اننا عرضة للخطأ مهما بذلنا من الجهد في تحري الاصابة ، وغرضنا من الانتقاد تكميل أنفسنا ومساعدتنا على ما نتوخاه من الارشاد .

وقد توفي الزعيم مصطفى كامل رئيس الحزب الوطنى في هذا العام ونعاه رشيد رضا وحياه بتقدير بالغ بالرغم من خلافهما السياسى والثقافى وأشار الى « أن دعوته كانت موجهة لجعل الوطنية جنسية للمسلمين فأنكرتها في المنار بالبرهان اليقين وأكثر من الكتابة فيها ، وقال كما انتقدت عليه الارجاف بمسألة الخلافة العربية اذ كان كتب أن في مصر من يسعى لها سعيها وبينت وجه الضرر فكبر ذلك عليه وقطع المبادلة الصحفية » .

وفي خاتمة المنار عرض السيد رشيد رضا الى خطة العمل خلال العام الحادى عشر من المنار فقال . انها خير سنة مرت بنا نعددها فاتحة حياة جديدة لنا ولأمتنا ، كيف لا وهى سنة حكومة الشورى والدستور ومحو آية ليل الظلم بآية العدل والنور ويعلق على الدعوة المثارة الى اقامة تمثال للزعيم مصطفى كامل فيقول : المقلدون للفقهاء وهم التسواد الأعظم وفقهاء

المذاهب الأربعة وهؤلاء يحرمون نصب التماثيل والثاني المتبعون للدليل :
ان نصب تماثيل لمصطفى كامل لا يخلو من المعنى الوثني الذي يعترف المنتقد
بأنه على خط نصب التماثيل ، ويقول : ان كثيرا من الأصنام التي عبدت
كانت تماثيل لأناس عظمهم قومهم تعظيما دنيويا ولما طال عليها العهد عبدت
وصار يتوسل بها الى الله ، وتطلب منها الحاجات فسسد الدين هذا الباب
سدا محكما .

ترجم صاحب المنار في هذا المجلد لـ : مصطفى كامل ، خير الدين
التونسي ، فتحى زغلول ، حفنى ناصف ، سليم البشرى ، قاسم أمين .

م ١٢ (١٣٢٧ هـ - ١٩٠٩ م)

في هذا العام وقع أعظم حدث في تاريخ المنطقة وهو اسقاط السلطان
عبد الحميد ، ويولى المنار الاهتمام البالغ لهذا الأمر ويظهر فرحته الشديدة ،
ويكشف عن تاريخ طويل كان بداية في السنوات الماضية حينما كان يتحدث
عن الاستبداد وسلطان الملوك والحكام وكان يقصد به السلطان عبد الحميد،
وتتابع المنار وقائع الأحداث بتوسع كبير فالمعروف أن السيد رشيد رضا
من اقليم الشام الذى كان له خلاف عميق مع الدولة العثمانية لن ينتهى
بسقوط عبد الحميد بل ربما يكون قد بدا في عهد الاتحاديين الذين خدعوا
صاحب المنار كما خدعوا كثيرين بمظهرهم في أول الأمر ، ولذلك فقد سارع
السيد رشيد رضا بالسفر الى الأستانة لبحث أمور الدعوة الإسلامية
والتعرف على وجهة الاتحاديين وكان هدفه من ذلك التقريب بين العرب
والترك وانشاء مدرسة الارشاد الإسلامية العليا لتخريج دعاة اسلاميين
ليبشروا في البلاد الإسلامية وقد جامله الاتحاديون دون أن يحققوا به أى
هدف ولم يكشفوا عن أوراقهم ولا أهدافهم التى تكشفها الايام من بعد .

وفي هذا المجلد دراسات وافرة من الاتحاد والترقى ، والعرب
والترك ، وعن السلطان عبد الحميد ، وعن آل عثمان وملكهم ، والولايات
العثمانية واستقلالها والانتقال العثماني وصداءه في الصحف الهندية وغيرها،
وعشرات الموضوعات حول هذا الشأن وعن السلطان محمد رشاد خليفة
المسلمين الجديد وشريف مكة وشيخ الاسلام ، والعرب والعثمانيون والنفخ
العربية مما ينفع به أى دارس لهذه المرحلة .

- ٥٦ -

ولم يمنع هذا من استمرار المنار في أبوابها العامة وموضوعاتها التي سبق أن طرقتها وواصلت دراستها وخاصة ما يتعلق بمقارنات الأديان وأهل الكتاب ، وما يتعلق بالباطنية والمتصوفة ، وبالتعصب الدينى عند الأفرنج وعن أوربا والإسلام وعن الدعوة الى الإصلاح الإسلامى وما يتصل بالقرآن واللغة العربية والتعليم والتربية الإسلامية وأدب المرأة وكتابات باحثة البادية ، وعرض بعض كتب التراث الإسلامى المجدد وخاصة ما يتعلق بالتوحيد وتحرير المفهوم الإسلامى على النحو الذى يؤمن به أهل السنة والجماعة ، كما عرض للتبشير ومدارسه وللمدرسة الكلية الأمريكية فى بيروت ومدارس النصارى ،

وواصل دراسته للإمام الغزالى وكتب عن ابن تيمية والشافعى ، وقضية النسخ فى القرآن ، وفتاوى ابن تيمية ، كما عرض لسندات البنوك وموقف الإسلام منها ، وموقف الإسلام عن نظرية دارون وقدم دراسات عن شخصيات مختلفة منها حسين الجبر بمناسبة وفاته ، والأستاذ الإمام وسليم البشرى شيخ الأزهر وشبلى شميل ومحمود شوكت قائد الانقلاب .

وأصبح المنار يولى اهتماما بموقف اليهود من البلاد الإسلامية والقضايا التاريخية وقد كتب عن رحلة القسطنطينية فصولا اضافية اشار فيها الى أن رحلته كانت « من أجل امرين عظيمين احدهما وهو إجلها خدمة الدين الإسلامى وتجميع المسلمين ، وتانيهما خدمة للدولة العلية من حيث هى حكومة الدستور انقائم على العدل والمساواة ولعنصرى الأمة العثمانيين الكبيرين : أما الأول فهو انشاء معهد دينى علمى فى العاصمة العثمانية للتربية الإسلامية الصحيحة الكاملة بالتزام آداب الإسلام العالية والجمع بين هذه التربية والتعليم الإسلامى ومن منافع المعهد الإسلامى تعزيز دولة الخلافة وتأييدها بجعل عاصمتها منبعاً للإسلام وكعية معنوية لطلاب علومه وآدابه وتخريج العلماء الذين يقتدرون على الدفاع عن الدين على النحو الذى كان يدفع به محمد عبده مثل رنان وهانوتو وتخريج الدعاة الى الخير والمرشدين للأمة . ليس الغرض ان تكون الحكومة العثمانية هى التى تنتهى المعهد الإسلامى فان الحكومات تعجز ، وانما الغرض أن يقوم بهذا العمل جمعية من محبى الإصلاح العلماء الصالحاء . عرضت المشروع على رئيس حكومتها الصدر الأعظم حسن حلمى ، ومنهم محمود شوكت وأعضاء

مجلس الأمة وأشهر رجال جمعية الاتحاد والترقى فكلمهم أظهروا الإعجاب به
والاعتراف بفوائده .

أما الأمر الآخر « فهو إزالة سوء التفاهم بين عنصرى الدولة ، الأكبرين :
العرب والترك . وقد شرحت هذا فى مقال مطول نشرته جريدة اتسدان
فصايف استحسناتنا والمشهور عندنا عن سياسة الترك أنهم يخافون ويحذرون
من قيام العرب بتكوين دولة عربية أو خلافة عربية فى جزيرتهم وأن هذا
الخوف قديم وقد قدمت الأدلة على كذب هذا الادعاء .

« أن جميع من أعرف من عقلاء العرب متفقون معى على وجوب تدارك
ما قوى الآن من سوء التفاهم ولما جئنا الأستانة رأيت كثيرا من عقلاء
الترك يميلون الى هذا . وبلغ من سوء ظن بعض ساسة الترك بالعرب
ما اثرتنا اليه ولاسيما مساله الشام ، بلغ من سوء ظن العرب بالترك أن
قال لى أكثر من واحد من اذكيائهم ، واهل الراى منهم بمصر والأستانة إن
وزراء الدولة ورجال جمعية الاتحاد والترقى لا يقدرّون مشروعاتك الاصلاحية
خفى قدرهما ولا يعرفون فيه اخلاصك لانك عربى » .

● نرجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : رفيق العظم ، حسين
أبىسر ، جمال الدين القاسمى ، سليم البشير .

م ١٢ (١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م)

تابع السيد رشيد رضا فى هذا المجلد خطته الاصلاحية فى مجالانها
المختلفة ، ماولى اهتمامه للتقضايا الفكرية والسياسية والاجتماعية فى الوطن
الاسلامى كله وسافر خلال هذا العام الى القسطنطينية ليكتشف الحكومة
الانحادية التى تولت شئون السلطة بعد عزل السلطان عبد الحميد وكان
من المؤيدين لها فى حماس شديدة غير انه لم يلبث أن غير رأيه بعد أن
اكتشف حقيقة موقفهم من الاسلام وتابع قضية الدولة العثمانية كقضية
أساسية (باعتباره سوريا فى الأصل) وباعتبار أن الدولة العثمانية هى
مفتاح السياسة الاسلامية كنها لوجود دولة الخلافة بها ولارتباط البلاد
العربية معها . عرض لموقف انكثرا من الاسلام .

وتابع انتشار الاسلام فى افريقية وأمريكا وأوربا وكشف صفحات عن
تعصب أوربا عن الاسلام كما عرض لبعض شهادات المنصفين وعن مهدي

٥٩

السودان ومسلمو جياوه وروسيا والنمسا والهند ، كما عرض لفضيلة
الاصلاح الاسلامى ، وتحدث من الشريعة الاسلامية والحكومة الاسلامية
والاقتصاد ،

كما اولى اللغة العربية اهتماما بالغا وقدم عددا من الابحاث وما يتصل
بالتربية الاسلامية والازهر ودعاوى اصلاح نظم التعليم فى المدارس الدينية
وتابع مقارنات الاديان بالرد على المبشرين من خلال نشراتهم وكتبهم
المهاجمة للإسلام وتعرض لما قدمه علماء الغرب من حقائق جديدة حول
الكتب المقدسة (التوراه والانجيل) وما يتصل بأهل الكتاب وما يتصل
بجريدة الوطن القبطية وموقفها من العرب ومن التراث الاسلامى وتناول
ما يتصل بتحريف التوراه وضياعها .

وتناول الزنادقة أمثال جيبيل الزهاوى فى حملته على الشريعة
الاسلامية ودعوته الى سفور المرأة كما تناول صلته بشبلى شميل .
كما تناول البابية والبهائية والباطنية وتحدث عن المجوس ونبوءة
زرادشت .

ومن ناحية أخرى واجه المتصوفة وأنكارهم وحجج المعتزلة أيضا فى
محاولة للكشف عن جوهر مفهوم أهل السنة والجماعة وتناول التاويل
ومعناه فى القرآن ، والمذاهب واختلافها ودعا الى توحيد المذاهب الاسلامية .
وعرض لاحوال المجتمع الاسلامى فى مصر وحرية الفتيات والبعاء
وتحدث عن المثرفنجون والنساء النواشر .
كما تحدث عن المرأة المصرية وباحثة البادية .

ومن ناحية أخرى فقد قدم عرضا لكل كتب التراث المجددة والمؤلفات
الاسلامية التى ازدادت واتسع نطاقها على مدى الأيام ومن هذه الكتب :
الاسلام ومستر سكوت والفرق بين الفرق ، والحصون المنيعه ومبادئ
الفلسفة القديمة وميزان العمل .

كما قدم محاضرة المستشرق مونتيه عن الاسلام ودراسات عن ابن
تيمية وابن حجر الهيتمى وابن خلدون .

وكانت دعوة المنار فى افتتاحية هذا العام الى التعساون على البر
والتقوى والاجتماع على توحيد طريق انتربية والتعليم ودعا المسلمين الي

٥٧ -

الجمع بين علوم الدنيا والدين « قبل أن يفلحكم على الأمة أهل التربية المادية المضطربة والتعاليم التقليدية ، أولئك الذين تحولوا عن التقاليد الإسلامية الى التقاليد الأفرنجية الصورية فهم يدرجون الأمة من تقليد الى تقليد ويقذفون بالغيب من مكان بعيد » .

ويقول : « لا نجادل أعداء الإصلاح بسيف ولا أسنان وإنما نجادلهم بالحجة والبرهان ونحاكمهم الى السنة والقرآن ونصبر على ما آذونا ولكننا لا نترك أمر الأمة في التربية والتعليم يتنازع الفرنج الحديث والجمود القديم » .

وينادي : « يا أهل القرآن : ان القرآن كان حجة لكم فصار حجة عليكم . أخبركم الله أن الأرض يرثها عباده الصالحون ، وأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فما بال الناس يرثون أرضكم ويخلفونكم في ملككم وأنتم لا ترثون أرضا ، بل لا تحفظون أرضا وما لهم يسلكون كل سبيل للافتيات عليكم وما بالكم تخربون بيوتكم بأيديكم وأيديهم ، كيف ذهبت عزتكم ، لقد تنبه الوثنيون وأنتم غافلون ، واجتمع اليهود وأنتم متفرقون ، وسبق النصراني وأنتم متخلفون ، وما أنتم هؤلاء تستيقظون من سرتهم الهويناء فبالناس مجدود ، اعتبروا بتاريخ من قبلكم ، وبأحوال الأمم في عصرهم ، وتدبروا القرآن وما فيه من سنن الله في نوع الإنسان ومقدان الأثران واستدارة الزمان » .

ويقول : كتبنا ثلاثة أرباع هذا المجلد في القسطنطينية ، تارة في مفادتها وتارة في المراكب البخارية التي يجول في رفاقها (البسفور) ولم يتيسر لنا تصحيح أكثر ما كتبناه .

وفي هذا المجلد دعوات واضحة :

١ - الى مسألة العناية باللغة العربية في البلاد العثمانية وتقوية الرابطة بين الترك والعرب التي سعى لها سعيها منذ قدم دار السلطنة وبعد أن تقرر أن تكون اللغة العربية رسمية في الدولة كاللغة العثمانية بحيث يكون للدولة لغتان رسميتان كما اهتم بإصلاح الخط العربي وتقدم بحثا لجبر ضومط في هذا الصدد وبحث في أطوار اللغة العربية للخضر حسيين وقد وضح الاهتمام باللغة العربية في هذا العام .

٢ — السعى لحسن التفاهم بين العرب والترك ، كان أحد القاصدين من رحلتنا الى دار السلطنة ، والرد على صاحب جريدة اقدام على ما كتب في شأن العرب وعرض مقالات عليه في حسن التفاهم بين العنصرين اللذين هما قوام الدولة العثمانية وقد نشر المقدمات وامتنع عن نشر المقصد الذي فيه بيان اسباب سوء التفاهم وطرق تداركها ومنها مسألة تنقيح اللغة التركية وحذف الالفاظ العربية منها وقال ان هذه أمور ليس له حق البحث فيها واستمراره في نشر مقالاته الجنسية بقلمه وقلم اموانه في الطعن على العرب ، وقد دفع الحماسة بعض السكان العرب الى اقتحام ادارة جريدة اقدام واهانه صاحبها وتحقيره .

٣ — بالنسبة لمشروع دار العلم والارشاد : حدث ما أياسنى من مساعده الحكومة العثمانية بعد وعدها القلعي او خاد .

٤ — تناول الرد على هجوم الجريدة القبطية على مشروع احياء الآداب العربية ، كما تناول الرد على نسبي تسميل والمخطف في شأن الالهاد ورد على سلامة موسى ودحض آرائه في كتابه مقدمه السبرمان التي تتلخص في نظريه نيئتسه في محو الضعفاء وتنمية قوة الاقوياء ، وقد اتسار سلامة موسى الى اراء نيئتسه ويليك وشوينهور من أصحاب الفلسفة الشاذة : وقال : المتفرنجون منا يرون تعميم ما يرون لهج في كل بقعة من بقاع الشرق ناصبين أنفسهم من اثمهم منصب المصلحين النافعين ، وانما هم من المفلدين المساكين الذين لم نقو عقولهم على تميز الغث من السمين .

٥ — كنتف عن تعصب أوروبا الديني بالنسبة لمسلمين النمسا والمجر . وارغامهم على احكام الزواج والطلاق المسيحية ، واتسار الى عمل الاستعمار في ايقاظ الفتن وتغريير العرب واغرائهم باخوتهم الترك ، والقاء الشقاق بين المسلمين والنصارى والنفخ في روح العصبية الدينية بين الفريقين وعرض لبحث الفرنسي بوجيه في الهجوم على الاسلام واخطائه وسخافاته في التعبير بكلمة (جمال مكة) وقد رد عليه الدكتور أحمد الشريف من تونس كما تقدم بحثا للدكتور كارل كوم الذي يرى أن افريقيا عما قريب ستكون قارة اسلامية محضه ما عدا جنوب افريقيا وأوغنده والحبشة .

المجلد الرابع عشر (١٣٢٩ هـ — ١٩١١ م)

اتسع نطاق البحث في المنار بالنسبة لقضايا الإصلاح الاسلامى وان ظل الشيخ محمد رشيد رضا هو كاتب معظم صفحات المنار غير أنه في هذا العام ظهرت كتابات لأسماء لامعة ، منها : شكيب أرسلان ، عبد العزيز جاويش ، محمد توفيق صدقى ، محمود سالم ، محمود شوكت ، هبة الله الشهرستانى .

وكان أبرز أحداث العام : (١) المؤتمر القبطى والمؤتمر المصرى ، (٢) طلائع الماسونية . (٣) دخول إيطاليا طرابلس الغرب . (٤) احتلال فرنسا للمغرب . (٥) اتساع نطاق التبشير في السودان وجاوه . (٦) متابعة الباطنية والبهائية .

هذا وواصل المنار اهتمامه بقضايا الاسلاميه وخاصة : (١) التعليم والتربية والأزهر . (٢) الآداب العربية أحيائها وتدريسها . (٣) مقارنات الأديان . (٤) الاستعمار وأثره في العالم الاسلامى وموقف البلاد الاسلاميه أمثال جاوه وجناية هولندا عليها ، والجزائر وكيف فتحتها فرنسا ، وإيران بين انكلترا وروسيا وما يتعلق بروسيا في التركمان وبخارى ومسلمو بلادها .

كما أولى اهتمامه بالإصلاح الدينى والاجتماعى فتحدث عن التقليد للفرننج والتفرنج ومضاره واللغة العربية ، وكان للدولة العثمانية وللاتحاديين قدر وافر في الأبحاث ، فقد تكشف حقائق كثيرة عن صلتهم بالماسونية وتسليمهم طرابلس الغرب وتورطهم في أعمال كثيرة تكشف حقدهم على العرب والاسلام ، والمؤلفات الجديدة وكتب التراث المبتعة .



وقد استهل المجلد الرابع عشر على هذا النحو :

أحمد اللهم عودا على بدء ، أن وفقتنى لتأييد المصلحين والدعوة الى الاتحاد والائتلاف بين المسلمين فغدت بمفضلك وتوفيقك للمنازل ثلاثة عشر عاما يدعوا الى ذلك بدليلي النقل والعقل والأساليب المتنوعة من القول الفصل وأضرع اليك أن توفقنى على رأس العام الرابع عشر في السعى اليه بالفعل ، وأن تظهر هذا الدين في الآخرين كما أظهرته في الأولين ، فقد بدأ غريبا وعاد كما بدأ في غربته فأتم اللهم التشبيه باستتباع ذلك لظهوره وقوته وانصر دعائه الصادقين على أعدائه المنافقين ، الذين يلبسون

لبأسه ويجهلون حقيقته ، المنكرون له حتى صدق عليهم ما قلته في المثرفين قبلهم : « يخرّبون بيوتهم بأيديهم » و « بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » كلما داووا جرحا ظهرت جروح ، وكلما رقعوا فتقا ظهرت لهم فتوق ، وكثرت الدعاوى بالباطل ، وتطلعت رعوس الفتن واشتعلت نارها في البانيا فحوران غاليين ، يلبسون الحق بالباطل ويتصدون من يتبع أهواءهم من ظلوم أو ظالم يؤيدون المفسدين والمجرمين ويتحرقون على البرءاء الصالحين .

يا أهل القرآن : أقيموا القرآن وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان قد غلبتم على ما فرطتم فيه من حنك ، فنزا على مصالحكم الملاحدة والفاستقون من قومكم ، وكانوا هم المنافذ والكوى لدخول سلطان الأجانب على أرضكم ، تركتم لهم دنياكم فطمعوا في دينكم ، يريدون اطفاء نوره والاطاحة بوليّه ونصيره .

وهكذا نجد السيد رشيد رضا يقظا واعيا لكل التيارات التى تهب من حوله فيورا على الدعوة الاسلامية ، يقول كلمة الحق بقدر المستطاع المسموح به في هذه الظروف التى كان النفوذ الأجنبى مسيطرا على الرقابة الصحفية ، راسما بهذا العمل صورة حقيقية رائعة للعمل الإسلامى الذى يحى مفهوم السنة والجماعة ويقاوم كلا التيارين : تيار الجمود والتقليد والجبرية الصوفية ، وكذلك تيار التبعية والتفرنج والتغريب والفزو الثقافى فى صورته المختلفة : من تبشير واستشراق ودعوات باطنية ومؤامرات الحادية واباحية ، وهو على ضعف المنار الشهرية التى لا توزع الا عددا قليلا يرسل بالبريد لمن يطلبه وليس لها نفوذ فى سوق الصحافة اليومية والأسبوعية التى تصدرها جهات أخرى فانه ثابت قوى متشبث بالدعوة غير طامع فى جاه أو مال أو شهرة ، وانما يضحى بكل شئ فى سبيل اثبات هذا الصوت الإسلامى واستمراره فى عناد واصرار .

وفى هذا العام يتفتح الكلام من الصهيونية حيث تنشر جريدة الكرم (نجيب الخورى) كتابه من جمعية اليهود الصهيونية التى تسعى لتملك اليهود بلاد فلسطين ، وما يتصل بالمشروع الأصفر (أى تمكين اليهود من زراعة أرض فلسطين) كذلك فان فى هذا العدد تنويه واسع بخط الماسونية فى البلاد العثمانية بمعد أن تكشف دورها فى مؤامرة الاتحاديين

- ٩١ -

وفى سيطرتهم على الدولة العثمانية ، وهو فى نفس الوقت يواصل قضية البهائية ويتحدث عن تطوراتها وخطورة الدور الذى تقوم به وما يتصل بميزرا محمد على الباب وادعائه النبوة ، كما يفضح دور الاتحاد والترقى والذى كان خافيا فى السنوات الاولى للانقلاب العثمانى والملىء بالحقن على العرب والعربية والاسلام والمندفع فى طريق العصبية والعنصرية وراء فكرة العودة الى الطورانية ومحاولة تترك العرب وسحق لغتهم مع الاشارة الى دور اليهود الخطير .

ويعاود الحديث عن الجمعيات السرية التى لا يجوز للمسلم أن يدخل فيها ويتحالف مع أهلها وكيف أن ذلك مخالف للشرع ، فانه حين ذلك يطيعهم فيها بأمره به ، وهو مخالف لدينه ولوجهة أمته ، ويقول : لا ينبغي أن تدخل فى جمعية لا تعرف مقصدها ، لأنه ربما كان مقصدا محرما ، ولأنه لا يليق بالمسلم القيام بما يجهل حقيقته وعاقبته ، فان دخل فى جمعية على أنه ليس فيها شيء مخالف للشرع الثابت ثم ظهر له فيها ما يخالفه لم يستطع إزالته وجب عليه أن يتركها ويتبرا منها .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد : هبة الله الشهرستانى ، شكيب أرسلان ، جاويش ، محمد توميق صدقى ، محمود سالم ، رياض باشا .

المجلد الخامس عشر (١٣٣٠ هـ - ١٩١٢ م)

تميز المنار بالتوسع الدائم والقدرة على تحديد أبحاثه عاما بعد عام مع تتابع حركة التغريب والغزو الثقافى ، ويرجع ذلك الى قدرة فائقة فى المتابعة فى مجاله ، فان المنار استطاع أن يحصل على عدد وافر من الدوريات التى تصدر فى أجزاء مختلفة فى العالم الإسلامى ، فهو يعلق عليها ويستخرج منها ما يخدم هدفه وليس أدل على ذلك من أنه يتابع أخبار المسلمين من المغرب الأقصى الى جاوه ، بتدقيق وتفصيل لكل الأحداث التى تمر به ، وهناك عدد من القراء المثقفين يرسلونه ويقدمون له القضايا المثارة ، فهو لا يغفل عن أى تطور سياسى أو اجتماعى فى هذه الاقطار على مستوى العالم الإسلامى كله ، هذا فضلا عن أنه يقدم أبواب متعددة يحشد لها قدرا آخر من المادة الاخبارية محولة الى فكر وخاصة باب (فتاوى المنار) التى يقدم فيها ظواهر البدع المثارة ويرد عليها ، وهو دائما بمستفيض ، لا يمل تكويده المعانى العامة لمفاهيم الدعوة الإسلامية فى كل

- ٦٢ -

مناسبة ، كما يقدم أهم الكتب وخاصة التراث المبتعث ، وأهم الوفيات وأهم الأحداث وعينه دائما على الأزهر والتعليم والتربية وعلى مقارنات الأديان وعلى مادة كتب النصارى والتبشير وما يكتبون ضد الاسلام ، ونجده في هذا المجلد يولى اهتمامه بعدد من القضايا :

أولا : التبشير الغربى في عالم الاسلام ، وقد أخذ ينشر كتابا من أخطر الكتب التى صدرت في هذا الصدد وهو كتاب (الغارة على العالم الاسلامى) أو فتح العالم الاسلامى نقلا عن المؤيد .

ثانيا : النقد الموجه الى مؤلفات جرجى زيدان وفى مقدمتها كتاب التمدن الاسلامى وتاريخ آداب اللغة العربية ، وهما لباحثين كبيرين أحدهما شبلى النعمانى والآخر أحمد السكندرى .

ثالثا : بشائر عيسى ومحمد فى التوراة والانجيل وهى مجموعة مقالات هامة تتعلق بمقارنات الأديان يكتبها الدكتور محمد توفيق صدقى الطبيب الذى آمن بالاسلام وأخذ فى مراجعة تراث أهل الكتاب والكشف عنه وتابع هذا بنقد كتاب (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية) كما تناول قصة بولس والمسيحية وبختنصر وتنكيهه باليهود ودعاة النصرانية فى افريقيا وقصة زويمر كبير المبشرين .

رابعا : متابعة أحداث العالم الاسلامى وفى مقدمتها الحرب الصليبية فى البلقان وأحداث فرنسا فى تونس وانجلترا فى مصر والمسألة الشرقية والمسلمون فى مجلس الدوما الروسى والانجليز فى جنوب ايزان والخليج الفارسى والجامعتان الاسلاميه والعثمانية ودموع أحمد الشريف السنوسى لجهاد الايطاليين فى طرابلس الغرب .

خامسا : فى هذا المجلد انتهى ما قدمه الشيخ محمد عبده من حلقاته لتفسير القرآن ، حيث بدأت مقالات السيد رشيد رضا .

سادسا : أولى اهتمام كبيرا لقضية الدولة العثمانية والعرب وجماعة الاتحاد والترقى .

سابعاً : تناول قضايا البهائية ، والفحش والنجور فى كتب اليهود ، والفلسفات وابن المقفع ، والتصوف واحصاء المسلمين ودعاة النصرانية ومصطفى كامل والجامعة الاسلامية وطريقة السنوسية وزواياها الممتدة من الاسكندرية الى درنة ، كما تحدث عن المستشرق قامبرى الذى خضع

— ٢٣ —

السلطان عبد الحميد ثم هاجمه بعد عزله ، وتحدث من رحلة صاحب المنار الى الهند ، كما تحدث عن المستشرق لويس ماسينيون .

ثامناً : تناول بالعرض أغلب الكتب الصادرة والتي تتصل بالدعوة الإسلامية : ميزان الجرح والتعديل للقاسمى — الحراب فى صدر البهاء والباب — رباعيات الخيام — العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : مصطفى كامل ، شبلى نعمانى ، أحمد الشريفة السنوسى . وقد استهل العدد الأول من المجلد الخامس مثنى بامتناحية قال فيها :

قطع المنار هذا الطور الأول من حياته وحده مدرج درجان الطفل غادر مهده الى أن بلغ رشده ، فلا أخذ بيده أمير ولا أعمانه وزير ولا أمده غنى كبير اللهم الا مصطفى رياض باشا تفمده الله برحمته (اشترك فى خمسة عشر نسخة) ، ورياض باشا هو الذى أخذ بأيدى الصحف الكبرى أيام وزارته سواء كانوا من نصارى السوريين أو القبط المسلمين فهو صاحب الفضل الأول على الأهرام والمقطف وجريدتى الوطن والمؤيد ساعد هذه الصحف مساعدة الوزير النافذ ارادته المسموعة كلمته .

والسيد رشيد يشكو دائما مطل المشتركين وخاصة من رجال الطبقة العالمية كالمدرسين والمؤلفين والقضاة . ويقول : ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقبل الراحلة من أبى بكر يوم الهجرة الا بثمنها . وكان النبى يحتاج الى النفقة على أهله أحيانا فيقترض من اليهود وكان يجزى على الهدايا ولا يقبل الصدقة البتة .

ويقسم الناس الى أقسام ، فمنهم من هو ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات باذن الله . ويقول : ان المصلحين هم الأمة الوسط التى تجمع بين مطالب الروح والجسد وتقيم أمر الدنيا والدين كما هدى اليه الكتاب المبين ، والمنار هو لسان حال هذا الحزب الذى يزداد أهله نموا فى الأرض .

— ٤٣ —

المجلد السادس عشر (١٣٣١ هـ — ١٩١٣ م)

تميز هذا المجلد بدراسات أساسية :

أولا : دراسة كاملة عن الاتحاديين حكام الدولة العثمانية وتفریطهم في بلاد الاسلام (طرابلس الغرب ، البلقان ، البلاد العربية ، الخليج) ودراسة عن عناصر المملكة (الأرمن والأرناؤوط) وجمعية الاتحاد والترقي وحزب اللامركزية وحديث عن الحرب البلقانية وموقف مسلمي روسيا من السلطان عبد الحميد وتفریط الاتحاديين في حقوق الدولة في خليج فارس والعراق .

ثانيا : الاهتمام بدراسة تاريخ الجهمية والمعتزلة (جمال الدين القاسمي) وحديث مطول عن واصل بن عطاء ، وما يتصل بالجد بن درهم والمأمون ودعوته الى مذهب الجهمية وخلق القرآن وواصل بن عطاء .

ثالثا : مقارنات الأديان ، والمسيحية وقضاياها ، وبولس والتثليث ، وانجيل برنابا والتوراة والانجيل ، والسيد المسيح وكتب اهل الكتاب والبارقليظ المذكور في الكتب القديمة (سيدنا محمد) وقصة صلب المسيح وقيامته ، وعقائد النصرانية .

رابعا : أحاديث كثيرة عن الشيخ محمد عبده ، وعلى يوسف ، ومصطفى كامل ، وأحمد حشمت ، وأخريسي هسير ، ومحمود شوكت ، ومحمد فريد ، ومحمد عبده ، وخريستنس جبارة ، وابن الرشيد ، وأحاديث عن الشيخ عبد العزيز جاويش وصداره المجلة العربية في الآستانة .

خامسا : دراسات عن قضايا العالم الاسلامي مع الاستعمار وحديث عن الاتفاق التركي الانجليزي على خليج شط العرب وفارس وأثره على بلاد العرب واستيلاء ابن سعود على الاحساء ، وقضية الأمة الهندية الشرقية مع الحكومة الهولندية وتحويل الأوثاف في مصر الى نظارة .

سادسا : حديث عن المسألة العربية عند الاتحاديين والمؤتمر الدولي في باريس وسياسة الأمة العربية في حرب اللامركزية وقضية الجنسية واللغة ، والعرب والعربية وتترك مسلمي العثمانيين .

سابعا : أحاديث عن الكتب وفي مقدمتها كتاب فتحي زغلول : سر تقدم الانجليز والاختفال بمؤلفه .

● ترجم صاحب المنار لـ : أمير على ، ادريسى عسير ، على يوسف ، مصطفى كمال ، عبد العزيز جاويش ، محمد فريد ، جمال الدين القاسمى ، فتحى زغلول ، محمود شوكت .

وفى فاتحة المنار قال السيد رشيد رضا :

ان صوت الاصلاح الدينى قد علا كل صوت فى الاقطار الاسلامية التى بلغت دعوته وهزتها صيحته ، فخفت دونه أصوات الحثوية الجامدين والدجاجة المحترفين وقد خذل الله بيروت فى العام الماضى أشدهم انكبا وتحريبا .

وتحدث من الاسلام التقليدى ، والاسلام البرهائى فقال : أصحاب الاسلام التقليدى يفتنون بالشبهات المادية التى يبتها فيهم حملة فثون العلوم المصرية ومنهم من يشككون فى الاسلام بمطاعن دعاة النصرانية ولا يتصدون للرد على تلك الشبهات ، وقصارى ما عندهم أن يقولوا للعوام ان جميع العلوم الطبيعية باطلة وأن تعليمها كفر ويتعلمها زنادقة . ويزعم هؤلاء الدجالون أن الضلال كل الضلال هو ما يدعو اليه المعلمون من هدى الكتاب والسنة على النحو الذى كان عليه الصدر الأول من الأمة ونبذ كل ما استحدثه الخلف مخالفا لما كان عليه السلف عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد » . وتحدث عن ظهور الفئة الباغية الاسلامية فى الظاهر والاتحادية فى الباطن اذ تمدح الاسلام وتنفر من الأعمال التى تحييه وتطمئن فى القائمين بهما وتدعو الى الجامعة الاسلامية وتلقى الشقاق بين العاملين لها وتزاحم أهلها المصلحين وهم المفسدين .

وقال ان الأمر يحتاج الى ضروب من الاصلاح يمد بعضها بعضها وأصولها خمسة : (الدينى — العلمى — الاجتماعى — السياسى — المالى) وقد تداعت هذه الأصول كلها فى العالم الاسلامى ولا يسهل اقامة بعضها الا باقامة باقىها . وأشار الى أنه ما أن لاحت من الأسفانة بارقة الأمل فى الاصلاح السياسى حتى أردنا أن ننشئ فيها عملا كبيرا من الاصلاح الدينى والعلمى الذى هو أكبر عون على غيره ولا سيما الاصلاح الاجتماعى : ثم أصبح سرايا هذا الانقلاب الذى حسبنا أن وراءه ما نرجو من الاصلاح فكان بسوء تصرفه ذويه عن الافساد وقد أئذينا الأمة سوء عاقبته ، والخطر

— ٩٦ —

الأكبر هو أفسادهم السياسى الذى فتح علينا باب المسألة الشرقية حيث فقدت المملكة طرابلس الغرب الأفريقية وثنت بولايات الدولة الأوربية ونخشى أن تفلت الولايات الآسيوية .

المجلد السابع عشر (١٢٩٢ هـ — ١٩١٣ م)

تابع السيد رشيد رضا قضايا الساعة ، وفى مقدمتها :

١ — قضية الدولة العثمانية والاتحاديين وموقفهم من العرب وتناول قضية الجنسيات فى المملكة العثمانية والامتيازات الأجنبية وكيف دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية .

٢ — قضية الصهيونية والبروجرام الصهيونى السياسى (بقلم أوستنكين) وتحدث عن العقبات الحائلة دون امتلاك اليهود للبلاد المقدسة ، ونصوص التوراة فى كون البلاد المقدسة لنسل إبراهيم .

٣ — الرد على المبشرين والمستشرقين : حيث قدم عددا من الأبحاث فى مقدمتها كتاب (الرد المتين على مقدمات المبشرين) مقام عيسى عليه السلام فى النصرانية والإسلام ، وناقش دعاة النصرانية ونشر كتاب كريستان سنوك هونجرج الهولندى (الإسلام يقاوم نفوذ النصرانية) وتحريف التوراة .

٤ — رد على البهائيين ودعاة البهائية ، والباطنية وعلاء الصوفية ، وتقديم فصول من كتاب مدارج السالكين لابن القيم الجوزية عن التصوف الإسلامى الصحيح .

٥ — تركيز الدعوة الإسلامية وتصحيح العقائد ، والرد على الجهمية والمعتزلة ، والحلاج والحديث عن دعاة الإسلام الأبرار أحمد ابن حنبل وابن تيميه وأبى حنيفة والامام الشافعى ، والغزالى والأشعرى فى أبحاث مستفيضة عن تاريخهم ودورهم .

٧ — الحديث عن لورد كرومر ورأيه فى الشيخ محمد عبده ، ولورد هدلى وإسلامه ، وترجمة أحمد فتحي زغلول بمناسبة وفاته ، كما ترجم لعللى يوسف ومصطفى صادق المنفلوطى وجمال الدين القاسمى ، .

٨ — نقد آراء خصوم الإسلام والرد عليهم : رد هلى يوسف الخازن ولويس شيجو وسلامة موسى .

٩ - تحدث عن الشريعة الاسلامية وموقفها من الامتيازات الأجنبية ؛
وتفنيد مزاعم كاتب أمريكى عن الشريعة الاسلامية ؛ كما تحدث عن المعازف
وآلات اللهو ، وعن التمثيل ، وتحرير المرأة والتفرنج .

١٠ - قدم عددا من الكتب وخاصة كتب التراث المبتثقة منها كتاب
الاعتصام للامام الشاطبى ، وتاريخ الجهمية والمعتزلة ، ودين البهائية
وأنصاره ، والكشاف والبيضاوى ونقدهما .

١١ - ترجم فى هذا المجلد للشخصيات التالية : عزيز المصرى ؛
على يوسف ، عبد العزيز جاویش ، مؤاد سليم المصرى ، مصطفى
المنفلوطى ، أحمد فتحي زغلول ، محمد جمال الدين القاسمى .

وقد افتتح مجلد المنار الاول من العام السابع عشر بافتتاحية جامعة
جاء فيها :

نذكر قراء المنار على رأس سنته السابعة عشر على نحو ما ذكرناهم به
فى السنة الخالية من سوء عاقبة الامراط والتفريط للذين رزئت بهما أمتهم
الجاهلة الغافلة ، والامراط فى عبادة الهوى واتباع الشهوات والانهماك
فى الفواحش والمنكرات والمحافظة على البدع وسيىء العادات والتفريط
فى حقوق الله وحقوق الأمة ، وما يجب من التزام هدى الكتاب والسنة
ومجارة الأمم بما يستطيع من حول وقوة ولاسيما قوة الاعتصام والوحدة
وقوة العلم والمعرفة ، وقوة الكسب والثروة ، ثم نذكرهم بتلك الآيات والعبر
وهاتيك المواعظ والنذر ، وبما يفتنون به كل عام ، وما تسلب من ملكهم
الأمم والأقوام وبيان سنن الله تعالى فى الطاغين والمسرفين . تركت هذه
الأمة هداية القرآن ففاتها ما كانت نالت به من الملك والسلطان ، والعلم
والوفاق ، والبسطة فى العمران ، وأمست غافلة عن سبب ذلك التوقيق
وذلك الخذلان ، بل التى عليها أحقاب من الزمان لا تشعر بكنه هذا
الخرسان ، وقد استيقظ فيها الشعور بما فسد من أمر دنياها قبل الشعور
بما كان سببا له من فساد أمر دينها وبما خسرت من سلطانها وأملكها
قبل الشعور بما خسرت من أخلاقها وملكاتها . ولما شعرت بالخطر على
حياتها المادية والسياسية ، غافلة عن عللها الروحية وأسبابها المعنوية ،
شرعت فى شىء من الإصلاح الصورى بدون أن تؤيده بروح الإصلاح المعنوى
نعد السلطان محمود مصلحا بتغيير الزى الرسمى ونظام الجندية والسلطان

عبد المجيد مصلحا باعلان التنظيمات الخيرية والسلطان عبد الحميد مصلحا
بانشاء نظارة العدلية ومصطفى رشيد باشا مصلحا بادخال الدولة العثمانية
في سلك الدول الأوروبية ومدحت باشا وأعوانه مصلحين باقتباس القوانين
الغربية الغربية ، ومحمد على وأحفاده مصلحين بفرجة البلاد المصرية ،
والامير عبد الرحمن خان مصلحا بالتأليف بين القبائل الامغانية ، ولم تتوجه
همة أحد الى اصلاح العادات والأخلاق وإزالة البدع والمنكرات وجمع
الكلمة التي فرقها المذاهب واللغات فما زاد الأمر هذا الإصلاح الصوري
الاضروباً من الفساد ولا أباد الدولة إلا اضعاف الاستقلال واضاعة البلاد ،
ان أكثره كان ضروريا ولم يعد يمكن علاجاً لهذه الأمة من طبيب اجتماعي
عرف من أمراضها الظاهري والباطني فوصف لها من الدواء ما يزيل العلة
ويحفظ البنية ، لذلك رأيناها بعد هذه المصالحات لم تزد الا مرضاً ،
وكان ما أدخل عليها من علوم الأمم القوية وقوانينها وآدابها كالجسم الغريب
الذي يدخل في البنية فيفسد مزاجها لأنه لم يكن على حسب استعدادها ،
وحاجتها ، بل كان تقليداً سورياً أو عارضاً وقتياً ، فمنه ما كان ضاراً
ومنه ما كان نافعا ، فأما الضار فأكبر ضرره التقاليد والقوانين الامرنجية
التي قطعت كثيراً من روابط الأمة المالية وأزالت من مقوماتها ومشخصاتها
الاجتماعية والأدبية ، ولم يستبدل بها ما يحل محلها من مقومات الأمم
الأوربية بل صارت عيالا عليهم في جميع الشؤون ، أما ما كان نافعا فقد
كان نفعه موضعياً وعارضاً لا دائماً فكان عداوة بعض أعراض الظاهرة
بما يزيلها مع بقاء العلة في الباطن ، وكلما داوت جرحاً سأل جرح . بنى
محمد على ركناً للثروة والقوة على أساس العلم ، ولو أتم أحفاده ما بدأ
ببناء ركناً للأخلاق والآداب على أساس الدين وسنن الاجتماع لثم لهم
تكوين الأمة ولاستقام لهم بالأمة أمر الدولة ، فهذا العصر عصر الأمم
والشعوب لا عصر الأمراء والملوك ، ولكن جميع اقبال المسلمين كانوا
ولا يزالون عن هذا غافلين . لا صلاح للدولة إلا بصلاح الأمة ، ولا صلاح
لأمة إلا اذا كان فيها بقية من أولى الرأي والعزم يأمران بالصلاح وينهون
عن الفساد في الأرض ، زماننا زمان الجماعات العلمية والأدبية والسياسية
والشركات الزراعية والصناعية والتجارية .

الاولان أمر « التربية والتعليم » هو أهم ما يجب أن يوكل الى الجماعات
ولا يجسوز أن يترك الى الأفراد ولا الى الحكومات لأن المدارس للأفراد

دكاكين لكسب المال والحكومات معامل لسبك العمال ، فكل من الفريقين يتوخى من التسليم منفعتة الخاصة ، وان باينت مصلحة الأمة العامة ، وشر ما ابتلى به جماهير المسلمين من ترك تربيتهم النفسية والعقلية الى خصومهم في السياسة والدين فائى تصلح أمة تركت تجديدها وتكوينها الى من لا هم لهم الا ازالة ملكها ودينها والأمة تصلح بالتربية ونحن قد أفسدنا المربون — الافرنج المتفرنجون — وترتقى بالعلم ونحن قد ولانا العلماء المقلدون المفتونون ، وتقوى وتمتدز بجميع المدارس لكمتها ونحن شد أوهننا وشقت عصانا المدارس لأنها اما معاهد سياسية والحصاد واما اديار وكنائس قد قطعت روابط الأمة الدينية والمدنية وفتقتها بالأهواء والشهوات الحيوانية وسرى سم تقليدها الى المدارس الأميرية والاهلية ، فالمخرجون منها أقلهم الذين يسلمون ومنهم المحدثون ، وأكثرهم الفاسقون يجرفون ثروة الأمة الى الأجانب ويقذفونها بالفجور والنسوذ الأجنبي من حل جانب ويتغلبون فيها على المناصب فينالون منها جميع المآرب يحقرون لها سلفها ويعظمون في نفسها كل ما هو أجنبي عليها فيقطعون جميع روابطها المالية ويزينون لها ذلك باسم المدنية ، فهم المنافذ والكوى التى يدخل منها الفساد ، وهم الآلات التى يستعين بها الأجانب على ادارة البلاد لانهم تربية مدارسهم ، بل صنعة معاملهم او الجيش السلمى لتكنايتهم ، ولا يتم لهم ما يسمونه « الفتح السلمى » بدونهم ولأجل هذا ربوهم هذه التربية المذبذبة وحشوا مخيالاتهم بمسائل العلوم المضطربة فلا هم صاروا بها أوربيين ولا ظلوا مسلمين او شرقيين ولحهم لغورهم باسم المدنية الافرنجية يفسدون على الأمة امرها ويزعمون انهم المصلحون لسانها ، ولندكر ما قالته مجلة العالم الاسلامى الفرنسيه :

« اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة السلطة العثمانية على أن معاهد التعليم الثانوى التى اسسها الأوربيون كان لها تأثير في حل المسألة الشرقية يرجع على تأثير العمل المشترك الذى قامت به دول اوربا كلها (الفارة على العالم الاسلامى) .»

اننا في أشد الحاجة الى الصناعات الافرنجية ، وما يتوقف عليه من العلوم والفنون العملية والى الاعتبار بتاريخهم وأطوار حكوماتهم وجماعاتهم ، ولكن يجب أن تقوم باقتباس ذلك جهاعات منا يجمعون بينه

تقديم

وبين حفظ مقوماتها ومشخصاتها . وأركانها اللغة والدين والشريعة والأداب (المراد بالشريعة أحكام المعاملات في السياسة والقضاء والإدارة والحرب) ولنا أن نستعين بأهل الفضيلة والاستقلال من رجالهم الذين ليس لهم مينا أهواء دينية ولا مطامع سياسية استعمارية وبهذا نكون مهتدين بما أمرنا (الله) به من السير في الأرض والاعتبار بأحوال الأمم ونسبة سلفنا « أ . ه . »

ولك أنت أيها القارئ اليوم بعد سبعين عاما أن تجد ما قاله السيد رشيد رضا لا يزال صالحا لنا ونحن مطالبون به وتجدر هذا الكلام منطبق على أجيال كثيرة رباها الاستعمار في عصره ، سعد زغلول ولطفى السيد وعبد العزيز فهمي ومن بعده طه حسين وسلامة موسى ومحمود عزمي وعلى عبد الرازق ثم الأجيال التالية من أتباع الماركسية والشعبوية .

الفصل الثالث

المنار : الى سقوط الخلافة الاسلامية

في هذه المرحلة واصل المنار عمله وان كانت الحرب العالمية قد أثرت في حجمه وفي انقطاع موارده المالية ولكن عزم السيد رشيد رضا وتصميمه كان مائثامانه تحمل ذلك في قوة ومضى الى أداء رسالته في عزم شديد وعنى بأحوال المسلمين خلال الحرب وحاول بعد الهدنة معالجة آثارها على مصر وعلى البلاد الاسلامية وأفاد من رفع الحظر على الصحافة وتخفيف الرقابة فسهل الى الكشف عن كثير من الأوضاع الاستعمارية التي لم يكن قادرا على كشفها في وقتها وقد مضى يواجه الانحاديين ومن بعدهم الكماليين حتى سقطت الخلافة الاسلامية وقامت بعدها دعوات خطيرة الى التغريب في البلاد العربية وفي العالم الاسلامي وكان من أكبر ما أهمله قضيتي : البهائية والقاديانية في هذه المرحلة .

م ١٨ (١٣٣٣ هـ - ١٩١٥ م)

يواصل السيد رشيد رضا نشاطه في دعم الدعوة الاسلامية والاصلاح الاسلامي الديني والاجتماعي بابتعاث المفهوم الاسلامي الصحيح : مفهوم اهل السنة والجماعة ، وقد توسع في هذا الاتجاه فقدم أبحاث الشوكاني : وتحقيقه مسألة القياس ، ودرس الظاهرية وأصول الفقه عندهم وابن القيم وتحقيقه مسألة القياس والرأى وما امتاز به على استاذة ابن تيمية ، وقدم ابن حزم (مجدد القرن الخامس) في المحلى ، وابن حجر العسقلاني وخدمته للسنه ، كما قدم الفخر الرازى وضعفه في الحديث والفصاحة ، وقدم ترجمة ابو هريرة ، كما قدم ترجمة ابو الحسن : منذر بن سعيد البلوطى ، والشاطبى وما حرره في مسألة المصالح ودراسة الامام الشافعى وتناول ترجمة عمر بن عبد العزيز واجتهاد عمر بن الخطاب وقصة سليمان الحلبي وقصة الامام مالك ، ومذهبه في التزام النصوص ، كما تناول الاسرائيليات وخرافاتهما ، وتناول مفاهيم الاسلام ازاء الربا والفتح الاسلامي وسر أحكامه العسكرية ، ومن ناحية أخرى تناول كتب النصارى وقدم نقدا لها وتنزيه عيسى لربه وتنزيهه لنفسه وعرض لاختلاف الفرق وتناول الجهمية وتمعطينها

للصفات ، كما تحدث عن وحدة الوجود وأخطائها واليهود وما نزل بشأنهم في سورة المائدة .

● ومن ناحية أخرى تحدث عن رجال العصر : محمد عبده وجملة آراء له في العلم والدين ، ولقائه مع سبنسر وتجاوزهما ، كما تحدث عن تاريخ علامة الاسلام في الهند الشيخ شبلى النعماني وعرض لآراء أحمد كمال بك عن اللغة العربية واسماعيل عاصم وجمال الدين القاسمي وعبد الفتاح عباد ومحمد توفيق صدقي ، كما قدم أبحاثا عن القلقشندي والجرجاني والفتح بن خاقان . وتعد قضايا اللغة العربية والحروف العربية أهم مواد هذا العام حيث تناول الحديث حروف الهجاء العربية والخط الكوفي وخط التعليق الديواني . وعن كون اللغة العربية أقدم اللغات وعن الهيلوغرافية العربية الأصل . كما تحدث عن المدينتان المصرية والبابلية وكيف أنهما عربيتان . وقدم كتاب على أبو الفتوح عن الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية ، كما قدم عرضا لكتاب الخراج لأبي يوسف ونشر صفحات مطولة من أحياء الكتب الإسلامية القديمة ، أمثال المحلى لابن حزم ومدارج السالكين لابن القيم وصحيح الأعشى في كتابه الانتشا للقلقشندي والأحكام في أصول الأحكام للأمدى والطراز في أسرار البلاغة ليحيى بن حجي والخصائص لابن جني والاعتصام للشاطبي .

كما تحدث عن المجتمع والمرأة وفرضي الآداب بمصر كما عرض فصولا من رحلته الى الهند لرئاسة مؤتمر ندوة العلماء في لكهنؤ .

ترجم صاحب المنار في هذا المجلد لـ : شبلى النعماني ، أحمد كمال ، اسماعيل عاصم ، جمال الدين القاسمي ، عبد الفتاح عباد ، محمد توفيق صدقي ، على أبو الفتوح ، محمد عبده وسبنسر .



وقد تضمن المنار اشارات الى جعل مصر سسلطنة تحت حماية بريطانيا (١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤) بعد دخول تركيا الحرب ضد بريطانيا وانضمام عباس حلمي الخديو الى أعداء بريطانيا منذ أول نشوب الحرب مع ألمانيا وإعلان الحماية البريطانية على البلاد تحت يد أمير من أمراء العائلة الخديوية (السلطان حسين كامل) وفي افتتاحية المنار قال السيد رشيد :

- ٧٣ -

يا أيها الناس لا خير في الحضارة المدنية اذا أقيمت على قواعد الاثرة والقوة المادية ولا خير في العلوم ولا في العمران اذا كانا وسيلة لاستعباد الانسان لأخيه الانسان أفلا يعلم الذين جعلوا الحق كله للقوة ، ان الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وأنه بعبارة رعوف رحيم وأنه أرحم الراحمين

ان الانسداد كل الانسداد أن تحتكر الشعوب العلم وتجعله ذريعة لبغى بعضها على بعض واستغلال الشعوب الضعيفة في الأرض وتسخيرها لخدمتها كما تسخر الحيوان الاعجم .

يا أيها المفررون بالعلم والقوة ، قد عرفتم القوى المادية لا تنسوا القوى المعنوية ، ولا تنكروا سنن العدالة الالهية ، أتطالبون بكم بما وعد المؤمنين ولا تطالبون أنفسكم بما فرضه وما شرطه على المؤمنين ، انما الخلافة في الأرض بالصلاح والاصلاح ، انما يعتذر بالقدر من يبريء نفسه ويهتم ربه .

اننا نحن سنمى هذا العصر لا نستحق على الله تعالى نصيبا من الملك ولا خلافة في شيء من الأرض لا بحسب سننه في خلقه ولا بمقتضى وعده في كتابه ، فاذا أعطى شيئا أو أبقي فملك عنايته تعالى وفضله لا مما جعله وعدا عليه حقا ، وان الله تعالى ليلو عباده بالحسنات كما ييلوهم بالسيئات ليلوهم أيهم أحسن عملا ، فتكون أحسن جزاء وخير أملا » .

وفي كل مرة يعاود السيد رشيد رضا دعوة القراء الى انتقاد المنار ويذكر القراء كل عام بما يحب من الانتقاد الذي هو ضرب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمساعدة في الدعوة الى الخير وبث النصيحة ونشر العلم .

كما يدعو الى اعادة الفكر الاسلامي الى الاصاله بالارتباط بمفهوم الكلمات والمصطلحات وفق السنة النبوية وعلى نفس الأساس الذي أقامه الرسول وخذلان المصطلحات الصوفية الضالة والمنحرفة .

المجلد التاسع عشر (١٣٣٤ هـ - ١٩١٦ م)

في هذا المجلد بدأت جولة جديدة لصاحب المنار مع الشريف حسين ، الذى تولى إمارة مكة ، كما تحدث عن الاتحاديين ، واتفاقهم السرى مع ألمانيا وتعريضهم الدولة للخراب ، وعن استقلالهم عن الدين وتركهم الحروف العربية وعن جامعتهم الطورانية وعن جمال بائسا السفاك والجنسية التركية وفصلها عن الاسلام وعن الحركة الطورانية والدستور العثمانى وتقرير كيون هاهون فى الترك . كما عرض عن مرحلة من مراحل الخلاف بين الخديوى عباس والأستاذ الامام وصاحب المنار وسعى خواص الخديوى للتوفيق بينه وبين الامام وعرض موسع لاستقلال الشريف بالحجاز وما يتعلق بالمشائخ التى علقها الاتحاديون لأحرار العرب فى سوريا ودراسة عن الزهراوى بمناسبة استشهاده ، وعرض لآراء الخواص فى استقلال الشريف فى الحجاز ومنشور شريف مكة وأميرها والحركة الطورانية الجديدة فى تركيا .

ولم يغفل صاحب المنار قضايا الدعوة الاسلامية فى معارضته للصوفية المنحرفة وكشفه لشبهات المبشرين وما يتصل بشبلى شميل وأهل الكتاب .

كما عرض لمناظرة جمال الدين وحسين الجبر ، وعرض لجوانب من آراء ابن تيمية وابن الجوزى وابن القيم وأبى حنيفة والبخارى ومسلم وابن جبر الأنلسى والألوسى المفسر .

كما عرض لكتب : تاريخ سينا القديم والحديث ، وتصحيح كتاب الأغانى وتصحيح لسان العرب وكتاب جزيرة العرب منذ فجر التاريخ ، كما عرف بكتابه منازل السائرين ومدارج السائلين لابن القيم والهروى فى الدعوة الى تحرير التصوف .

وعرض للمجمع اللغوى المأمول ، والكتب المعزوة الى غير مصنفاتها .

كما أشار الى دعوة مرجليوت المستشرق اليهودى فى لندن بالاشتراك من أحمد زكى أبو شادى الى انشاء جمعية آداب اللغة العربية .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : عبد الحميد الزهراوى ، شبلى شميل ، حسين الجبر ، أنور بائسا ، على يوسف .

- ٧٥ -

وكتب السيد رشيد رضا فصلا مطولا عن دور المنار في حركة الإصلاح الاسلامي فهاجم « الملاحدة المتفرنجون الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون » وقال ان حجتهم على عامة المسلمين سوء حال كثير من المعمين وتذلهم للأمراء والحاكمين وذهمهم بعصبية الدين وان لهؤلاء الملاحدة لقوة على غيرهم لا من أنفسهم ولكنهم يفترون بها وان منهم من يكن للمؤمنين مكاييد لا يفتنون لها وان للمؤمنين لقوة ذاتية ولكنهم غافلون عنها وانما بقاء الباطل في غفلة الحق ، فاذا كُذِفَ عليه دفعه ، وان بقاء الباطل لالى زوال (وما كيد الكافرين الا في ضلال) .

ويقول : ولقد كان ملاحدة قطننا أجبن ملاحدة المسلمين وأخوفهم من اظهار الكفر على كونهم أجراهم على الجهر بالفسق ، ثم تجرأ منهم منذ سنين افراد على التصريح به ، أو ببعض لوازمه في الجرائد بعد طول العهد على تصريح الكثيرين بذلك في المجالس ومنهم من ألف كتباً أو رسائل في ذلك ثم بلغنا في العام الماضي انهم ألفوا جمعية لأجل التعاون على تشكيك الناس في الاسلام وجذبهم الى الاتحاد والوطن في عقائد الدين وأحكامه ولا سيما الآداب والأحكام الخاصة بالنساء ، وأنشأوا لهم صحيفة لدس الدسائس (يقصد مجلة السفور) وبث الوسائس وتوجيه العناية فيها الى نابذة المدارس وبناء دعوتهم على قاعدة التثوية للتقديم والصد عنه والتثوية بالجديد والترغيب بميسه وان لهم لأنصارا في القصور والدواوين وفي المدارس وأكثر معاهد الدين ، وقد استفادوا من تقييد حرية المطبوعات بسبب الحرب ما كفوا به أقلام من تصدى لاحباط بعض دسائسهم من أهل الحق وانهم ليختلبون لباب المختلين من الشباب والشابات بما ينمقون من زخرف الشبهات (ومن الداس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا) الآية ، ولهذا فقد وجب على أهل الإصلاح أخذ الأهبة لجهاد جديد هو أشد من جهاد أصحاب الخرافات والتقاليد فان أصحاب الخرافات عزل وهؤلاء مسلحون .

(انا لننصرن رسلنا) و (ولننصرن الله من ينصره) .

ان هؤلاء الملاحدة لا يخافون من الازهر وما يتبعه من المعاهد الدينيية ما داموا يدعون الاسلام بالسنتهم ، ثم لا يعدمون هناك اولياء وأنصار لهم لما بين نفاق الاعتقاد ونفاق الأعمال من رابطة التناسب والاتصال .

ويقال ان لجمعية الاتحاد الجديدة ركنا في الازهر ركينا وانهم بذلك

٧٨ -

أوشكوا أن يحدثوا فيه حدثا مبينا ، ولكنهم لم يصيبوا منه الا خذلانا وفشلا مهينا .

قال أحدهم مفاكها للأستاذ الامام وهو في مرض موته : ان طريقتك في تفسير القرآن قد أضرت الأمة أشد الضرر ، قال الأستاذ : لماذا ؟ قال : لأنها أبانت للناس ان الدين موافق للعلم والعلم ركن من أركان المدنية فتعذر علينا ما كنا نحاول من هدمه بدعوى أنه عقبة في سبيل ترقيتنا في دنيانا ، ومنهم من يحاول هدم الاسلام بالدعوة الى استبدال لغة العوام بلغة القرآن ، ومنهم من يبغى التشكيك فيه بنشر آراء الماديين من القدماء والأوربيين ، ومنهم من يصد عن حجته بتفصيل ما عرفوا من القوانين على ما جهلوا من شريعته ، ومنهم من ينفر عما حرمة من آدابه الروحية والاجتماعية .

وبعد أن مررنا بنصر الله لحزب الاصلاح على المبتدعة والدجالين فقد ابتلينا بتكوين حزب للملاحدة المارثيين توالد من أفراد من أغرار الشبان وكهول المنافقين فاذا ترك هؤلاء وشأنهم وسكت لهم أهل الحق عما ينفثون من سموم اباطيلهم تعظم جراتهم وتنتشر دعوتهم وتكبر فتنتهم ، وليس الاستظهار عليهم بالأمر العسير فان حجتهم داحضة وضوايتهم متناقضة ، وغاياتهم متعارضة ، ويخانون الردة الصريحة .

ان ما يتوخاه هؤلاء من نباهة الذكر عند الأوربيين والتشبه بمن ناهضوا الكنيسة ورجال الدين ، ليس بالفرض الصحيح ، فهم لا يجدون في الاسلام ولا في رؤسائه تلك الأسباب التي حملت بعض كتاب أوربا على مجاهدة الكنيسة ورجالها والطعن في النصرانية ، فالاسلام نفسه أرشد البشر الى العلوم الكونية واوجب الفنون والصناعات المدنية وأخرج البشر من رق رؤساء الدين والدنيا الى قضاء الحرية .

المجلد العشرون (١٣٣٥ هـ - ١٩١٧ م)

دخل المنار عامه العشرين داعيا الى : الاعتصام بحبل الله المتين والاهتداء بنوره المبين والاستمسك بسنة رسوله الامين والسير على نهج السلف الصالحين ناهيا عن الاحداث والبدع وتقليد الأحزاب والشيع ، مبينا ان الخير كل الخير في اتباع من سلف وان الشر كل الشر في ابتداع من خلف لأن الله تعالى قد اكمل الدين فلا يقبل زيادة كمال ، فالزيادة فيه

- W -

كالنقص منه خزي وضلال. ونحى المنار باللائمة على «افقدان الاستقلال في الفهم والعلم والحكم وتقليد الآباء والأشياخ المتأخرين في جميع أمور الدنيا والدين ، وإشار الى جماعة المقلدين الذين فقدوا ملكة الاستنباط والاختراع فقد ساروا بحسب الظاهر على الطريقة الثابتة بالعقل والاختبار ، وهى كون علوم المتأخرين ومفنونهم أجدر بالثقة والاعتبار ، مع أن سنة الله في التدرج والارتقاء على أنهم يعتقدون بحق أن متقدمى هذه الأمة خير من متأخريها في جميع العلوم والأعمال وإن الخلف لم يسيروا على سنة السلف في الاجتهاد والاستقلال ولو ساروا عليها لماقوهم في كل ما هو من كسب الناس » ويقول « اننا ندعو الى عقيدة السلف ونحن بها مؤمنون ونرشد من بلفته الدعوة الى سيرتهم الدينية ونحن على طريقها ان شاء الله مستقيمون » .

ومن أبرز أعمال هذا العام انشاء المجمع اللغوى المصرى من مجموعة من اعلام العصر : سليم البشرى ، محمد بخيت ، أحمد لطفى السيد ، محمد الببلاوى ، أحمد ابراهيم ، أحمد السكندرى ، أحمد برادة ، أحمد تيمور ، أحمد زكى ، أحمد سليمان . أحمد على ، أحمد كمال ، اسماعيل رأفت ، حفنى ناصف ، عبد الحميد فتحى ، عبد الحميد مصطفى ، عبد الرحمن قراعة ، عثمان فهمى ، فارس نمر ، محمد أمين واصف ، محمد رشيد رضا ، محمد شريف سليم ، محمد عاطف بركات ، مصطفى العنسانى ، يعقوب صروف . وقد أنشأ المجمع عددا من اللجان ، منها : لجنة الجغرافيا والآثار والتاريخ ، ولجنة الطب والعلوم الطبيعية (عدا النبات) ، ولجنة المنطق والفلسفة والعلوم الاجتماعية ، ولجنة الفقه والقانون ، ولجنة العلوم الرياضية والفنون الجميلة والصناعة ، ولجنة اصطلاحات الدواوين . وقد أعلن أن المجمع سيعمل على وضع معجم واف بحاجة الزمن شامل اصطلاحات العلوم والفنون والصناعات يستبدل بالكلمة العامية أو الأعجمية التى لم تعرف من قبل ، غيرها من اللفاظ العربية الموضوعة للدلالة على معناها ، فإذا لم يهتد ، أقر الكلمة العامية أو عرب الكلمة الأعجمية » .

وقد كان جل اهتمام المنار في هذا العام بحديث نهاية الحرب العالمية والصليح وقيام الدولة العربية وبروز الصهيونية في فلسطين .

المجلد الحادى والعشرون (١٣٣٧ هـ — ١٩١٨ م)

حفل المجلد الحادى والعشرين من المنار بأبحاث فى جميع المجالات التى طرقها منذ نشأته واستكتب عددا من الأعلام أمثال : عبد الرازق البيطار ، عبد الغنى الرافعى ، عبده إبراهيم الطبيب ، محمد توفيق صدقى ، أحمد صفوت .

وان ظل القدر الأكبر من انشاء المنار لصاحبه السيد رشيد رضا ، كما عرض لأعلام المسلمين البارزين فى هذا العصر أمثال : السلطان محمد وحيد الدين ، وعبد الحميد الزهراوى ، والشريف حسين أمير مكة ، والأمير فيصل ، وحفنى ناصف .

ومن أبرز أحداث العام : ظهور البلشفية فى روسيا والتقابل بين ابن سعود أمير نجد وشريف مكة وظفر الأول ، وتناول المنار قضايا الدعوة الإسلامية فتحدث عن الجبرية وشبهاتهم وعن الجعد بن درهم أول المبتدعة وجهم بن صفوان وثقل شيئا وأنيا عن الأشعرى ومناظرته للجبائى وعن علاقة الأشعرى بالمعتزلة ثم خروجه عليهم ، وتحدث عن علم الكلام وابتداعه وذمه ، وتحدث عن انتشار الإسلام فى مطالعه بسرعة لم يعهد لها مثيل فى التاريخ .

كما تحدث عن قضايا المترنجين والإصلاح الإسلامى ، وأبوة آدم للبشر ومذهب دارون ونقل تقرير مشيخة الأزهر عن التعليم الأولى ، وعرض اتفاق عام ١٩١٦ على بلاد العرب ، كما عرض قضايا سوريا الكبرى ، كما تحدث عن مذهب الوهابية وعقيدتهم .

وقد استهل المجلد بمقدمة استعرض فيها أحداث السنوات الأربع الأخيرة مثل عرش قياصرة الروس القاهرين وابعد القيصر وأهل بيته ، وتمزقت كبرى سلطنات إمبراطوريات الأرض التى تصنع جمهوريات يسفك بعضها دماء بعض ، مثل عرش السلطة النمساوية وتمزقت الى عدة حكومات جمهورية وتدهور عن عرش أعز ماهر على وجه هذه الأرض بعد أن كاد يقضى على أكثر أمم الشرق مع الغرب ، وهو النافذ الحكم والإرادة فى أوسع أمم الأرض علما وأدبهم نظاما فكان سقوطه كسلك انقطع فتناثرت الفرائد اذ سقط ملوك الجرمان وأمرؤهم واحد بعد واحد وتخلص ظن الترك عن بلاد العرب

والأرمن والأكراد التى سفك طغاتهم الاتحاديون فيها الدماء وأكثروا فيها الفساد .

وقد رد السيد رشيد رضا مبادئ المنار وهى :

١ — احياء مفاهيم السنة ومراجعة كتابات العلماء السابقة : (علم الكلام والأشعرى وغيره واعادة النظر فيها والاعتزال وغيره على نحو متحرر من التقليد ومفاهيم الصوفية المفرقة في التقليد واعادة مفاهيم الأشعرى وابن تيمية وابن القيم) .

٢ — الرد على الجبرية والقدرية بسنن الله وآياته ، والرد على المتكلمين .

● ترجم صاحب المنار في هذا المجلد لـ : حنفى ناصف ، الزهراوى ، الشريف حسين ، عبد الرازق البيطار ، عبد الغنى الراعى ، عبده ابراهيم ، الألوسى .

المجلد الثانى والعشرون (١٣٣٩ هـ — ١٩٢١ م)

ما تزال القضية الكبرى التى يعالجها السيد رشيد رضا والتى حقق فيها نتائج واسعة المدى هى قضية مذهب أهل السنة والجماعة وتحرير الفكر الإسلامى من جمود المتصوفة وانحرافات الباطنية مع الحملة الكاشفة عن أخطاء التغريبيين والذى يطلق عليهم اسم المتفرنجون .

وفي هذا المجلد حديث واسع عن الباطنية وكيدهم للإسلام والعرب ، والربط بين الباطنية والبراهمة والصوفية ، وانقسام المسلمين الى ٧٣ ملة ، والفرقة الناجية أتباع (السلف) ومنها الامام أحمد ورده على الزنادقة ، وأهل البدع واختلافهم ومطاعنهم ، وحديث عن الامام زيد وأتباعه ، وحديث عن القرآن وبرأته من الألفاظ الأعجمية ، والحديث عن الرازى وسعة اطلاعه وكثرة خطاه ، وحديث عن البخارى ومكانة صحيحه ، وتاريخ السنة ومعناه وأدواره ، وحديث عن كتب السنة ، مسلم والترمذى ، وحديث عن الشيعة وحصر الاسلام فى الإمامة منهم وفسائس اليهود والمجوس ، وحديث عن ماتم عاشوراء واقتحام الشيعة النار فيه ، وحديث عن عبد الله ابن سبأ والوثنية وانتقالها للعرب وأهل الكتاب والمسلمين ، وعمرو بن لحي الخزاعى أول من غير دين اسماعيل ووضع الأصنام فى الكعبة ، وحديث من المجوس وكيدهم للإسلام ، وكيد اليهود للمجوس فالفرنجة للمسلمين ، وحديث عن موقف النصارى من الإسلام ، وحديث عن أن الفينيقيون عرب

- ٨٠ -

والكنعانيون عرب والاراميون من العرب ، وحديث عن حقيقة التصويف
ومكانته من الشريعة ، هذا بالاضافة الى احاديثه عن الازهر والاصلاح
الاسلامى .

ومن ناحية أخرى عرض المنار تاريخ هذه الفترة وأمر السياسة والحكم
والدولة العثمانية فيها فتحدث عن الاتحاديين حكام تركيا وافسادهم في الدول
وبيعهم البلاد العربية للفرنج واتفاق عام ١٩١٦ على البلاد العربية ،
واستعمار الغرب للشرقيين بعد الحرب ، وانكلترا واتفاقها مع فرنسا
على اقتسام البلاد العربية ، واستخدامها شريف مكة وأولاده ، وحديث
عن الدولة العثمانية وغرور المسلمين بها واتكالهم عليها وظهور الحياة فيها
بعد الاحتضار، وحديث عن شريف مكة وأبائه الاتفاق مع أمراء العرب واتفاقه
مع انكلترا ودخوله الحرب معها وعداوته للترك . وحديث عن مصطفى كمال
باشا منقذ الترك وزعامته لجيش الأناضول .

هناك فصل مطول عن المسألة العربية وفصل عن المسألة المصرية
وسعد زغلول .

٥ ترجم صاحب المنار في هذا العدد لـ : احمد كمال باشا الاثرى ،
طاهر الجزارى ، سعد زغلول ، الشيخ بخيت .
وقد استفتح المجلد الثانى والعشرين فقال :

انذرننا اكابر السياسة في مثل هذه الفاحشة منذ عامين أن ترك تنفيذ
قواعد العدل وحرية الأمم لأبد لها من احدى العاقبتين : « ان لا تفعلوه تكن
فتنة في الأرض وفساد كبير وانقلاب بلشفي شره مستطر او تعود العرب
جذعة بهذه السياسة الخدمة الخبأة الظلمة (والذين يمكرون السيئات
لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله
الفرور) وقد صدقت الآيات ولم تغن النذر واتبع المنذرون هواءهم وكل أمر
مستقر فهذه الأرض تضطرم نيران الفتن والفساد والانقلاب البلشفي كل يوم
في ازدياد ، ان الناس لن يكونوا أمة واحدة ولن تخضع الأمم منهم لامة واحدة
ويا أيها الراسماليون والطامعون ان طلب الزيادة ينتهي بالوقوع في النقصان
وان السواد الأعظم من البشر لا يرضى أن يكون عبدا خادما لأمراد من الاعيان
وان سنة رد الفعل سيكون لها القول الفصل والحكم العدل . وأنت أيتها الامة
الأمية التى عاودها الارتكاس في عصبية الجاهلية الى متى هذا التفرق
والانقسام بعد ذلك السعادة والوحدة والاعتصام وحتى متى تلدغ من النجس

الواحد مرارا عديدة وقد حذرت في المرتين وسمعت النذر بالاذنين ورايت العبرة بالعينين ان كان لهم منك اى ولى وظهر ورايت في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فياقوم انى لكم ناصح أمين على علم بالحق المبين ، من هداية القرآن أن لا تعبدوا الا الله ولا تياسوا من روح الله (وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم مقاعا حسنا الى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله) فقاتلوا اولياء الشيطان بها أمركم به الرحمن من غير تحريف ولا تصحيف في القرآن .

وما لا أخصه بالتذكر لقوى وعشيرتى بما يشد أمر الجماعة ويضع عنها أمرها ويحكم أوامر الجامعة ويرفع لها ذكرها (ذلك بان الله لم يكن مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ، استدار الزمان ووقع من التطور الاجتماعى ما لم يكن في الحسبان وسيترك ما بقى من صروح الاستبداد وينطلق سائر المستعبدين من مقاطر الاستعباد وبفضل التضامن والتظاهر والاتحاد . انما الذل والهوان على أهل النفاق والدهان والمتفرقين في المذاهب والاديان المخدوعين بكلمة العدل والمدنية والمساواة والحرية ، انما المعاهدات حجة الاقوياء على الضعفاء .

هذا هو الطريق الذي بدأه جمال الدين ومحمد عبده

م ٢٣ (١٣٤٠ - ١٩٢٢)

ارهاصات الاحداث واضحة في المجلد . فهذا كتاب عن الخلافة الاسلامية للعلامة أبو الكلام آزاد ترجمة عبد الرازق المليح أبادى ، وقد جاء على اثر ذلك أن وقع الانقلاب التركى الجديد (نوفمبر ١٩٢٢) باستقاط الدولة العثمانية وتأسيس دولة تركية وجعل سلطة الخلافة العثمانية روحية بحرمان الخليفة من السلطين التشريعية والتنفيذية عملا بقاعدة الديمقراطية الغربية .

وبدا اثر ذلك واضحا في مصر والبلاد العربية وحديث عن مؤتمر لوزان وفي نفس الوقت أحاديث عن البهائية بعد موت زعيمهم عباس البهاء وعن القاديانية التى اسمها (المسيحية الهندية) وحديث عن مجوسية الفرس وعن السياسة وتاريخها باعتبارها الضربة الاولى التى ضرب بها الاسلام وحديث عن مدينة القوانين التى اثارها محمود عزمى والسسمى

— ٨٢ —

لإلغاء الأحكام الشرعية وما يتصل بذلك من إنشاء جمعية الرابطة الشرقية ومجلتها برئاسة الشيخ على عبد الرازق وأحاديث أخرى عن كوارث سوريا في سنوات الحرب وما فعله جمال باشا في سوريا للأمر شكيب أرسلان ، والاحتفال بذكرى الإمام محمد عبده وفتوى شيخ الإسلام بأن الكمالين بغايا يجب قتالهم ، كما أورد الأحكام الشرعية المتعلقة بالخلافة الإسلامية .

وفي افتتاحة المجلد الثالث والعشرين حديث العام : ذهب طور الترفق والفسوق المهلك للأمم والمفسد للحكومات والدول وصرنا الى طور الشدائد المجهضة للقلوب المدبرة لمصابيح العقول الموحدة لنار الهمم المظهرة لاستعداد الأمم بإزالة الأحقاد وجمع الكلمة على الجهاد . ويقول : جرينا على منهج الامامين الحكيمين في الدعوة الى الوحدة وجمع كلمة الأمة بالتذكير بآيات الله المنزلة في القرآن وما هدى اليه من سنة المطردة في أطوار الانسان .

● ترجم صاحب المنار في هذا المجلد : سعيد حليم .

الفصل الرابع

المنار : الى وفاة الشيخ رشيد

هذه المرحلة الأخيرة من حياة المنار كانت خصبة حافلة ، فقد وقف السيد رشيد ازاء تحركات التغريب والغزو الثقافى الذى ثاده على عبد الرازق ومحمود عزمى وطه حسين موقفا حاسما وكشف زيف هذه المخططات ومضى فى طريقه فى الدعوة الى الله ومواجهة مخططات الاستعمار فى مختلف اجزاء العالم الاسلامى ، معارضا لجوانب الضعف والانحراف فى الحضارة الغربية داعيا المسلمين والعرب الى منهج اسلامى اصيل رالى ببناء المجتمع الربائى الأمثل .



م ٢٤ (١٣٤١ هـ - ١٩٢٣ م)

لا ريب ان أضخم الأحداث التى اهتم بها المنار فى هذا العام هو الخلافة الاسلامية فقد قدمت دراسة واسعة عن حقيقة الخلافة ومفهومها فى الاسلام كما قدمت كتابا صدر فى آنقرة ضد الخلافة لعله هو أحد الكتب التى اهتمدى بها الشيخ على عبد الرازق فى كتابه كما أشار الى فتاوى مصطفى كمال الدينية .

(ثانيا) أولى اهتماما بالغا لأحداث العالم الاسلامى ،

فأشار الى النهضة الأمغانية ومؤتمر لوزان كما تحدث عن الجامعة الاسلامية والجامعة الجنسية ووجوه التعارض بينهما وأشار الى ثورة الهند السياسية وانتصارها للخلافة والدولة العثمانية والخطاب الذى القاه أمام المحكمة الشيخ أبو الكلام آزاد .

كما أشار الى حركة الأمير عبد الكريم الخطابى فى المغرب والاستفتاء مع ملك الحجاز .

(ثالثا) أولى اهتمامه للوهابية وحقيقتها ومنشأ الطعن فيها ، كما

كتبه زيوف « المسحة الاسلامية القاديانية » الملقبة بالاحمدية ، وتناول بالعرض برنامج تعبير المحمديين وبرنامج كدهم للاسلام .

(رابعا) عرض للتراث الاسلامى المنبعث وأولى اهتمامه بمجموع الامام زيد المسمى بالمجموع الفقهى ، كما نشر صفحات مشرقة للأمير شكيب ارسلان عن انتداب العرب فى سويسرة فى القرون الوسطى كما تحدث عن مؤلفات ابن تيمية وابن القيم والشوكانى .

(خامسا) قدم عرضا لذكرى رينان فى الجامعة ورد على محاضرة الشيخ مصطفى عبد الرازق فى رينان والامغانى .

وقد استهل السيد رشيد رضا افتتاحية المجلد الرابع والعشرين بتذكير قراء المنار بعبرة ثمنون الاجتماع والعمران وتنازع عوامل الصلاح والفساد فى الانسان وما يناسب ذلك من هداية القرآن : حجة الله البالغة بما فيها من آيات العلم والبيان المناسبة لكل زمان ومكان ، ذلك لأن « المنار » انما أنشئ ليقاظ الشرق وتمدين الاسلام باعادة تكوين الأمة وحياة الملة والدولة لفروع الفقه وأصول العلم لا لجديليات المذاهب الدينية ولا تاييد العصبية الجسدية ولا لنشر ما يتجدد من قضايا العلوم ونظريات الفلسفة أو مخترعات الفنون وعجائب الصناعة ، ولا لقصص التاريخ ونوادر الفكاهات ولا لجوانب الحوادث وأخاديع السياسة ، بل كل ما يذكر فيه مما يدخل من هذه الأبواب فانما يولى وجهه شطر ذلك المحراب لأن الأمة اذا أحييت ، أحييت من العلوم ما كان ميتا ، وأُنشئت من الفنون ما كان رميما ، واذا ماتت أماتت معها ما كان حيا ، ودرست ما كان مدروسا مرديا .

وابستطرد يقول : ومن آياته الماثلة امام الناظرين فضيحة هذه المدنية المادية التى فتنت أوربا بها المسلمين فقد ظهر لهم ما كان خفيا من فسادها وذهب بهيبتها ما كان من الفظائع فى حربها ومن آياته أن شل عرش دولها القاهرة وزلزل أركان دولها المنصورة ، وضعضع ثرواتها وأوقع الاضطراب فى معيشتها ، ومن آياته أن أذل جبروت أعظم دولة قاهرة .

ويقول : لقد كان لنا جامعتان مسعد سلفنا بالاعتصام بهما وشقى خلفنا بالتفرق والاختلاف فيهما ، جامعة علمية روحية وهى كتاب الله وما فيه من سنة خاتم النبيين ، وجامعة سياسية هى الامامة العظمى وما بينها من سيرة خلفائه الراشدين وهدى السلف الصالحين ، وهذه متبعة للأولى

ومنفذة لها ، وأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن . ثم تفرقنا في القرآن بالتأويل فذهبنا مذاهب جعل الملة الواحدة ملأ وتفرقنا في الإمامة بالصنبيات فصارت الأمة أئمة والدولة دولا ، ثم أعرضنا عن كل من الجامعتين كلتيهما وبطل الاقتداء بالإمامين مع احترام اسميهما أو كلمتيهما فتجهد بعضنا على ظواهر بعض الكتب التقليدية ومن تعصب بالقوانين والنظم الأوربية وروابط شعوبها الجنسية والوطنية .

يقول انه في العدد الأول من المنار كتب في بيان حق الإمام على الأمة وحقوق الأمة على الإمام فلما قرأتها على الشيخ محمد عبده أشار الى (ترميج) هذه الكلمة منها وقال ان المسلمين لم يبق لهم امام الا القرآن وان البحث في الخلافة وما يجب على السلطان فتنة للناس ، وأشار الى فساد الأمراء وخروج الخلافة عن الأساس الذي أقامه عليها الإسلام في عهد الراشدين ، وقال : الا أن إقامة الإمام هي التي تحيى هذه الأمة ولكن أمرها لا يزال غمة ليس وراءها غمة ، وأنها لترهق محاولها صعودا ، وتتقحم به كؤودا وتجشمه منالا بعيدا ، وان أسعد الناس بها لأزهدهم فيها ، وان أطمعهم فيها لأعجزهم عنها وان أقربهم منها لأبعدهم عنها .

● ترجم صاحب المنار في هذا المجلد لـ : أحمد كمال باشا ، الأمير عبد الكريم الخطابي .

المجلد ٢٥ (١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م)

تعد القضايا السياسية للعالم الاسلامي هي ابرز الجوانب التي يوليها المنار اهتمامه وهذا المجلد حافل بقضايا سياسية اسلامية كثيرة :

اولا : ملف كامل عن الشريف حسين وموقفه من بريطانيا وفلسطين وزيارة ملك الحجاز لشرق الأردن ، ورسالته الى الأمة البريطانية وفساد حكم الشريف حسين في مكة المكرمة .

ثانيا : المسألة المصرية بعد تأليف الوفد المصري ووزارة سعد .

ثالثا : الاتفاق بين الأمير فيصل والدولة الفرنسية على الانتداب على سوريا .

رابعا : تركيا الكمالية والانتقلاب الديني والسياسي في الجمهورية

التركية والغناء الخلافة (عبد العزيز جاويش - محمد شاعر - أمين
ارائعى) وموقف العالم الاسلامى من الجمهورية التركية .

خامسا : الخلافة ومؤتمر القاهرة ، والمسألة العربية فى طور جديد
بين ملك الحجاز وسلطان نجد ، وزحف النجديين على الحجاز (الوهابيين)
وقضية الأمير الخطايبى والريف والمغرب .

ومن ناحية أخرى تجرى الأبحاث والدراسات :

- ١ - التفسير والفتاوى .
- ٢ - دراسات عن التراث (كتاب أساس البلاغة للزمخشري فى طبعة
جديدة لدار الكتب المصرية) .
- ٣ - قضايا المجتمع الاسلامى :
- (ا) تزويج المسلم لغير المسلم ومسألة تحديد الزواج بقانون وتحديد
سن الزواج بتشريع قانونى .
- (ب) تحريم المسلمات على غير المسلمين .
- ٤ - الرد على الشبهات وخاصة فيما يتعلق بوحدة الوجود وإبطالها
بقلم الامام ابن تيميه وبحوث عن الامامة والباطنية والجمعيات
السرية .
- ٥ - قضايا التبشير والافراء بين التصدى والمسلمين ، ودعوة المسلمين
الى النصرانية .
- ٦ - الازهر ماضيه وحاضره ومستقبله .
- ٧ - ترجمة القرآن وتحريف الترجمة والتشكيك فيه فى تركيا .
- ٨ - وفيات الأيمان : الشيخ محمد المهدي - السيد محمود شكرى
الألوسى ، الشيخ سالم أبو حاجب .



ويقول السيد رشيد رضا فى الامتلاحية : ان المنار لم يكن يبلغ سن
الشباب (الخامسة والعشرون) الا وكان منشقة قد شاخ وشاب ونحمد
الله ان كان وقع الشوائب التى شيتت الرأس ولم تشيب العزم والياس
ولم تشب الهمة بشائبة من اليأس ، فقد ثبت المنار على دعوته التى
وضعناها فى أول نشأته .

ويقول : سنتقض بالرد على الملاحدة ومحاولة هدم الاسلام باسم الاسلام من البهائية والاحمدية المسيحية القاديانية فقد قويت دعوتهم في مصر ويؤيدهم بعض الكتاب في الجرائد والمجلات الشهورة .

المجلد ٢٦ (١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥ م)

كانت القضايا الشاغلة للسيد رشيد رضا خلال العام هي كبريات الأحداث في العالم الاسلامي وأبرز الأحداث ظهور كتاب على عبد الرازق (الاسلام وأصول الحكم) ينكر فيه كون الاسلام دين تشريع وإمامة وحكومة وقضاء ويبيح للمسلمين أن ينتحلوا أى حكم وقانون ويتبعوا أى حكومة من الحكومات ، وقد قدم تفاصيل وافية عن أهم منكرات الكتاب كما تناول الموضوعات الآتية :

- ١ - ابن السعود واستيلائه على جميع الحجاز والوهابيون والامتراة عليهم .
- ٢ - أوروبا والاسلام والخلافة ومؤتمر الخلافة والاسلام في أوروبا منهم وانتشاره .
- ٣ - سوريا وثورتها على فرنسا وموقف نصارى الشرق من المستعمرين .
- ٤ - حرب الريف التى يقودها الأمير عبد الكريم الخطابى .
- ٥ - الدولة التركية في تطورها التغريبي ، وجمعية الاتحاد والترقى .
- ٦ - الأزهر وقضايا التربية والتعليم بعامه .
- ٧ - حملات التبشير النصرانية على الاسلام وبشارات التوراة والانجيل وعرضها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعرض للمدارس التبشيرية وملاحدة المتفرنجين من العرب .
- ٨ - أسبانيا والعرب في الأندلس : صفحة من آخر عهد المسلمين بها واكرام الاسبانين على النصرانية وعامة العرب واواخر العهد بتسليم غرناطة .
- ٩ - عرض لقضايا التغريب والفزو الثقافى ، عند ترجمة القرآن وكيف تجعله أمجيميا ولبس البرنيطة كما تحدث عن أخطاء الصوفية (الرماعية والبطائحية والشعرانى وخرافاتاه) كما هاجم ابن عربى وابن الفارض والجمع بن درهم والشيرازى الصوفى والصدر الروبى .

٨٨ -

وحدث من كتب الاحبار ووهب بن منبه كما اورد مثاظره ابن تيمية
مع البطائحية الرفاعية .

كما اورد المنار عشرات من الأحاديث عن ومع الشخصيات الاسلامية
البارزة :

الشيخ أبو الفضل شيخ الأزهر وأحمد شوقي والاستاذ الامام والامير
شكيب أرسلان وجمال الدين الأفغانى وسعد زغلول ورحمة الله الهندي
ورفيق العظم وفؤاد سليم والشيخ محمد بن عبد الوهاب .
كما قدم عددا من الكتب الاسلامية الهامة التى ظهرت على مدار
السنة :

يأقظ الغرب للإسلام للورد هدلى ، تقرير الدكتور فخرى عن البقاء
وحاضر العالم الاسلامى وحواشيه التى كتبها الامير شكيب أرسلان وخلاصة
تاريخ الأندلس وكتاب الخلافة الاسلامية ، كما قدم لكتب التراث : المعنى
والمحلى (ابن حزم) واسرار البلاغة (الجرجاني) .



وقد استهل فاتحة المجلد السادس والعشرين فقال :

ان اهم ما طرا فى هذا العام اقدام النرك على نشر ترجمة القرآن
وتصدى حكومتهم الجمهورية لنشرها لأجل أن تحل محل القرآن العربى
الذى هو كلام الله تعالى ، فرأيت تحقيق الحق فى هذه المسألة فى نفسها
وبيان الباعث عليها ، مسألة الخلافة فى جميع وجوهها (فى المجلدين
٢٣ ، ٢٤) .

وتحدث عن توسع المطبعة وادارتها بقوة الكهرباء .

ويقول : سيكون أكبر همة فى المجلد السابع والعشرين موجهة
الى مجاهدة الملاحدة والاباحيين الذين نشطوا فى هذه الأيام فى تعميم دعوتهم
الى هدم العقائد والتجربة على الفواحش والزنا وتقطيع الروابط الملية
والقومية واعداد الأمة لقبول السيطرة الأجنبية وجميع الفتن المادية حتى
البلشفية والى مجاهدة البدع والخرافات القديمة التى ييئها أهل الطرق
التي تسمى صوفية وما ولدته من البدع الحديثة كالمسيحية القاديانية ،
وكل هذا من قبيل الهدم ثم الى تأييد دعوة الإصلاح وتجديد امر الإسلام

بالرجوع في عقائده وعباداته الى القرن الأول والاعتماد في قوته وعزته على فنون العصر الحاضر وهذا هو البناء المطلوب ولعله لا يتم الا في جزيرة العرب .

المجلد ٢٧ (١٣٢٤ هـ - ١٩٢٦ م)

الموضوعات الثلاث الكبرى التي ما تزال تشغل المنابر في مجال السياسة الاسلامية :

— الدولة التركية وموقفها من العرب والاسلام — حكم آل سعود لجزيرة العرب وموقف الشريف حسين وأولاده — دعاة الاحصاد في مصر وقضية كتاب الشيخ على عبد الرازق التي لم تنته وظهور قضية الشعر الجاهلي لطله حسين .

كما نشر صفحات مطوية للامام الشيخ محمد عبده ، وتصدى للنحلتين :

١ — البابية والبهاية في بلاد العرب .

٢ — القاديانية في البلاد العربية .

٣ — فتنة ملاحة الترك في سوريا ومصر .

مع تحرير مفاهيم الوهابية والكشف عن اخطاء الباحثين بالنسبة لكعب الاحبار ووهب بن فينة ومذهب دارون وبطلانه والتوفيق بين الدين والعلم .
كما اورد بحثا حول ابن خلدون وعلم الاجتماع ، واحكام السفر والاقامة لابن تيمه ومفتاوى حول صندوق التوفير في البريد ، وقضايا المجتمع : المرأة والحجاب ومحاربة البغاء .

كما عرض للمؤلفات الحديثة : كتاب مرآة الحرمين ، ونهاية الأرب ، وكتايب الخضر حسين وبخيت المطيعي في الرد على كتاب الاسلام واصول الحكم لعلى عبد الرازق ، والموجز في علم الاجتماع ، ودروس في التاريخ الاسلامي ، ورجال المعلقات العشر وبلوغ العرب في احوال العرب ومن اهم الكتب التي صدرت في الرد على كتاب طلح حسين كتاب مصطفى صادق الرافعي « اعجاز القرآن » .

وقد صدر السيد رشيد رضا هذا المجلد بحديث مستفيض من احوال المسلمين فقال : بالامس خسر الاسلام دولة كانت مبدء الاجيال الوسطى

٩٠ هـ

في تاريخه ، وأشد دولة بأسا ، وهي دولة آل عثمان ، وخلفتها دولة تركية هي أشد دول الأرض عداوة له ، واليوم تجدد له دولة جديدة هي أرض دولة لتجديد هدايته وإعادة مجده ، اذا عرف سائر المسلمون كيف يؤيدونها وينصرونها ويفيدونها ويعتدون منها هي الدولة العربية السعودية التي قامت في مهد الاسلام .

ثم قال : فرض الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأكد أمره ، ولعن تارك التناهي عن المنكرات التي يفسلها بعضهم في كتبه وعلى السنة رسله ، لئلا يترك المعروف ويفشس المنكر فيصير كال معروف فيختل أمر الفضائل :

« ومن رأى منكم منكرا فليغيره » (الحديث) .

ترك المسلمون تغيير المنكر بالفعل بضعف الخلافة وصيروتها لقب تشريف ثم ترك انكاره بالقول لفشوه في الحكام المستبدين والزملاء الظالمين وضعف الدين في جماعات المسلمين الا قليلا منهم كانوا يظهرون ضيقا ويخفون أحيانا ولا يجدون لهم شوكة ولا سلطانا .

حتى ظهر في أواخر القرن الثاني عشر للهجرة وأول ما بعده الإصلاح الوهابي في نجد قام به عالم نجدى اسمه (محمد بن عبد الوهاب) يدعو الى التوحيد الخالص : وهو عبادة الله تعالى وحده بما شرعه للناس في كتابه وعلى لسان رسوله ، وقاومه الناس وآذوه كما آذوا من قبله ومن بعده كل داع الى الحق والخير ويسخر الله من الزعماء الأقوياء من آزره حتى تأيد القول بالفعل وانتشرت دعوته الإصلاحية بقوة سيوف البيت السعودي في جزيرة العرب حتى استولوا على الحجاز وكادوا يجددون للاسلام مجده وحضارته بمثل نهضته الأولى كما خرج بذلك كل من عرف كنه حالهم من الشرقيين والغربيين لولا أن تصدت لهم الدولة العثمانية فحاربتهم في جهة العراق والحجاز ولما عجزت عنهم استعانت عليهم بدولة مصر الفتاة فحاربهم محمد على حتى أخرجهم من الحجاز ، ولم تكف الدولة التركية وأعوانها بهذه الحرب بل أثارت عليهم حربا شرا منها رأسا ، وهي حرب الدعاية بالطعن في عقائدهم وأعمالهم وتسمية سننهم بدعة ، وخيرهم شرا وعزفهم نكرا .

وكتب المنزلقون في ذلك الكتب والرسائل الكثيرة وأودعوها من فئون
الكتب والبهتان ما لا يخطر الا في بال الشيطان .

والقى رجال السلطان عبد الحميد الأخير الشقاق والعداوة
بين آل سعود وآل الرشيد في نجد وما زالوا يمدون ابن الرشيد بالسلاح
والمال الى أن تمكن من اخراج آل سعود من نجد واستولى على الرياض
عاصمة امارتهم حتى كان ما كان من نهضة عبد العزيز بن عبد الرحمن
الفيصل المؤيد بنصر الله وتوفيته واستعادته لنجد ثم استيلاؤه على اماره
ابن الرشيد وعلى بلاد الاحساء وكل ما كان بيد الدول العثمانية من تلك البلاد
ثم على بلاد عسير ثم على المملكة الحجازية برمتها .

هذا هو الطور الجديد المرجو للاسلام ، وهذه هي الفرصة السانحة
لتجديد هديه واعادة مجده ، مهل يضيعها المسلمون كما اضاعوها اول مره .

وتحدث عن تضاعف الشكوى من انكار البدع والمحدثات التي شوهدت
الاسلام في القرون الوسطى وتفاقمت وطفى طوفانها في القرون الأخيرة
ونحدث عن بعض كتب التصوف المنحرفة مهاجمها وتحديث كيف تروج
في المسلمين الدعاية الظاهرة البطلان التي راجت منذ قرن ونصف بأكاذيب
أحمد زيني رحلان وامثاله عن الوهابيين والدعاية التي اذاعها الشريف
حسين واولاده في الطعن في الوهابية ، وأشار الى « ملاحدة الأتراك »
الذين يصمون الاسلام لانه عربى ، وقد رأى بعضهم أن نخون صورة الذئب
الأفبر شعارا لهم لأن أجدادهم عبدوه وفندسوه في جباهليتهم الأولى وراينا
منهم من يفتخر بجنكيز خان وهولاكو خان أعداء البشر ومخربى العمران .

● ترجم صاحب المنار في هذا المجلد لـ : الاديسى - شوكت على -
محمد على .

المجلد ٢٨ (١٣٤٥ هـ - ١٩٢٧ م)

حفل هذا المجلد من المنار بدراسات واسمعة في مختلف المجالات
وكان أبرز اهتمامات المنار بروز المملكة العربية السعودية ، ومعاهده جيدة
بين ملك الحجاز ونجد وبين انجلترا .

كما تحدث عن علاقات العرب والانجليز فتحدث عن سياسة الانجليز
في الشرق وزعماء العرب ونشر محاضرة مستر كراين عن جزيرة العرب.

كما أشار الى مشروع بريطاني لينصر جزيرة العرب وأشار الى العلاقات بين اليمن والحجاز .

وكشف عن بيان علاقة المنار بالوهابية والملك عبد العزيز ونشر فصولا من كتاب كشف الشبهات للامام محمد بن عبد الوهاب .

ونشر فصولا في الرد على كتاب الاسلام وأصول الحكم لعلی ابن عبد الرازق ، كما نشر قرار النيابة في قضية طه حسين ، كما تحدث في فصول عن القاديانية الملقبة بالأحمدية وعرض لعدد من قضايا المجتمع مثل قانون الاحوال الشخصية والنهضة الدستورية والزى الاسلامی والربا وحقيقته وسبب تحريمه ، وتعرض لمسألة القبور والمشاهد عند الشيعة ونشر خطاب النشاشيبي في تكريم شوقي .

هذا بالاضافة الى الأبواب الثابتة : تفسير القرآن ومتاوى المنار (تعدد الزوجات ، تعدد زوجات النبی ، البيت الحرام ، سدنته وكسوة الكعبة ، تأويل آيات الصفات) وعرض للقرآن ووجوه الاعجاز والاسرائيليات وتحدث عن النهوض باللغة العربية ، وتحدث عن أتاتورك وحياته وأعماله في تغريب تركيا ، وهاجم مجلة الحديث الحلبية (سامی الكيالي) في مواقفه التغريبية وفي هذا المجلد عرض تراجم لابن تيممه في القديم وأحمد عباس الأزهري ، وسعد زغلول ، وأمين الرافعي .

وعرض السيد رشيد رضا في افتتاحية المنار للموقف العام فقال :

لو كنا نعمل للمال لصانعنا رجال المال من الأفراد والجماعات كالأحزاب والحكومات ، ولو كنا نعمل للمال لاتبعنا أهواء الجماهير في اختيار الهزل على الجد وإيثار الانسداد على الإصلاح ونحمد الله أننا لم نسلک طريقا في الإصلاح الخاص بالحكام الباذلين والأمراء والملوك والسلاطين والجماعات الدينية والسياسية . تلك سیرتنا في نقد الحكومة الحميدية ثم في التشنيع على الجمعية الاتحادية وحليفتها الحكومة الكمالية وفي جهاد الملك حسين بن علی وأولاده وفي انكارنا على متبعی المذاهب من الشيوخ انجامدين ورجال الطرق الخرافين . وقد عرضت في هذه الأيام شبهة تأييدنا للحكومة السعودية والطريقة الوهابية ، والمنار يدعو من أول نشأته الى التوحيد الخالص ومذهب السلف الصالح في عقائده الاسلامية وهدايته

كما يدعو الى فنون العصر وسنن الخلق في سياسته وقوته ، ولم يكن في ذلك الوقت ملك ولا سلطان يتهم بالطمع في مساعدته بل لم يكن يومئذ يعلم أن الوهابية يعتصمون بمذهب السلف بل كنا نصدق الدعاية التركية التي ذاعت في العالم منذ القرن الثالث عشر من أن الوهابية فرقة مبتدعة معادية للسنة وأهلها وأول رجل سمعت منه أن هؤلاء الوهابية قوم مصلحون ارادوا اعادة هداية الاسلام الى عهدنا الاول هو محمد مسعود بك الكاتب المصرى ثم قرأت ما كتبه في نشأتهم مؤرخ عصر ظهورهم الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الأزهرى ثم ما كتبه محمود فهمى المهندس المصرى في كتابه البحر الزاخر ثم صاحب الاستقصاء في تاريخ المغرب الأقصى ثم ما كتبه الشيخ عبد الباسط الفاخوري مفتى بيروت في تاريخ الاسلام ، كما أنه أتيح لى الاطلاع في أثناء ذلك على كتاب التوحيد وكتاب كشف الشبهات للامام المجدد الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله تعالى ثم على غيره من كتبهم بالتدريج واطلعت شيخنا الامام على ذلك .

المجلد ٢٩ (١٣٤٦ هـ — ١٩٢٨ م)

ما تزال قضايا النفوذ الأجنبي في العالم الاسلامى وآثار الاستعمار في عديد من دول الاسلام هى الشغل الشاغل للبنار ، وفي مقدمتها الدولة التركية العلمانية وأعمالها في القضاء على روح الاسلام في الأتراك وأثر ذلك في البلاد الاسلامية الأخرى حيث ظهرت جماعات فيها تدعو بدعوته وما ظهر في مصر من كتابات وصحف تؤازر هذا الاتجاه التفريبي وخاصة كتابى طه حسين (الشعر الجاهلى) وعلى عبد الرازق (الاسلام وأصول الحكم) وكتابات سلامة موسى ومحمود عزمى في نفس الاتجاه ومجلة الرابطة الشرقية ومقالاتها المسمومة .

وامتداد هذا الأثر الى فارس والأفغان حيث يتحدث السيد رشيد رضا عن الحكومات اللادينية في الترك وفارس وأفغانستان ، كما يتحدث من الانجليز وتنصير مسلمى السودان والمؤتمر الاسلامى العام في القدس من أجل قضية فلسطين وغزو الصهيونية لها وما يسمى الوطن القسوى لليهود ، ومثثة اليهود بانتزاع جدار المسجد الأقصى وخطر هجوم الكماليين على الاسلام يتنهّل في استبداد الحروف العربية بحروف لاتينية وأحاديثه

عن السنة والشيعة ، والوهابية والرافضة ، ورسائل اخوان الصفا ونظرية النصارى فى خطيئة آدم ، والرد على الاحمدية خلفاء القاديانية وترجمة محمد على اللاهورى للقرآن ، وفيما يتعلق بالازهر أورد مذكره المراهى فى اصلاح الأزهر ، وتحدث عن الاصلاح فيه والتعليم ، ومطاعن البشرية على الاسلام ورد سيف الرحمن اللورد هدلى وأحاديث عن الوهابية والصحنى النمىسوى يحيى بك كيف صار مسلما ، وأحاديث عن الماسونية واستحضار الأرواح والمرأة المسلمة ونهضتها الحاضرة ، كما عرض لقضايا مقارنات الأديان والبروتستانت والكاثوليك .

وقد حفل العام بأسماء كثيرة من المعاصرين جاء ذكرها ، منها الامام محمد بن عبد الوهاب وابن سعود والشيخ المراهى وأحمد ابراهيم وسعد زغلول ومحمود شكرى الالوسى والامير شكيب ارسلان وسليم البخارى وسيد امير على والشرىف حسين وعبد الرحمن الدمرداش وعبد العزيز جاويش وعلى سرور الزنكلونى ، وجاءت ردود على كتابات طه حسين وعارف الزين وهيكل وسلامة موسى .

كما عرض المنار لأنكار عدد من علماء الاسلام : ابن تيمية وابن القيم وأحمد بن حنبل والبخارى وأحاديث عن الصحيحين وأبو هريرة .

وقد افتتح المجلد التاسع والعشرون بحديث عن مدينة أوروبا المآل فتال أنها لا تجد لها منقذا من الهلاك القريب فى التنارع بين عباد المال والشيوعيين وفى الاسراف فى الشهوات والمطامع الا بدين القرآن فعلى المؤمنين الراسخين أن يعجلوا بانقاذها به قبل أن تقضى هى على ما بقى لهم من ملك وثروة وقوة :

ويقول : « ان الاسلام لا يزال قوة عظيمة فى الشرق كله اذا وجد لها زعماء جامعون بين العقل والعلم والحزم فانه يمكنهم أن يحفظوه ويرقوه ويحفظوا له بقية بلاده ويستقيبوا الكثير مما فقد منها بل يمكنهم أن يطولوا به عقدة مشكلة المدنية الكبرى ويعملوا نثره فى بلاد الغرب كلها ، أقول هذا عن علم وخبرة اكتسبها فى بحث استمر زهاء ثلاث قرن ولما أجد لها الزعماء الصالحين لتنفيذها ، وكان شهنشا الأسستاد الامام موقنا بهما وصرح به

في الدرس العام بالجامع الأزهر وكان مثله حكيم الاسلام والشرق السيد جمال الدين موقنا بهذا ويحاول أن يكون بسعيه ، وما أحبط سعي هؤلاء كلهم الا الدولة البريطانية وهي تحاول احباط عمل كل عامل يعمل للاسلام ايضا ما استطاعت ولكن الزمان قد اختلف .

● ترجم صاحب المنار في هذا المجلد لـ : سيد امير على — سليم البخاري — عبد الرحيم الدهرداش .

المجلد ٢٠ (١٣٤٨ هـ — ١٩٢٩ م)

سيطرت ثورة فلسطين على قضايا العالم الاسلامي ، وجددت الحديث من اليهود والانجليز والغرب والماسونية والجزويت واليهود والكنيسة وملك اليهود وهيكلمهم ، وحديث عن الاسلام وآراء بعض علماء الفرنج فيه وانتشاره في قرن فوق انتشار النصرانية في عشر قرون وجهاد أوروبا له بالسلاح والعلم والسياسة للدلالة منه ، وقد حفل المجلد بكتابات أسماء لامعة منها الأمير شبيب أرسلان عن ما يقال عن الاسلام في أوروبا ووجوب اطلاع المسلمين عليه ، ومحاضرات عجاج نويهض عن النهضة الاسلامية ، وأحاديث للمستشرق مونتيه الذي ترجم معاني القرآن وكتب عن السنة النبوية ، كما عرض لكتاب درفيحم عن النبي محمد (حياة محمد) وحديث عن طنطاوي جوهرى وتفسيره ورد الشيخ طنطاوي ومساجلة عاصفة بين رشيد رضا ومحمود عزمي حول مساواة المرأة والرجل في الحقوق والواجبات .

وقد أولى الشيخ رشيد رضا اهتمامه بالخلافات بين السنة والشيعة بمناسبة الخلافة الجديد الوهابية والرافضة ، كما أورد سيرة شيخ السلام ابن تيمية ، وعرض تاريخ حروف الكتابة ، وعن المدارس والجمع بين الجنسين وتعليم أبناء المسلمين في المدارس الأجنبية ، كما تحدث عن نظرية دارون وموقف الاسلام منها ، وفي المحاورات الخاصة بمقارنات الأديان تحدث عن الثالوث ، ونصرانية الفرنج ولماذا لا يسلمون وهيمنة القرآن على التوراة والإنجيل ، كما تحدث عن حقيقة الربا وأحاديث عن اسماعيل باشا وإخاليه القوانين الفرنسية في مصر ، وعرض لآراء بعض المستشرقين عن الاسلام والرد عليه ، كما عرض رأي هولستوي وعقيدته

— ٩٦ —

في المسيحية ، والصوفية وأخطائهم ، ولم يتوقف عن أحاديث الأزهري والتعليم فيه .

● ترجم صاحب المنار في هذا المجلد لـ : المراعي — أمين سامي .

وقد افتتح المجلد الثلاثين بقوله : نحمد الله أن قدرنا على استمرار إصداره في تلك السنين النحسات ونرجو من فضل الله تعالى أن نثبت على هذا التاريخ في إصداره ما دما متمتعين بالصحة بعد أن من علينا بدار صالحة للسكنى والمطبعة ، نذكر القراء في فاتحة المجلدين الثلاثين أن الحملة على الاسلام قد اشتدت في هذا العهد من خصومة في الداخل والخارج ، أعنى من قبل دول الاستعمار ودعاة النصرانية وهم طلابها ومن أعوانهم وأنصارهم وتلاميذهم في البلاد الاسلامية نفسها ، ولست أعنى هؤلاء من يستخدمهم المبشرون من نصارى القبط والسوريون والأرمن وغيرهم بل أعنى من هم اشر منهم وأضر ، من ملاحدة المسلمين من الترك والایرانیين والأفغانیين ، ودعاتهم وأخوانهم من المصريين وأشباهم من السوريين والعراقيين ومن الهندود والأفريقيين وسائر الشعوب الاسلامية الذين سممهم التربية الأفرنجية وأفسدتهم الآراء المادية وجنى عليهم الاسراف في الشهوات البدنية ، ونحن نطلق لقب الاتحاد على كل من يسمى خطه هؤلاء الكماليين الى نبذ الشريعة الاسلامية برمتها من حكومتهم والتمهيد لحو عقائد الاسلام وآدابه وعباداته من نابذة شعبهم ، بمنع اللغة العربية جميع بلادهم وترجمة القرآن لا تؤدي حقائق معانية من لغتهم ، وكتابته كغيره بالحروف اللاتينية للأجهزة على الفاظه وأساليبه المعجزة ، بل كل من يسمى هذه الخطاة اصلاحا ويحسنها ويدعو اليها فهو عدو للاسلام وولى لأعدائه ، وعداوة الاسلام أهم من الارتداد عنه والكفر به ، فان كان مع هذا زنديقا يدعى الاسلام ويخفي الكفر فافساده أهم ، واكبر من افساد الكافر الأصلي المرتد لأن الجاهلين بحقائق الاسلام من المسلمين يغترون بكلامه فيفتنهم عن دينهم .

ويقول : ملاحدة بلدنا طهشات : المجاهرون بالكفر والصد عن الدين ،

منهم صاحب مجلة ومطبعة في مصر (١) معروف وفي حلب مجلة حديثة (٢) ومنهم أحد محرري الجرائد اليومية المأجورين (٣) الذي كتب مقالات في تنقيح النص في الدستور المصري على جعل الدين الرسمي للحكومة المصرية الاسلام وطلب أن تكون حكومة معطلة (لا دينية) مقالات في سن قانون منفي للأحوال الشخصية ، لا يتقيد فيه بشيء من الأحكام الشرعية . وقد كان من أركان محرري السياسة ، ويقال ان له صلة وعلاقة ببعض جماعات اليهود ، وأفراد هذه الطبقة لا يدعمون التدين ولا يتمتعون بالتعطيل ومنهم من يفخر بذلك . أما الطبقة الثانية فهم الزنادقة الذين يظهرون الاسلام ويمتعضون اذا وصفتوا بالزيغ والالحاد وهم مع ذلك يضعون في أصوله ويجحدون بعض ما هو مجمع عليه ومعلوم بالضرورة ويشككون في آيات القرآن . (الطبقة الثالثة) الفماليج اللامعون من مرضى القلوب المقلدين ، الذين يشاسيعون المؤمنين كما لو كانوا معهم ويجارون الملحدين اذا وجدوا بينهم .

ومما يثبت بالخبر المستفيض أن من أفراد أولئك الملاحدة دعاة للكفر وسعاة للصد عن الاسلام ، ومنهم من يأخذ على ذلك جملا من جماعات التبشير بالنصرانية ومنهم يتقاضى مكافأة من بعض جماعات اليهود البلشفية أو الصهيونية ومنهم من يخدم الدول الاستعمارية ويأخذ أجره منها ، وكان الشيخ محمد مهدي وكيل مدرسة القضاء الشرعي أول من انبأني أنه يوجد في مصر جماعة تتعاون على الصد عن الاسلام بالطعن في شريعة وفي حكومة وفي لغة وفي أئمة الاسلام وفي كل من نوه بهم التاريخ من الخلفاء وكبار العلماء والأدباء ثم ظهرت آثارهم في بعض الصحف العامة وفيما نشروا من المصنفات الخاصة ، ولقد كادت الوزارة الانتلانية تسقط بانتصار أعظم أركانها لمؤلف ذلك الكتاب الرجس الذي جهر ملفقه بالطعن في القرآن ترجيعا لأصوات بعض أعوانه من المبشرين بالانجيل (٤) وقد علم الجمهور انه تألف في مصر حزب لحرية الفكر ، كان الملاحدة هم المؤسسين له بالطبع من حيث لا يدري كثير ممن انتظم في سلكه ، وقد

(١) سلامة موسى . (٢) سامي الكيالي .

(٣) محمود عزمي . (٤) طه حسين .

نشرت جريدة السياسة الأسبوعية (مارس ١٩٢٨) مقالا لأحد أركانهم صرح فيه بأنه يوجد في مصر تعصب ديني (إسلامي) ضار وأن جماعة كانوا الفوا حزبا ولما ألفت في مصر جمعية الشبان المسلمين عارضوها بتأليف جمعية الشبان المصريين ، واختاروا لها من يكبر شأنها ويلقى المحاضرات في نادية ، وليس الاتحاد في مصر حديث العهد بل ثبت قرنه من التفرنج منذ أكثر من قرن ومازال يرتفع ويقوى حتى طمع أهله باطفاء نور الدين وقد فسد الأستاذ الامام جهالتهم ببعض مقالاته في الوقائع الرسمية . واشدد خطرا ما فاه به بعض الملاحدة في مجلس النواب من الطعن في الشرع وفي نفس القرآن اذ قال فض الله فاه : انه لا يحترم أو قال يحتقر كتابا يبيح تعدد الزوجات . ولكن هذا الماخن الاباحى لا يحتقر قانونا يبيح الزنا للرجل والنسوان وتعدد البغايا والأخذان ، وطلب أحدهم وقف الجلسة بضع دقائق لأداء صلاة المغرب وكان تصريحهم بأن يمنعوا الصلاة مطلقا أو في هذا المجلس . وقد تألفت الأحزاب وتعاونت الجمعيات على بث الدعوة الى الاباحية والاتحاد ونشرت الجرائد والمجلات مقالاتهم المسوخة ونشرت الكتب الملعونة لا فرق بين ملاحدة الترك وملاحدة هذا البلد الا أن أولئك أوتوا قوة عسكرية ، وما فعله ملاحدة الترك والافغان وايران سرت عدواه الى كل قطر وهو الذى اطمع المستعمرين ودعاة النصرانية في اوربا بالاجهاز على الاسلام وتجديد النصرانية وتعزيزها في الغرب والشرق :

(١) عقد دعاة البروتستانتية من الانجليز وغيرهم مؤتمرا بعد آخر في القدس مهد النصرانية للتشاور في تعميم تنصير المسلمين : وقالت صحيفة في لندن انه لم يبق للاسلام رسوخ ولا ثبات الا في جزيرة العرب وانها تحتاج الى مائة مبشر من المجاهدين لنشر النصرانية في هذه الجزيرة والقضاء عليه في مهده الأول .

(٢) أعادت الدولة الفرنسية الجمعيات الكاثوليكية ما كانت صادرة من أموالها وأوقافها تنشيطا لها على نشر النصرانية في مستعمراتها الامريكية وسوريا .

(٣) ألفت كتب جديدة باللغة الفرنسية وغيرها في الطعن في الاسلام والحث على تنصير المسلمين والعرب بالقهر والاكراه .

(٤) صالحت الدولة الايطالية دولة الفاتيكان الكاثوليكية واعادتها

للبابا سلطانه السياسى فى دائرته ومئات الملايين مما كانت أوقفته من أموال دولة الكنيسة الرومانسية بعض ساستها .

(٥) نشطت الجمعيات التى تدعو الى توحيد كنائس المذاهب النصرانية فى الشرق والغرب وسارت فى سعيها خطوات الى الامام

(٦) ان حركة تجديد الدين فى انجلترا تلقى فى العناية حركة ايطالية باقتراح تعديل كتاب الصلاة المتبع فى الكنيسة الرسمة

(٧) مسألة فوضى النساء التى تعبر عن رعايتها بتحرير المرأة وتفضيل تهتكها المعبر عنه بالشعور على حياتها وعقلها المعبر عنه بالحجاب فقد أصبح النساء من ربات البيوت ومن العذارى المتعلقات يشين فى الشوارع بالليل والنهار مخاضرات للرجال ويغشين الملاهى والمنزهات ومنهن من يسبحن فى البحر ويختلفن الى المراقصة وهن أشد من الأجنيات عربا وتهتكنا . ان خصوم الاسلام القاعدين له فى كل مرصد يضحكون سرورا مما أصابه من الخزي بأهله الذين يمهّدون لهم السبيل لاستعبادهم والاستعمار لساثر بلادهم .

المجلد ٢١ (١٣٤٩ هـ — ١٩٣٠ م)

تسيطر على المجلد الحادى والثلاثين قضايا عديدة أهمها قضايا العالم الاسلامى فى مواجهة النفوذ الأجنبى وقد كانت مسألة المغرب وفرنسا وصدور الظهير البربرى الذى يحاول أن يعزل جماعة البربر المسلمين عن اخوتهم على أساس أنهم من جنس آخر ولهم مدارسهم ومحاكمهم ولهجتهم وقد انماض المنار فى الكشف عن زيف هذه المحاولة وقد وجه علماء المسلمين من جمعية الشبان المسلمين نداء الى ملوك الاسلام ورؤسائه شجبا لهذه المحاولة وقع عليه محمد شاكى ، رشيد رضا ، عبد الحميد سعيد ، خليل الخالدى ، أبو بكر يحيى ، جلال الحسينى ، على سرور الزنكلونى ، محمود أبو العيون ، محمود شلتوت ، ميزرا مهدى رفيع مشكى ، محمد عبد اللطيف دراز ، محمود الغمراوى ، عبد المجيد الربيعى ، يحيى أحمد الدرديرى ، محب الدين الخطيب ، صالح جودت البخامى ، طيطاوى جوهرى ، عبد الصمد شرف الهندى ، محمد الهلباوى ، محميد يونس الإنديلى ، الباروتى ، السيد محمد عفىنى . وأجاديث عن محاولة

- ١٠٠ -

فرنسا لنصرهم وموقف إيطاليا من مسلمى طرابلس الغرب ، وقد حفلت المنار بأحاديث وكتابات عن اعلام الاسلام فى العصر :

الأمير شكيب أرسلان يكتب عن « لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم » .

الشرىف حسين وفاته وتركته ، أحمد تيمور رثائه ومعلمته للبنوك ، أمان الله خان ، أحمد عرفان المصلح الهندى ، أمان الله خان ، أمين الجسيلي مفتى فلسطين ، جمال الدين وتجديده للأمة ، الخديو والإستاد الإمام ، مجيد على وبسوكيت على ، على سرور الزنكلوني ودروسه فى الأزهر ، المراسى ومجلة الأزهر .

وأحاديث عن القاديائية والدعاية لها فى سوريا ، والمسيحية واليهودية ، والمبشرون .

وأحاديث عن الشيعة والسنة ومناظرة فى خلافها والوهابية بمقيدتها ومذهبها .

وأحاديث عن الأزهر ، ويوسف الدجوى ومفتاويه .

وأوراق قديمة لم تنشر عن جمعية العروة الوثقى وسياستها وأصول نظامها .

وقد شغلت المنار بقضايا التغريب والغزو الثقافى ، فتحدثت عن مذهب دارون ونقضه ، وعن التزادقة والملاحدة ، وبدع أهل الطريق ، وحديث عن التجديد والمجددون ، والرافضة وتحريفهم لأية القار .

وأحاديث أخرى عن الثورة الهندية التاريخية وأسبابها ، وجزيرة العرب وروسية البلشفية واضطهادها للمسلمين وأحوال مسلمى الصين والترك وتهديدهم للإسلام .

كما خصصت أحاديث عن الربا ، وعن مساواة المرأة والرجل فى الميراث ، مناظرته مع محمود عزمى ، وأحاديث عن الإمام ابن تيمية عن جمع كلمة المسلمين تحت قاعده أهل السنة والجماعة ، وأحاديث عن التشريحة الإسلامية وتسخير الشريعة المحمدية لها قبلها ، وترجمة الإمام

- ١٠١ -

أحمد بن عرفان الشهيد مجدد القرن الثالث عشر بقلم الأستاذ أبو الحسن الندوى .

وقد استهل السيد رشيد رضا افتتاحية المجلة بكلمة جامعة قال فيها :
ان انصار الجبود والبدع المؤفة وحماة التقاليد المألوفة ممن سماهم
الأستاذ الامام حملة العمام وسكة الاثواب العباب قد اثار بعضهم
في هذا العهد عصبية مذهبية هى اضر على المسلمين من اثرة القبط عليهم
في مصالح الحكومة ، ومن تريقى المبشرين والملاحدة .

وقد طارت ريح الطيش بلب داعية قبطى كان اول من عاب الاسلام
وقال بتفضيل الذكور على الاناث في الميراث ودعا المسلمين الى نبذ
الفرائض المقررة في نصوص القرآن ، وهناك من عمل على اثارة العصبية
الجنسية الفرعونية .

وتحدث عن « مذهب السلف » فقال : اعلى الله مناره واعز مهاجرته
وانصاره . وانشائه دولة وجعل له صولة ، وتعددت جمعياته وصحفه وكثرت
وسائله وكتبه ، فتضاعلت امام التأويلات الكلامية والتقاليد الخرافية ولا خوف
على طريقة الأستاذ الامام في الاصلاح بعد ان اتفقت الكلمة على امامته
وانكشف بجوته الحجب التى كانت مضروبة امام جلالته من استبداد أمير
وحد شيخ كبير وتقليد غير جاهل .

ويقول : يهاجم الاسلام في هذا العصر جيشان قويان من محافل انكر
اقتواهما جيش الملاحدة الذين صار لهم دولة ، وان كانت واحدة (تركيا)
واضعفهما جيش المبشرين وان كان لهم دول متعددة ، فيجب على اهل العلم
وحملة الاقلام من المسلمين الاتحاد والتعاون للجهاد في هذا السبيل ،
سبيل الله بدلا من اضعاف الاسلام بالعصبية المذهبية التى كانت آخر علته
في عهد قوته من كل أعدائه من الكفار .

وقال السيد رشيد رضا : ان خدمة الجم العديد من علماء الأزهر
وغيرهم من المصنفين في العلوم الاسلامية المختلفة ، منذ عدة قرون للاسلام
لتصغر وتتضاغل في جانب خدمة هذا الرجل وأستاذة ، فان علومهم
ومصنفاتهم كانت في العهد الذي تهدم فيه ملك الاسلام وضعفت هدايته

— ١٠٢ —

ولم يكن لها أقل تأثير في العلم والعمل لأنها كلها مباحث لفظية .
وفي خاتمة المجلد ذكر محرر المنار : « ان سوق الكتب في كساد الا كتب
المجون والخلاعة والخرافات ومكتبة المنار خالية منها وكتب المدارس وأكثرها
محتكرة او كالمحتكرة » .

● ترجم صاحب المنار في هذا العدد لوفاء : الشريف حسين — أحمد
عرفان — شوكت على .

المجلد ٣٢ (١٣٥٠ هـ — ١٩٣١ م)

كان أبرز أحداث هذا العام انعقاد المؤتمر الاسلامى العام في بيت
المقدس الذى دعى اليه عدد ضخم من اعلام الفكر الاسلامى وشارك فيه
صاحب المنار بدور بارز وتابع صاحب المنار أحاديثه وأبحاثه في مختلف
المجالات الاسلامية سياسية وتربوية واجتماعية وتحدث عن عدة قضايا
هامّة :

- ١ — تعلم اولاد المسلمين في المدارس اللادينية أو مدارس النصرانية .
 - ٢ — ترجمة القرآن وكون العربية لغة الاسلام .
 - ٣ — المناظرة بين أهل السنة والشيعة .
 - ٤ — دراسة عن المرأة تحت اسم « نداء الى الجنس اللطيف » .
 - ٥ — أخطر حادث في وزارة المعارف وهو أخراج طه حسين وخروج
لطفى السيد .
 - ٦ — موضوع البغاء الرسمى .
 - ٧ — الاحتفال بذكرى معركة حطين .
- وقد اتسع نطاق الرد على الغزو الفكرى وقضايا التفريب الذى ظهر
واضحا في عديد من الأبحاث منها :
- ١ — انكار الوحى ورأى الماديين واستعراض لرأى مونييه ودومنجم .
 - ٢ — الرد على كتاب محمود أبو زيد تحت عنوان « دين جديد من الباطنية
والاسلام » .
 - ٣ — تقریظ ونقد شكيب أرسلان لتاريخ الأستاذ الامام وتعليق رشيد رضا .
 - ٤ — الرد على الأستاذ يوسف الدجوى في جملة قضايا .

- ١٠٢ -

٥ - تصحيح موقف الشيخ محمد عبده مما ورد في مذكرات بلنت عن الحدوث والعدم .

كما تناولت الدراسات وفيات الاعيان :

محمد توفيق البكرى ، أحمد شوقي ، حافظ ابراهيم .

وأحاديث أخرى عن كتاب عزى عن الاسلام والمسجد من مبشر أسلم (الانجيل والصليب) وقد أولت المنار اهتمامها بالجماعات الاسلامية فتحدثت عن جمعية مكارم الأخلاق الاسلامية :

قال السيد رشيد : « عندما هاجرت الى مصر في منتصف ١٣١٥ هـ لم أجد فيها غيرها (اسماعيل عاصم ، زكى الدين سند خطيب الجمعية والمؤسس لها ، ثم أسسنا جمعية شمس الاسلام ، ونقلت الجمعية الى حي شبرا لمقاومة دعاة النصرانية فيها اذ كثرت جمعياتهم وتصديهم لاغواء عوام المسلمين ومجلتها مكارم الأخلاق الاسلامية كما عرض لجمعية علماء المسلمين في الجزائر بزعامة الشيخ عبد الحميد باديس ومجلتها « الشهاب » وأشار الى أعضائها أمثال الطيب العقبي وسعيد الزهراوى .

ولم ينس معارضته الشديدة للطرق الصوفية وقد تعرضت للنقد الطريقتين التيجانية والشاذلية .

* * *

وقد استصرخ السيد رشيد رضا قراء المنار فى افتتاحيته لأداء حقوقه المظلولة منهم منقوصا منها خميسا فنصفها لثلاث تضطره العسرة والفقر الى ترك اصدار المنار هذا العام فلم يرسل أحد منهم درهما ولا دينارا يقول : « وانى قد حبست نفسى هذه الثلاثة أشهر على اتمام تاريخ الأتاذ الامام لم أكتب فيها غيره عسى أن أجد من ثمنه ما أنفق منه على اصدار المنار ولا تقبل بعد صدور هذا الجزء حقا الا تاما ولا نفعو منه شيئا ولا نشكوها الا الى الله عز وجل وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا » . .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لوفاء : حافظ ابراهيم ، أحمد شوقي ، محمد توفيق البكرى .

المجلد ٢٣ (١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م)

أحداث المغرب (تونس والجزائر ومراكش) تكاد تكون أبرز الأحداث السياسية في هذه المرحلة ، وخاصة فيما يتعلق بالظهير البربري الذي يحاول أن يفرض الجنسية الفرنسية على البربر في المغرب ، وهو ما سبق قيام فرنسا به بالنسبة لتونس ، ويجرى هذا مع اتساع التبشير والتنصير في مصر ، ويجرى الحديث حول الاسلام ووثنية الهند ، وعن الاستشراق وخطاره الجديدة ، ومسائل أخرى من النصرانية والصليب والرد عليها وأحاديث البهائية والقاديانية وموقفهما من الوحي والنبوة والالوهية ، هذا في الوقت الذي يجري الحديث فيه عن لبنان بوصفها وطن مسيحي وفي نفس الوقت الذي تستعرض الأوضاع في المملكة العربية السعودية وقد أولى السيد رشيد رضا القضايا الفكرية اهتماما واسعا .

فنشر فصولا من كتاب لغربي أسلم عن الانجيل والصليب ، ورد على كتاب فريد وجدي (الاسلام دين عام خالد) مقتصيا بعض آرائه ونشر مقدمة كتاب (نقض ملأعن القرآن الكريم) للشيخ محمد عرفة الذي رد به على شبهات طه حسين ، وقدم نقدا لوثنية الهند ولزعامة غاندي ، وتحدث عن طه حسين وأخطائه ، وقدم عرضا لكتاب حاضر العالم الاسلامي الهندي ترجمة عجاج نويهض وعلق عليه الأمير شكيب أرسلان .

وهناك حديث واسع عن تاريخ الدولة الهاشمية بمناسبة وفاة الملك فيصل بن الحسين ملك العراق ، كما عرض لدائرة المعارف الاسلامية وأخطائها ، وتحدث عن قضية رجال الكنيسة في ألمانيا الذين تحدوا الحكم النازي وعرض لثورة المرأة الاباحية وخطورها على الأسرة لعالمة .

ولم يغفل حديثه عن أخطاء التصوف الفلسفي والهندي فعرض للشعراني والتيجاني وقدم عرضا لحياة كل من الشيخ محمد أمين الشنقطي والسيد أحمد شريف السنوسي بمناسبة وفاتها .



واستهل السيد رشيد رضا افتتاحية المجلد الثالث والثلاثون من المنار ببيان موقف العالم الاسلامي أمام أوروبا في طورها الجديد بعد الحرب الكبرى التي كان الغبن الأكبر فيها على الشعوب الاسلامية العربية ، التي ساعدت

- ١٠٥ -

أعداءها من دول أوربا والربح للشعوب الأعجمية التي عادت لها وهم الترك والتي ألزمت الحياد وهم الأفغانيون والإيرانيون .

وقال : ان الترك كونوا من انقراض الدولة العثمانية دولة جمهورية مستقلة تعنى أشد العناية بالقوة العسكرية وال عمران المادى ولكنها الحادية (لا دينية) ترهق روح الشعب الدينى ولا يحيا شعب بغير دين وروح الاسلام كامة فى الشعب التركى ستظهر بقوة عظيمة يفجرها الضغط عند انتهاء حده . أما الأفغان فشرعوا فى عهد الملك السابق امان الله خان يقلدون الجمهورية التركية فى الاتحاد وفى تقليد الامرنج فى الحضارة المادية فادال الله من الملك نادر خان ، أما الفرس الإيرانيون لهم وسط بين الأفغان والترك ، والدول الثلاث استنفادت من ضعف دول أوربا ونم لها استقلالها بعد الحرب العظمى والبلاد التركية يهددها من الخطر المعنوى وقونها بين أوربا الرأسمالية والروسية والشيوعية أما شعوب المسلمين الأعجمية التى ليس لها دول اسلامية ففيها يقظة ونهضة علمية اقواها فى الهند ومسلموها زهاء ثمانين مليوناً ولكن الوثنيين فى جملتهم أكبر عددا وثروة وعلمها وأوسطها فى جاوة وما حولها من الجزائر الأندونيسية والمسلمون فيها الاكثرية الساحقة (٦٠ مليوناً) وهم اقل جربة من الهند لضغط هولندا عليهم وادناها فى الصين ومسلموها يزيدون على مسلمى جاوة عددا ولكنهم قليل فى الوثنيين الذين يزيدون على أربعمئة مليون ، أما المسلمون منهم أرومة الإسلام الاولى ، يملكون شطر قارة افريقيا الشمالى كله من مراکش الى مصر وشطر آسيا العربى ما بين المحيط الهندى وخليج فارس والبحر المتوسط ويبلغون زهاء مائة مليون وهم أشد شعوب الأرض خضوعا للدولتين الظالمتين (انكلترا وفرنسا) اللتين احتلتا بلاد العرب الخصبة واطاحت بجزيرة العرب وجعلتها تحت نفوذها ، أما غرب البلاد الاميرتية الذين بذلوا من اموالهم ورجالهم فى مساعدة انكلترا وفرنسا فقد جزياهم بشدة الضغط والحرمان .

ويقول : الاسلام لا توجد له فى هذا العصر دولة تقيمه وتكمله وتجدد قوته وعدله ولا شعب يهتدى به وينشره ، وينهض بحضارته ولا مدرسة تربى النشء عليه وتعلمه وتباضل عنه ، ولا جمعيات غنية تجددنه وتظهره

للأهم الحية وما فيه من العلاج لادواء البشر في حضارتهم ، أما المركز الطبيعى الحقيقى بالتجديد الاسلامى فهو المركز الذى اشرق منه نور الإسلام وهو الحجاز وسياحه فى جزيرة العرب .

● ترجم صاحب المنار فى هذا العدد لوفاة : محمد أمين الشنيطى ، أحمد الشريف السنوسى .

المجلد ٣٤ (١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م)

فى هذا المجلد الأخير من المنار كانت جزيرة العرب والوحدة العربية والسعى الذى قام به رشيد رضا مع بعض قادة الاسلام لعقد الاتفاق بين الامامين ملك السعودية وامام اليمن ومعاودة الطائف هو أبرز حديث وهناك أحاديث عن تركيا الكمالية والشريف حسين وأولاده والملك عبد العزيز آل سعود .

وهناك تذكير دائم بشر الصهيونية (ويل للعرب من شر قد امترب) وحديث من الشقاق بين العرب وعن قضية فلسطين ، ثم حديث آخر عن حركة النازى اللادينىة وشجاعة الفاتىكان وغاية مصطفى كمال من مراحل خطبة الملك عبد العزيز فى وفود الحج ١٣٥٣ وحديث عن ثورة الأزهر وعودة الاستاذ المرافى شيخاً للأزهر وخليج العقبة الحجازى ومطمع الانجليز فيه .

ثم أحاديث من الاستشراق ، وعن التربية الاسلامية والتعليم الاسلامى ونقد كتاب الشيخ أبو زيد وكتاب حياة محمد ومقدمة كتاب مفتاح كنوز السنة ، وكتاب مسائل الامام أحمد ومباحث الربا والاحكام المالية ومتابعة دائرة المعارف الاسلامية ومفاسدها ونقد كتاب جزوينى لكتاب الوحى المحمدى فى مجلة المشرق (اليسوعية) والرد عليه ومراجعة كتاب قواعد الحديث فى مصطلح الحديث للقماسى ، هذا بالاضافة الى فتاوى المنار عن أسئلة مثورة من كل مكان : حول ترجمة القرآن والأحاديث النبوية والعمل بالقرآن دون الأحاديث وقد وصل السيد رشيد رضا فى تفسير القرآن الى سورة هود وسورة يوسف وقدم تفسير سورة الكوثر والكافرون والاحلاص والمعوذتين (ومقدمة فى تفسير الفاتحة وخواتيم القرآن منقولة من تفسير الشيخ محمد عبده) .

● وقدم تأبين أحمد زكى باشا شيخ العربوة .

وقد افتتح السيد رشيد رضا المجند الرابع والثلاثون بحديث مطول ذكر فيه حال الشعوب الاسلامية بعد حرب الامم الكبرى ، راغباً في أن يجعلوا نصب أعينهم ما وقع على بعضها من الغبن والخسار وما أصاب بعضها من الربح والانتعاش وما هي عرضة له تجاه دول الاستعمار وأشار الى وطأة دولتي الاستعمار الكبيرتين على الشعوب العربية التي نصرتها في الحرب وجاهدت معها بأموالها وأنفسها وكانت أشد وطأة على الشعوب الاعجمية التي قابلتهما والتي سالمتهما .

يقول : ان انكلترا لا تزال ممثلة في ارهاق عرب فلسطين وانشراح وطنهم منهم واعطائه لليهود الصهيونيين ليجدد لهؤلاء ملكاً في قلب البلاد العربية حاجزاً بين مصر وبين الحجاز وفلسطين ، وان فرنسا لا تزال جادة في جعل عرب سوريا مللاً متفاوتة في الدين وشعوباً متفرقة في الدنيا وقصره على ابناء الأكثرين من المسلمين محصورين في سجون المدائن الأربع .

ولم تكن انكلترا في وقت ولا في مكان شراراً من فرنسا وأظلم مما هي الآن في « فلسطين » ولا تزال انكلترا بعد انتصارها في القاهر والمستعمر القاهر تنازعها حقه في القومية والدينية في جزيرتها المقدسة بأساليب دسائسها وكيدها المعروفة . وقد خشي الامام يحيى حتى غلبته على طبعه في شدة الحزن من الجاذبية فامضى لها معاهدة أقرها فيها على حمايتها للمقاطعات اليمانية التسع (أربعون سنة) وانها لتمكن لنفسها النفوذ في منطقة شرق الأردن بحيلة الانتداب وفي العقبة الحجازية التي سلبت من الحجاز بعد عقد صك الانتداب . هذه الجراة من الدولة الأجنبية على عداوة العرب والاسلام ستكون من أكبر أسباب زوال سلطاتها في الشرق الأدنى والشرق الأوسط وان خليج العقبة لهو أكبر هذه الأسباب ثم أشار الى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بأن لا يبقى في جزيرة العرب دينان .

وقال : ان التفرق في البلاد العربية والشعوب الاسلامية لا يدوم ، وأشار الى شعب التركستان الصيني وكيف استقل بعد ثورة حامية الوطيس .

ثم قال : ان القرآن شمل نوره العالم كله حتى حجبته المسلمون

عن أنفسهم وعن سائر الناس ووضعوا مصباحه المضيء بنور الله تحت المكيال — كما قال السيد المسيح عليه السلام — ولكن قد سخر الله المصلحين في هذا العهد لكشف المكيال عنه وتوجيه أبصار العقلاء الى اقتباس النور منه ، الا وأن هذا القرآن شمس الله المشرقة لهداية جميع الأمم ومأدبته المنصوبة لتغذية جميع البشر وان بعض علماء الافرنج المستقلين في العقل والرأى يقولون في هدايته ما يدمون به قولهم اليه ، وان دولة اليابان الشرقية كانت آخر من فطن له ، وستكون العاقبة في سيادة الأرض لمن سبق الى الاهتداء به .



ولقد توفي السيد رشيد رضا وهو يستعد لاعداد الجزء الأول من المجلد الخامس والثلاثين من المنار وقد كتب فعلا افتتاحية هذا المجلد التي نشرت في آخر المجلد الرابع والثلاثين فكانت ختام هذه الجولة الضخمة المباركة التي قام عليها وتراه في العدد الأخير ما زال في حماسه وإيمانه وثقته بالدعوة التي يحمل لواءها يقول : ما قصر منشئ المنار في شيء كما وقف عليه حياته في خدمة الملة والأمة وأشار الى مقاصدها الجامعة في فاتحة العدد الأول بل شمر واستبق فكان له من التأييد عند خواص العقلاء العارفين بما أصاب الاسلام من الوهن والضعف والفرقة وما يحتاجون اليه من الإصلاح الذي تتوقف عليه حياتهم أو نجاتهم من الذل والاستعباد مما لم يسبق له نظير الا في صيحة النعروة الوثقى التي تجلت فيها روح موقظ الشرق وحكيم الاسلام السيد جمال الدين وبلاغة الأستاذ الامام محمد عبده .

وأشار الى أنه فكر في وقف اصدار المنار في سنته القابلة ١٣٥٤ ولو على سبيل التجربة عسى أن أجد له من يقوم بنفخته من الأوفياء منهم ، يقول : رجحت هذا الأمر ثم عظم على وقد ريانى الدين على الثبات واتقاء ابطل عمل أشرع فيه .

(توقفت المنار من الصدور بالعدد الأخير من المجلد ٣٤) .

الباب الثالث

النهضة الإسلامية (حركة الإصلاح)

كما صورها المنار

مقدمة	:	النهضة الإسلامية
الفصل الأول	:	تفسير القرآن
الفصل الثاني	:	مفهوم أهل السنة والجماعة
الفصل الثالث	:	الصوفية الهندية والفلسفة
الفصل الرابع	:	السنة والشيعة
الفصل الخامس	:	مواجهة الأخطار والتحديات
الفصل السادس	:	شبهات التبشير والتشكيك في حقائق الإسلام
الفصل السابع	:	ما حققته حركة الإصلاح

مدخل

النهضة الإسلامية « حركة الإصلاح » كما صورها المنار

كان الهدف الأول الذي توخت المنار القيام به هو تأصيل النهضة الإسلامية أو لما كان يسمى « حركة الإصلاح الإسلامي » وما يتصل بها من ظهور حزب الإصلاح الإسلامي الذي كان يقوده الشيخ محمد عبده وقد أشار الى هذا الحزب هراخنة ولأول مرة اللورد كرومر في تقريره سنة ١٩٠٥ بعد وفاة الأستاذ الامام ، وكلمة الإصلاح كلمة غربية اساسا فهي تصور هذه النهضة بصورة حركة الإصلاح التي قامت بهنا جماعة المصلحين في المسيحية ، وان كانت في المعنى تختلف اختلافا واضحا ، ويتحدث السيد رشيد رضا على مسيرة المنار الطويلة عن الإصلاح الإسلامي ، والاصلاحان الديني والسياسي وتلازمهما ويقول :

« ان وجهة نظر المنار في كل ما عرضت له من قضايا كان تمثيلا حقيقيا لمفهوم حزب الإصلاح الإسلامي الذي يقوم على فهم الاسلام فهما صحيحا من منابعه الاولى » .

ومن هنا كانت معارضته الواضحة لمفاهيم مشايخ الطرق الصوفية وقد كانت قضية التصوف والطرق الصوفية من أبرز القضايا التي اولاهها السيد رشيد رضا اهتمامه على مدى سنوات المنار بالاضافة الى امرين آخرين وهما :

- ١ - نحلة البهائية والقاديانية وما تفرع منها .
- ٢ - جماعات التبشير والالحاد والاستشراق وما يتصل بمقارنات الاديان وخاصة بالنسبة لأخطاء كتاب المسيحية وعدائهم للإسلام .

ويقرر السيد رشيد رضا : « ان مفهوم حزب الإصلاح الإسلامي في استرجاع مجد الشرق لا يكون بالاعتماد على الغرب في الإصلاح وانما يكون بقوة الاسلام وبالعودة الى أصول الاسلام وآدابه وتعاليمه الصحيحة وان انحراف المسلمين عن جادتها هو الذي سلبهم ما كسبوا فالرجوع اليها هو الذي يؤلف بين قلوبهم ويجمع كلمتهم ويرجع لهم سيادتهم » .

ويقول : « ان أهم ما جاء به الاسلام هو التوجيه في العقائد الدينية والتعليم الأدبية والأحكام القضائية والمدنية فأهم أركان الإصلاح الاسلامي : هو جمع المسلمين على عقيدة واحدة وأصول أدبية واحدة وقانون شرعى واحد لا يحكم عليهم غيره فى أى نوع من أنواع الأحكام ولغة واحدة ، ويتوقف على هذا تأليف جمعية اسلامية تحت حماية الخليفة يكون لها شعب فى كل بلد اسلامى وهيئة عظمى فى مكة المكرمة واجتماعاتها فى موسم الحج تعمل على توحيد العقائد والآداب والأحكام واللغة » .

كما تناولت المنار (النهضة الاسلامية فى مصر) وهى النهضة التى قام بها الشيخ محمد عبده (م ٢ / ٢٤١) فى مجال اصلاح الأزهر والتعليم واللغة كما عرضت فصلا مطولا لنظرية الإصلاح الدينى كما يفهمها حزب الإصلاح وهو ما اقترحه على مقام الخلافة الاسلامية (م ١ / ٧٦٤) كما ناقشت بتوسع قضية الإصلاح الاسلامى الدينى وتحديث عن الإصلاحات السياسى والدينى وتلازمها (م ١ / ٧٦٥) وفى نفس الوقت اهتمت بمناقشة المعارضة وهم من يسمونه اتباع الطرق الصوفية سواء فى داخل الأزهر أو فى خارجه ، وتناولت الأبحاث مختلف الأحوال المثارة للطرق الصوفية وخاصة ما يتعلق بسلطة مشيخة الطرق الروحية وعقد المتصوفة (م ١) ومحاربة الطرفين والاستغاثة وزيارة القبور وعقدت المنار فصولا متوالية عن الطريقة الرفاعية والطريقة القادرية ومولد الدمرداش ، كما عرضت لأنصار اتجاه المحافظة فى مصر من أمثال الشيخ عليش وناقشت الصوفية وأصل تسميتهم كما تعرضت للموالد والبدع كما ناقشت فساد خطبة ابن عربى فى تفسيره وادعاءات الدجاجة للكرامة ، وتحديث عن نهضة الشيخ محمد عبده ورجاله الذين سلكوا مسلك السلف فى رسالة النوحيد كما تناولت المنار فكرة الجامعة الاسلامية وهى من أكبر القضايا التى عالجتها الصحافة (م ٢ / ٣٣٧) كما تحدثت عن الجنسية والدين وقالت ان الرابطة الاولى للأمة هى رابطة الشريعة العادلة والرابطة الثانية هى رابطة اللغة ، وكانت دعوة المنار الكبرى هى جمع كلمة المسلمين على قاعدة أهل السنة والجماعة .

وهاجم المنار المقلدين والجامدين : فالمتقلدون هم الذين رضوا بانحلال

- ١١٣ -

رابطتهم المالية وعفاء مقوماتهم ومستحققاتهم الموروثة وانتحال جنسية لغوية أو وطنية جديدة ، أما الجامدون فهم الخاملون الذين رضوا بهذه الحالة التي لا نجد لها تفسيراً إلا ما يسمونه الموت صبراً ، وهذا هو حزب الجمود والتقليد ، وأشار الى حزب آخر وسط بين ذيتك الحزبين وهم حزب الله المعلمون الذين يطلبون المجد الطرف ليكون متحدا بالمجد التقليد ، هؤلاء الذين يريدون الحياة بمقوماتهم ومشخصاتهم الخاصة لانتحال ما هو من ذلك لغيرهم ، الذين يريدون صقل جواهرهم ليظهر خواصه ومزاياه في اكمل ما يمكن أن يكون عليه ، هؤلاء هم حزب الوسط شهود علي الفريقين ولكنهم لا يزالون غرباء في ديارهم .

وفي تصور آخر يقول : الأحزاب الثلاثة هم الفقهاء المقلدون الجامدون الماديون السياسيون والمصلحون المعتدلون ، وفي مراجعة من مراجعات المنار للحركة الاسلامية في مصر يقول :

« ان حزب الإصلاح هو وحده مخلص الرجاء لأنه يقدر مزية كل من الحزبين قدرها ويعرف منافعهم ومضاره ويريد أن يكون معقد الارتباط والاتصال بهما بارجاع كل منهما عن خطاه والسير بالأمة في طريق يحفظ به مقوماتها ومشخصاتها وتعيد الموروث النافع منه الى جديد وتتدرج في استبدال النافع بالضرار منه وتقتبس من علوم العصر وفنونه وصناعاته ما لا تقوم لأمة قائمة في هذا العصر بدونه ، وسط بين الجامدين والمتفرجين ، ولم يكن طلاب الإصلاح الا أفرادا من التابئين في بيوت حزب الجمود أو حزب التفرنج ، هداهم الله تعالى باستعداد من فطرتهم وتوفيق في سيرتهم الى معرفة الطريقة المثلى لصالح أمتهم ، وعنده أن الجامدون من الشيوخ أشد حسدا وبغضا للمصلح الديني من غيرهم .

ويشير السيد رشيد رضا الى الإصلاح الاسلامي فيقول :
ان له طريقين لا ترتقى أمة الا بأحدهما أو كليهما ، اما من تبل الأمة كاوربا واما من ناحية الحكومة كاليابان ، وان العقبات هما رجال الدين ورجال الحكم والسُلطان .

يقول : « ويتوقف الإصلاح الاسلامي قبل كل شيء على اقناع العلماء ورجال الدين بان العلوم الرياضية والطبيعية التي هي محور الثروة والقوة

والعزة ضرورية لا مندوحة منها ، ويجب أن تعلم مع الدين وأن يقوم بتعليمها رجال الدين لأن تركها للمدارس الأميرية والأجنبية يجعلها خاصة بمن لا دين لهم وهؤلاء لا يرجى منهم خير للأمة ولا للملة ولا يستقط الوجوب بهم .
ان الدين لا يمكن حفظه الا بالدنيا فتعين أن يجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا (الرياضيات والطبيعات) وأحكام الشريعة الاسلامية تصرح بأن تعلم الصناعات التي يحتاج اليها البشر في معاشهم واجبة على مجموع الأمة « (١) » .

ومن مجمل ما نشره السيد رشيد رضا في المنار خلال الاعوام الخمسة والثلاثين (١٨٩٨ - ١٩٣٥) تستطيع أن تصل الى نظرية كاملة للإصلاح الاسلامي تقوم على أسس تحرير العقيدة من قيد التقليد وقد أولى السيد رشيد هذه الفكرة أهمية كبرى ويرى :

« ان عادة الناس قد جرت على اتباع من يثقون به ولهذا راجت بين المسلمين بدع وضلالات كثيرة باسم المذاهب والطرق حتى خرج بها كثيرون من الاسلام باسم الاسلام ، ومن ذلك طوائف الباطنية فمتى انقطع الناس عن فهم الكتاب والسنة انقطعت الصلة الحقيقية بينهم وبين دين الله الذي أنزله على رسوله وحرّموا البصيرة التي هي سبيل الله وابتغوا السبل المختلفة مخالفين لقوله تعالى : « **وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** » ولذلك نهى أئمة الفقه الأربعة وغيرهم من أئمة السلف عن التقليد الذي هو الأخذ بكلام من يثق المقلد بهم من غير بصيرة من الكتاب والسنة وكيف لا ينهون عن ذلك ويعلمون أنه يعين الناس عن سبيل الله . اننا ندعو المسلمين الى الاهتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله كل بقدر استطاعته وطالب الاهتداء من العامة ليستطيع ان يسأل العلماء « (٢) » .

ويطالب السيد رشيد رضا (في نطاق دعوة حركة الإصلاح) الى اتخاذ طريق عرفه المسلمون من قبل وأشار اليه حجة الاسلام الغزالي في كتاب

- ٢١٤ -

(القسطنطاس المستقيم) من الدعوة الى ازالة الخلاف والاخذ بالمجمع عليه والتخير في المختلف فيه وقليل من الناس من يترك كل ما اجمع على تحريره وتقبل ما سهل عليه من اجمع على ندبه واستحبابه .

وقد توسع نطاق البحث الذى كان يرمى في مجمله الى ابراز مفهوم اهل السنة والجماعة الذى هو عصمة المسلمين وهو منطلق النهضة الاسلامية الحقيقية التى حملتها حركة الاصلاح الذى قام عليها الحكيمان جمال الدين ومحمد عبده وتابعهما السيد رشيد رضا خلال اكثر من ثلاثين سنة وتلاميذهما وكان هداهم واضحا في كتابات الامامين ابن تيمية وابن القيم وما يتصل بكتابات الامام الغزالى والامام الاشعرى .

وقد عارض الشيخ رشيد رضا في طريقه لتوسيد مفهوم اهل السنة والجماعة مفهوم علم الكلام والباطنية والهجمية والمعتزلة ، كما تحدث عن المتفرجين وموقفهم من الاصلاح الاسلامى ، وتناول موقف الصوفية كذلك .

وقد اقام السيد رشيد رضا مفهوم اهل السنة والجماعة على قواعد اساسية قدمها كلها من خلال تفسير القرآن الحكيم الذى بداه الشيخ محمد عبده ومضى فيه كما عرض للشرعية الاسلامية ودعا الى التقريب بين الشيعة والسنة وعالج امور الازهر والتربية الاسلامية بعامة ، وبالجمله فقد اضاء الطريق تماما في مجال تقديم نظرية كاملة لكل من جاء بعده في شأن انيطة الاسلامية ولا ريب كان للشيخين جمال ومحمد عبده وكذلك رشيد رضا تقدير واضح للحركة التى قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية وان لم يكشف ذلك الا بعد ان تولى آل سعود الحكم في الحجاز سنة ١٩٢٦ وما بعدها .

الفصل الأول

تفسير القرآن

يعمد تفسير القرآن الذى قدمه الشيخ محمد عبده ونشره المنار وأتمه السيد رشيد رضا هو بمثابة حجر الرقى فى تثبيت مفاهيم النهضة الإسلامية ، ويشير صاحب المنار فى أكثر من موضع الى أنه هو الذى اقترح على الأستاذ الإمام أن يكتب تفسيراً للقرآن فى رمضان ١٣١٥ هـ قبل الشروع فى انشاء المنار وذلك بأن اقترح عليه قراءة درس فى التفسير وقد تردد ثم لم يفعل الا بعد سنتين وشهور .

يقول : « زرتة فقرأ لى عبارة من كتاب فرنسى يطعن فى القرآن فطفق يرد عليها واحتاج فى الرد على العلوم فى تفسير رب العالمين فتمنيت حينئذ لو كان للقرآن تفسير على نحو ما كان يفسر لماقترحت عليه ذلك ، وإنما قلت : لو كتبت تفسيراً على هذا النحو يقتصر فيه على حاجة العصر وترك كل ما هو موجود فى كتب التفسير وتبيين ما أهملوه ، قال : ان الكتب لا تفيد القلوب العمى ، لا تفيد الكتب الا اذا صادفت قلوباً عالمة بوجه الحاجة اليها تسعى الى نشرها ، واذا وصل كتاب الى ايدى هؤلاء العلماء وفيه غير ما يعلمون لا يعقلون المراد منه ، واذا عقلوا شيئاً منه يردونه ولا يقبلونه واذا قبلوه حرفوه الى ما يوافق علمهم ومشرعهم ، كما جرى عليه فى نصوص الكتاب والسنة التى يريد بيان معناها الصحيح وما تفيده . ان الكلام المسموع يؤثر فى النفس أكثر مما يؤثر الكلام المقروء لأن نظر المتكلم وحركاته وإشارته ولهجته فى الكلام ، كل ذلك يساعد على فهم مراده من كلامه ويمكن للسامع أن يسأله عما يخفى عليه منه أما اذا كان مكتوباً فمن يسأل . ثم شرع فى قراءة التفسير بالأزهر فى غرة المحرم ١٣١٧ هـ وكتبت مقالة فى المؤيد بينت فيها وجه حاجة المسلمين الى فهمه والاهتداء به وان كتب التفسير غير كافية وعلم الناس فاقبلوا على تلك الدروس اقبالا لم يعهد له نظير من المسلمين فى هذا العصر وقد عين مفتياً للديار المصرية فى الشهر الذى شرع فيه بقراءة التفسير .

(م ٨ / ٨٩٦) وأشار السيد رشيد رضا الى طريقة الامام في قراءة التفسير وطريقته هو في كتابته ، فقال : اننى لما استقلت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه رحمه الله تعالى بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة سواء كان تفسيرا لها أو في حكمها وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية من العلماء ومن الاكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين الى تحقيقها بهداية دينهم في هذا العصر أو تقوى حجتهم على خصومه من الكفار والمبتدعة أو بحل بعض المشكلات التي أعيد حلها بما يطمئن اليه القلب وتسكن اليه النفس .

وقد أشار السيد رشيد رضا (م ٢٨ / ٦٤٦) الى الحكمة من تقديم تفسير عصرى للقرآن فقال : « شاهدنا ولا نزال نشاهد في بلادنا أن طلب العلوم والفنون مع اهمال التربية المصلحة للنفس لم يحل دون استعباد الأجانب لها كما جرى في دولتى الآستانة والقاهرة وغيرها ، نرى الرجل المتعلم المتفنن يتولى ولاية أو وزارة فيكون أول همه فيها تأسيس ثروة واسعة لنفسه وولده لأجل التمتع بالشهوات واللذات والزينة ، وهكذا تفعل كل طبقة من رجال الدولة يستنزفون ثروة الأمة بالرشا والحيل واكل السحت ويكون كل ما فضل من شهواتهم بل جل ما ينفقونه عليها من نصيب الأجانب . (ومن هنا جاء) وجوب فهم القرآن والاهتداء به وبأن فقهه يتوقف على تفسيره لمن لم يؤت من ملكة لغته وفروق أساليبها وروح بلاغتها ومن تاريخ الاسلام وسيرة الرسول وهدى السلف الصالح ما يمكنه من فقهه بنفسه . انما يفهم القرآن ويفقه فيه من كان نصب عينيه ووجهه وقلبه ما بينه الله تعالى في موضوع تنزيله ومائدة ترتيبه وحكمة تدبيره من علم نور وهدى ورحمة وموعظة وعبرة وخشوع وخشية وسنن في العالم مضطردة فتلك غاية انذاره وتبشيريه ، ويلزمها عقله وفطره لتقوى الله تعالى بترك ما نهى عنه وفعل ما أمر به بقدر الاستطاعة وكان من سوء حال المسلمين أن أكثر ما كتب في التفسير تشغل مادته عن هذه المقاصد فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الاعراب وقواعد النحو ونكت المسمانى ومصطلحات البيان ومنها ما يصرفه عنها بجدل المتكلمين وتخريجات

الأصوليين واستنباطات الفقهاء المقلدين وتأويلات المتصوفين وتعصب الفرق والمذاهب بعضها على بعض ، بعضها يلفته عنه بكثرة الروايات وما فرضت من خرافات الاسرائيليات وقد زاد الفخر الرازي صارفاً جديداً عن القرآن هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهدها كالهئية اليونانية وغيرها وقلده بعض المعاصرين في ايراد مثل ذلك في علوم هذا العصر وفنونه فهو يذكر في تسمية تفسير الآية فصولا طويلة بمناسبة كلمة مفردة كالسما والارض من علوم النبات والحيوان تصدقارثها عما أنزل الله لأجله القرآن ، وأكثر التفسير المأثور قد سرى الى الرواة من زنادقة اليهود والفرس ومسلمة أهل الكتاب كما قال الحافظ ابن كثير وجل ذلك في قصص الرسل مع اقوامهم وما يتعلق بكتبهم ومعجزاتهم ومن تاريخ غيرهم كأصحاب الكهف ومدن ارم ذات العماد وسحر بابل وعوج بن عنق وفي أمور الغيب بن اشراف الساعة وقيامها وما يكون فيها وبعدها وجل ذلك خرافات ومقدمات لذلك ، قال الامام أحمد : ثلاثة ليس لها أصل : التفسير والملاحم والمغازي وكان الواجب جمع الروايات المفيدة في كتب مستقلة كبعض كتب الحديث وبيان قيمة اسانيدھا .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : والاختلاف في التفسير على نوعين : منه ما مستنده النقل فقط ومنه ما يعلم بغير ذلك والمنقول اما عن المعصوم أو غيره ومنه ما يمكن معرفة الصحيح منه من غيره ومنه ما لا يمكن ذلك وهذا القسم الذي لا يمكن معرفة صحيحه من ضعيفه عامته مما لا فائدة منه ولا حاجة بنا الى معرفته وذلك كاختلافهم في لون كلب أصحاب الكهف واسمه وقصة البقرة وسفينة نوح والغلام الذي قتله الخضر فهذه الأمور طريقة بها النقل فما كان منها منقولا لا صحيحا عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل وما لا صح امره بأن نقل عن أهل الكتاب ككعب بن وهب وقف عن تصديقه وتكذيبه لقوله صلى الله عليه وسلم : « اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » .

والجهتان اللتان هما مثار الخطأ : احدهما حمل الفاظ القرآن على معاني اعتقدوها لتأييدها به ، أقول لجميع مقلدة الفرق والمذاهب في الأصول

والفروع المتعصبين لها فانهم قد جعلوا مذاهبهم أصولا والقرآن نرعا لها يحمل عليها وهذا شر انواع البدع وتفسير القرآن بالرأى المذموم من الحديث والثانية التفسير بمجرد دلالة اللغة العربية من غير مراعاة المتكلم بالقرآن وهو الله عز وجل والمنزل عليه والمخاطب به . ان أكثر ما روى في التفسير المأثور أكثره حجاب على القرآن وشاغل لنا عن مقاصده العالية المزيكية للأنفس المنورة للعقول فالفضلون للتفسير المأثور لهم شاغل عن مقاصد القرآن بكثرة الروايات التى لا قيمة لها سندا ولا موضوعا . ثم قال : وكانت الحاجة شديدة الى تفسير يتوجه العناية الأولى نيه الى هداية القرآن على الوجه الذى يتفق مع الآيات الكريمة المنزلة فى وصفه وما أنزل لأجله من الإنذار والتبشير والهداية والإصلاح ، ثم العناية الى مقتضى حال هذا العصر فى سهولة التعبير ومراعاة افهام صنوف القارئین وكشف شبهات المشتغلين بالفلسفة والعلوم الطبيعية وغيرها .

ثم يتحدث السيد رشيد رضا عن العمل الذى قام به فيقول :

كنت قبل اشتغالى بطلب العلم فى طرابلس الشام مشتغلا بالمعبادة ميالا الى التصوف ، وكنت أنوى بقراءة القرآن الاتعاط بمواعظه لأجل الرغبة فى الآخرة والزهد فى الدنيا ، ولما قرأت دعوة (العروة الوثقى) الى الجامعة الاسلامية واعادة مجد الاسلام وسلطانه وعزته واسترداد ما ذهب من ممالكه وتحرير ما استعبد الأجانب من سيطوته أثرت فى قلبى تأثيرا أدخلت به فى طور جديد من حياتى ، وأعجبت جد الإعجاب بمنهج تلك المتالات فى الاستشهاد والاستدلال على قضايها بآيات من الكتاب العزيز وما تضمنه من تفسيرها مما لم يحوم حوله أحد المفسرين ، على اختلاف أساليبهم فى الكتابة ومداركهم فى الفهم وأهم ما انفرد به منهج العروة الوثقى فى ذلك ثلاثة أمور :

١ - بيان سنن الله تعالى فى الخلق ونظام المجتمع البشرى وأسباب ترقى الأمم وتدليها وقوتها وضعفها .

٢ - بيان أن الاسلام دين سيادة وسلطان وجمع بين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ومقتضى ذلك أنه دين روحانى اجتماعى ومدنى عسكري ، وان القوة الحربية فيه لأجل المحافظة على الشريعة

العادلة والهداية العامة وعزة الملة لا لأجل الاكراه على الدين بالقوة .

٣ — ان المسلمين ليس لهم جنسية الا دينهم مهم اخوة لا يجوز أن يفرقهم نسب ولا أمة ولا حكومة .

ويقول: كان الاحتلال الانجليزي لمصر ١٢٩٩ هـ ، ونشأت العروة الوثقى في باريس سنة ١٣٠١ الكاتب للمقالات هو الثانى (محمد عبده) ولكن بإنشاء الأول (جمال الدين) وهو أستاذة في هذا المنهج ومربيه عليه ، وقد توجهت نفسى بتأثير العروة الوثقى الى الهجرة الى السيد جمال والتقى عنه وكان قد جاء الآستانة وبعد أن توفاه الله تعلقت آمالى بالاتصال بخليفته الشيخ محمد عبده للوقوف على اختياره وآرائه في (الاسلام الاسلامى) وما زلت أتربص الفرص لذلك حتى سنحت لى في رجب ١٣١٥ عقب اتمام تحصيلى للعلم في طرابلس وأخذ الشهادة العالمية واجازة التدريس من شيوخها مهاجرت الى مصر وأنشأت المنار للدعوة الى الإصلاح » .

وردد السيد رشيد رضا ما أورده من حديث الشيخ محمد عبده حول مطاعن أحد كتاب الفرنسيين في الاسلام وفي هذه المرة كانت اجابة الشيخ مختلفة حيث قال : ان هؤلاء الانرج يأخذون مطاعنهم في الاسلام من سوء حال المسلمين مع جهلهم هم بحقيقة الاسلام ، وقال : ان القرآن نظيف والاسلام نظيف وانما لوثة المسلمون باعراضهم عن كل ما في القرآن واشتغالهم بسفاسف الأمور ، وطلق يتكلم بهذه المناسبة في تفسير قوله تعالى : « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا » وماذا كان ينبغى للمسلمين أن يكونوا عليه لو اهتموا اليها . ثم ذكر أن الطاعن ادعى أن المسلمين لم يعلمهم نبيهم من صفات الخالق الا أنه حاكم قاهر وسلطان عظيم تد أوجب الفتح على أتباعه لأجل قهر الأمم لا لأجل تربيته ، فأين هذا مما تسميه النصارى خالفهم بالآب الدال على الرافة والرحمة ، وتحدث عن اسم الرب وما فيه من معانى التربية واللفظ والفرقة بينه وبين معنى الأدب وكون طلبه للولد بمقتضى شهوته لا محبته له وغير ذلك ، قلت : لو كتبت تفسيراً على هذا النحو ، يقتصر على حاجة العصر ونترك كل ما هو موجود في كتب التفسير وتبين ما أهملوه » .

وجملة القول في هذا كله أن الشيخ محمد عبده بدأ التفسير في غرة المحرم ١٣١٧ وانتهى منه في منتصف المحرم ١٣٢٣ عند تفسير « وكان الله بكل شيء محيطا » (الآية ١٢٥ من سورة النساء) فقرأ زهاء خمسة أجزاء في ست سنين اذ توفي لثمان خلون من جمادى الأولى منها رحمه الله وأثنى عليه وكانت طريقته في قراءة الدرس على مقربة مما ارتآه في كتابة التفسير وهو أن يتوسع فيه فيما أغفله أو قصر فيه المفسرون ويختصر فيما برزوا فيه من مباحث الالفاظ والاعراب ونكت البلاغة وفي الروايات التي تدل عليها ولا يتوقف على فهمها الآيات ويتوكل في ذلك على عبارة تفسير الجلالين الذي هو أوجز التفسير فكان يقرأ عبارته فيقرأها أو ينقد منها ما يراه منتقدا ثم يتكلم في الآية أو الآيات المنزلة في معنى واحد بما فتح الله عليه مما فيه هداية وعبرة .

يقول السيد رشيد رضا : « وكنت أكتب في أثناءلقاء الدرس مذكرات أودعها ما أراه أهم ما قاله ، واحفظ ما أكتب لأجل أن أبيضه وأمده بكل ما أتذكره في وقت الفراغ ، وما لبثت أن أقترح على بعض الراغبين في الاطلاع عليه من قراء المنار في البلاد المختلفة ومن الحريصين على حفظه من الاخوان بمصر أن أنشره في المنار فشرعت في ذلك أول المحرم ١٣١٨ وكنت أولا أطلع الأستاذ الامام على ما أعده للطبع كلها تيسر ذلك بعد جمع حروفه في المطبعة وقبل طبعه فكان بما ينقح فيه بزيادة قليلة أو حذف كلمة أو كلمات ولا أذكر أنه انتقد شيئا مما لم يره قبل الطبع بل كان راضيا بالمكتوب بل معجبا به على انه لم يكن كله نقلا عنه ومعزوا اليه ، بل تفسيرا للكاتب من انشائه اقتبس منه من تلك الدروس الغالية جل ما استفادته منها لذلك كنت أعزو اليه القول المنقول عنه اذا جاء بعد كلام لى في بيان معنى الآية أو الجملة على الترتيب فاذا انتهى النقل وشرعت بكلام لى بعده قلت في بدئه : (أقول) ولم يكن هذا التمييز ملتزما في أول الأمر بل يكثر في الجزء الأول ما لا عزو فيه ومنه ما هو مشترك بين ما فهمته منه ومن كتب التفسير الأخرى أو من نص الآية على أنى عبرت عنه بآمالى مقتبسة ، ولما كان رحمه الله تعالى يقرأ ما أكتبه ، اما قبل طبعه وهو الغالب واما بعده وهو الأقل ، لم أكن أرى حرجا فيها أعزوه اليه مما فهمته منه وان لم أكن كتبتة عنه في مذكرات الدرس

لأن اقراره اياه يؤكد صحة الفهم وصدق العزو ، وبعد أن توفاه الله صرت ارى من الأمانة أن لا أعزو اليه الا ما كتبه عنه أو حفظته حفظا ، وصرت اكثر أن أقول قال ما معناه ، أو ما مثاله أو ما ملخصه .

وقد بدأت في حياته بتحرير تفسير الجزء الثمانى من المنار وطبعه على حدته وتوفى قبل طبع نصفه فهو قد قرأ ما طبع منه مرتين ، وقد اشتد شعورى بعد ذلك بأن على وحدى تبعة تأليف تفسير مستقل وتبعه ايداعه ما تلقته من هذا العالم الكبير المشرق البصيرة وذى النصيب الوافر من ارث نبى الله داود عليه السلام الذى قال الله تعالى فيه « **وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ** » وتبعة الأمانة فى النقل بالمعنى أثقل من تبعة تحرى الفهم الصحيح وأدائه ببيان صحيح .

هذا وانى لما استقلت بالعمل ...

(م ٢٨ / ٦٤٦ . ج)

وقد عرض السيد رشيد رضا للقواعد التى أملاها الشيخ محمد عبده فى مقدمة التفسير حيث قال : « القرآن كلام سماوى تنزل من حضرة الربوبية التى لا يكتنه كنهها على قلب أكمل الأنبياء وهو يشمل على معارف عالية ومطالب سامية لا يشرف عليها الا أصحاب النفوس الزاكية والعقول الانصافية . والتفسير الذى نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس الى ما فيه سعادتهم فى حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة ، فان هذا هو المقصد الأعلى منه وما وراء هذا من مباحث التفسير تابع له أو وسيلة لتحصيله . وقال : التفسير له وجوه شتى :

١ — النظر فى أساليب الكتاب ومعانيه وما اشتمل عليه من أنواع البلاغة ليعرف به علو الكلام وامتيازاه على غيره من القول ، سلك هذا المسلك الزمخشري وقد ألم بشيء من المقاصد الأخرى ونحا نحوه كثيرون ،

٢ — الاعراب .

٣ — تتبع القصص .

٤ — غريب القرآن .

٥ — الأحكام الشرعية من عبادات ومعاملات .

٦ — أصول العقائد ومقارعة الزائغين .

٧ — المواعظ والرقائق .

٨ — الاشارة واشتباه كلام الباطنية وكلام الصوفية .

وقال : ان الاحكام العملية التى يسمونها فقها هى أقل ما جاء فى القرآن وان فيه من التهذيب ودموة الأرواح الى ما فيه سعادتها ورفعتها من حضيض الجهالة الى أوج المعرنة وارشادها الى طريقة الحياة الاجتماعية مما لا يستغنى عنه من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ولا يوجد هذا الارشاد الا فى القرآن وفيما أخذ منه كاحياء العلوم . كما أن كثيرا من حكمه ومعارفه لم يكشف عنها اللثام ولم يفصح عنها عالم ولا امام ، ثم ان أئمة الدين قالوا ان القرآن سيبقى حجة على كل فرد من أفراد البشر الى يوم القيامة (والقرآن حجة لك أو عليك) .

ثم اشار السيد رشيد رضا الى اتباعه لهذا المنهج ، فقال : اننى اعتقد أن كل ما انا فيه من نعمة الله تعالى على فى دينى ودنياى وعللى وعملى ، هو من آثار سلوك الطريق على يد ذلك الأستاذ العارف رحمه الله وجزاه عنى خيرا ، واثار السيد رشيد رضا الى أن كثيرا من الالفاظ التى كانت تستعمل فى زمن التنزيل لمعان ثم غلبت على غيرها بعد ذلك بزمن قريب أو بعيد ، ومن ذلك لفظ « التأويل » الذى اشتهر بمعنى التفسير (مطلقا أو على وجه مخصوص) ولكنه جاء فى القرآن بمعان أخرى ، ويقول : يجب على من يريد الفهم الصحيح أن يتبع الاصطلاحات التى حدثت فى الملة فكثيرا ما يفسر كلمات القرآن باصطلاحات حدثت فى الملة بعد القرون الثلاثة الأولى فعلى المدقق أن يفسر القرآن بحسب المعانى التى كانت مستعملة فى عصر نزوله ، والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه بأن يجمع كل ما ورد فيه من الالفاظ المكررة وينظر فيها فربما استعملت بمعان مختلفة كلفظ (الهداية) .

الفصل الثاني

مفهوم أهل السنة والجماعة

كان تفسير القرآن الذى بدأه الشيخ محمد عبده وسار نحوه السيد رشيد رضا شوطا طويلا حتى توقف رحمه الله عند سورة هود (السورة الحادية عشرة من المصحف) وسورة يوسف ، مدخلا الى تصحيح العقيدة وابرار مفهوم أهل السنة والجماعة المتحرر تماما من مفاهيم الجهمية والمعتزلة والصوفية والباطنية ، وقد عنى السيد رشيد رضا عناية كبرى بتحرير هذه القضية على نحو واسع شغل من المنار صفحات واسعة ومضى فيه السيد عاما بعد عام لم يتوقف ، عرض فيه لعدد من كتب اسلف الكاشفة لهذا المعنى كما عرض لكتب الفرق ناقدا، وداحضا. ويرى أنه من الضروري تحرى مذهب السنة الصحيحة فى التفسير من وراء المعتزلة والأشعرية ومن خلال تراث ابن تيمية وابن القيم اللذين يوليها اهتماما واسعا فيقول : « ان كلا من المعتزلة والأشعرية أخطأوا من جهة واصابوا من أخرى وان مذهب السنة الصحيح وسط بين هذين المذهبين ولمن أخذ العلم من كتب طائفة تؤيد مذهبنا معينا دون النظر فى كتب أهل المذاهب الأخرى يفك الأخذ من ربة التقليد ولا يهديه الى طريقة التحيص والتجديد ، وان كتب ابن تيمية وابن القيم أنفع كتب الكلام وان مذهب الشيخين هما الجديران بلقب شيخ الإسلام فقد أصاب من يعنى به من العلماء الأعلام وخلاصة القول الحق أن العقل والكتاب يدلان على حكمة الله تعالى وعمله ورحمته وفعله كما يدلان على قدرته وإرادته واختياره يستحيل عليه أضدادها فكل أعماله وحكمه مصلحة للخلق والحكم والمصلحة فى العقل تسمى فى اللغة علة وجاء ذلك فى القرآن بحرف التعليل فأجمع بين العقل والنقل تهتد السبيل ولا تكتر أو تضل أحدا من أهمل العلية .

وقد أجرى محاورات واسعة بين المصلح والمقلد ، لكشف حقيقة مفهوم أهل السنة والجماعة ومحاربة كلا الفكر الصوفي والتقليدى وفكر الكلام والفلسفة والمنطق وحياء مفهوم أهل السنة والجماعة بعيدا عن كل

التفسيرات الموجبة لغير ذلك سواء أكانت معتزلة أم صوفية أو فلسفية ،
 وقدم في ذلك كتاب شرح عقيدة السفاريني (الدرة المضيئة في عقد الفرقة
 المرضية) وقد اهتم بالرد على المعتزلة الأشعرية معا كما عرض لكتاب
 الشيخ حسين الجسر في العقائد (الحصون الحميدة لمحافظة العقائد
 الإسلامية) وقال ان هناك جماعات متعددة في العراق وسوريا من انراضة
 والمثبته التي تحيى ما فعله عبد الله بن سبأ الذي ابتدع لهم الرضا وتحدث
 عن الأحاديث الموضوعة والوضامين وأبطل مذهب القدرية والجبرية
 ومن ذلك قوله : « ليس القرآن وحده ولكن القرآن والسنة » وأشار الى
 الارتباط بين السلفية والأشعرية « فهما أهل السنة والجماعة أم يفرطوا
 تفریط القدرية النفاة ، ولم يفرطوا افراط الجبرية المحتجين بالقدر على
 معاصي الله فمذهب سلف الأمة وأئمة السنة كافة ان جميع أنواع انطاعات
 والمعاصي والكر والفساد واقعة بقضاء الله وقدره لا خالق سواه فأفعال
 العباد مخلوقة لله تعالى خيرها وشرها حسنها وقبحها ومذهب سلف الأمة
 وأئمتها وجمهور أهل السنة المثبته للقدر من جميع الطوائف يقولون ان العبد
 فاعل لفعله حقيقة وان له قدرة حقيقية واستطاعة حقيقية ، ولا ينكرون
 تأثير الأسباب الطبيعية والعبد غير مجبور على أفعاله بل هو قادر عليها
 هذا القدر ثم ان الأشعري أثبت للعبد كسبا ومعناه أنه قادر على فعله
 وان الله فاعل فعل العبد وان عمل العبد ليس فعلا للعبد بل كسبا » .

وقد كشف السيد رشيد رضا كثيرا من شبهات الباطنية والزنادقة
 ورد عليها ، كما تعرض للمحكم والمتشابه ، والناسخ والمنسوخ .

وكشف كيف كان الرضا والتشيع والاعتزال من أبواب الزندقة
 والاحاد . فالصائبة المتفلسفة كانوا مصدرها أخذ منه أو زاد عليه القرامطة
 والنصيرية الاسماعيلية الحاكمة وهم انما يدخلون الى الزندقة والكر
 بالكتاب والرسول من باب التشيع والرضا والمعتزلة .

وأما في عرض شرح عقيدة السفاريني ، من رجحان مذهب السلف
 على غيره مؤيدا ذلك بالدلائل النقلية والعقلية وقد اقتبس جل تحقیقاته
 من كلام الامامين الجليلين شيخ الاسلام ابن تيميه وتلميذه المحقق ابن القيم

وقد قال ذلك في مواجهة كتب العقائد التي يتداولها طلاب العلم وكلها من وضع المتكلمين الذين جروا على طريقة فلاسفة اليونان .

وأشار في أكثر من موضع الى وحدانية الألوهية ووحداية الربوبية ، فأما وحدانية الألوهية فهي قوله أن لا تعبد الا الله وأكده بقوله ولا تشرك به شيئا والاله هو المعبود الذي تولاه العتول في معرفته ، أما وحدانية الربوبية فهي قوله ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فالرب هو السيد الرب الذي يطاع فيما يأمر وينهى والمراد هنا من له حق التشريع والتعطيل والتحرير (م ٢٥٥/١٠) .

ويتحدث من فكرة التحرر من التقليد وتحامى كتب المتأخرين أينما وجدت ويستشهد بقول الامام الشاطبي : كان لأخذ الفقه من كتب الأقدمين ولا يرى لاحد أن ينظر في هذه الكتب المتأخرة كما قرره في كتاب الموافقات وترد عليه الكتب في ذلك من بعض أصحابه فيوقع له : « وأما ما ذكرتم من عدم اعتمادى على التأليف المتأخر فليس ذلك منى محض رأى ولكن اعتمدته بحسب الخبرة عند النظر في كتب المتقدمين مع المتأخرين ، كابن بشر وابن شاش وابن الحاجب ، ومن بعدهم ، ولأن بعض من لقن من العلماء أو علماني بالتجافى عن كتب المتأخرين وأبى بعبارة خشنه ولكنها محض التضحية والتساهل في النقل عن كل كتاب جاء لا يحتمله دين الله » .

ويقول : لقد دخلت بعض البدع على كتب أهل السنة وانها ليست من مذاهب الأئمة فان مذاهبهم متفقة على الأخذ بالكتاب والسنة فمن الحق بالدين شيئا زعم أنه منقول أو مستنبط من كلامهم وهو يخالف ان كتاب والسنة فهو مردود عليه وهم يراود منه وقال : ان أهل السنة والجماعة هم أبو الحسن الأشعري أبو منصور الماتريدي ومن تابعهما في الاعتقاد والامام الجنيد ومن تابعه في التصوف والأئمة الأربعة ومن تابعهم في الفروع .

المتكلمون وعلم الكلام : وأما السيد رشيد رضا في عرض أقوال المتكلمين ومفاهيمهم وقال ان امام نظار المتكلمين والأصوليين في عصره امامهم (الرازي) « وكان من أقلهم حظا في علم السنة وآثار الصحابة والتابعين وأئمة السلف من المفسرين والمحدثين بل وصفه (الحافظ الذهبي) بالجهل بالحديث وقال : « التاج السبكي » إنه لم يشتغل بهذا العلم وليس

من أهله . وقال ان « بدعه الكلامية » مخالفة لنصوص الكتاب والسنة وقال ان تفسير الرازى قد اشتهر فيه بعض العلماء فيه ان فيه كل شيء الا التفسير كما في كتاب الاتفاق ، وجملة القول : ان مذهب لسلف الصالح وجوب الايمان بكل ما وصف الله تعالى به في نفسه في كتابه وما صح من وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم له على ظاهره من غير تعطيل للمعنى اللغوى يجعله كاللغو وكل محاولة لتشبيهه الله بخلقه يعد من النقص ولا تاويل يخرج الظاهر المتبادر عن معناه بمحض الراى والخواطر التى تعرض لبعض الناس فيما لا يليق به تعالى لا تتقص من ايمان المؤمن بكتابه وصدق رسوله المتبع لهما . قال ابن مسعود : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة فقالوا ان احدنا ليجد في نفسه ما لأن يحترق حتى يصير حممة (اى حممة) او يخرج من السماء الى الأرض اخب اليه من ان يعلم به . قال : ذلك محض الايمان وكراهية المؤمن لها دليل على ايمانه المحض الخالص .

ويقول السيد رشيد رضا : ان كبار النظار من المتكلمين قد رجعوا الى مذهب السلف في الايمان بظاهر النصوص وفي مقدمتهم امام الحرمين كما نقله عنه الحافظ ابن حجر في شرحه للبخارى ومن قبله والده الامام الجوينى ومن بعده ابو حامد الغزالى في آخر عمره ونقل مثل هذا عن النخعي الرازى ايضا وقد صرح الغزالى من قبل رجوعه الى مذهب السلف ان علم الكلام ليس من علوم الدين وانما هو لحراسة العقيدة كالحرس للحاج وانما راجت كتبه لانها وضعت للرد على ملاحدتهم ومبتدعيهم ولا تنفع في الرد على ملاحدة هذا العصر ولا مبتدعيه .

ويقول السيد رشيد رضا ايضا عن المعتزلة : « من يطالع مقالات المعتزلة بامعان يتبين له ان مقاصدهم التوفيق بين الدين والفلسفة ولم يتيسر لهم ذلك لأمرين لأن الفلسفة التى طالعوها أكثرها غير صحيح فلذلك لم تلتئم مع الدين والثانى أن المقصد الاصلى من الدين هو العمل وهؤلاء افرطوا فى الجدل فشططوا عن مقصد الدين كما شطط متبادلهم عن الجبرية الخالصة او الجبرية المتوسطة والمرجئة .

واشار فى موضع آخر الى ذم السلف الخوض فى علم الكلام فقال :

لقد ذم السلف الصالح الخوض في علم الكلام والنقض والتدقيق فيما زعموا أنها قضايا برهانية وحجج يقينية وقد شجبوا ذلك بالقضايا المنطقية والمدارك الفلسفية والتحليلات الكشفية والمباحث القرمطية ، وكان أئمة الدين قبل مالك وسفيان بن المبارك وأبى يوسف والشافعي وأحمد وإسحق والفضل ابن عياض وبشر الحائي يبالغون في ذم (علم الكلام) وفي ذم بشر المريسي حتى أن هارون الرشيد خامس الخلفاء لبنى العباس قال يوما بلغني أن بشر المريسي يقول أن القرآن مخلوق والله على أن أظفرن به الله لاقتلته قتلة ما قتلها أحد فأقام بشر متواريا أيام الرشيد نحوًا من عشرين سنة ، ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية أن التأويلات التي ذكرها ابن فورك ويذكرها الرازي في تأسيس التقديس ويوجد منها غالت المتكلمة من الجبائي وعبد الجبار وأبى الحسن البصري وغيرهم هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي ورد عليه الامام الدارمي عثمان بن سعيد أحد مشايخ أئمة السنة من علماء السلف في زمن البخاري . (م ٦٤٩/٨) .

ويشير السيد رشيد رضا الى السبائية (اتباع عبد الله بن سبا) ويقول انهم بمثابة الضربة الاولى التي ضرب بها الاسلام ، كان هذا الرجل يهوديا ثم اسلم ظاهرا واعماله تدل على أنه يحمل حقدا شديدا للمسلمين

ويفسح السيد رشيد قدرا واسعا من صفحات المنار لنشر كتابتاريخ الجهمية والمعتزلة الذي ألفه جمال الدين القاسمي (م ١٦/٧٠٣ وما بعده) يشار فيه الى توافق الفرقتين المعتزلة والجهمية في المسائل المعروفة عنهما . وأن أول هذا الأمر عندما فتح باب النظر والتأويلات (تأويل آيات الصفات في الكتاب المبين) وقد انتشرت مقالة الجهمية بواسطة كبار المعتزلة وظهرت دولة الجهمية (المعتزلة) في عهد المأمون ودعواه الى مذهبهم وما جرى على أئمة الرواية في مسألة خلق القرآن وأشار الى ما رواه الشيخان البخاري ومسلم في صحيحهما (باب كتاب التوحيد والرد على الجهمية) في البخاري وقد اشتهر عن جهم بن صفوان أن القول بالجبر هو اسناد فعل العبد الى الله تعالى وكان المأمون وأحمد بن داود الذي أقنعه بذلك مقدمة لنشوء الفلسفة والتشيع . ويقول الامام الذهبي في تذكرة الحفاظ (ج ١٠/٣٠٠) لما قتل الأمين واستخلف المأمون على رأس المائتين نجم التشيع وأبدى

صفحته وبزغ فجر الكلام وعربت حكمة الأوائل ومنطق اليونان وعمل رصد الكواكب ونشأ للناس علم جديد مرد مهلك لا يلائم علم النبوة ولا يوافق توحيد المؤمنين فقد كانت الأمة منه في عافية وقويت شوكة الرافضة والمعتزلة وحمل المأمون المسلمين على القول بخلق القرآن ودعاهم إليه فامتحن العلماء فلا حول ولا قوة الا بالله ، ان من البلاء أن تعرف ما كنت تنكر وتنكر ما كنت تعرف ، فتقدم عقول الفلاسفة ويعزل منقول أتباع الرسل ويهمل في القرآن ويتبرم بالسنة والآثار وتقع في الحيرة فالفرار الفرار قبل حلول الدمار واياك ومعضلات الأهواء ومجاراة العقول ومن يعصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم .

وفي مجلد (٥٦٩/٣٣) من المنار فصل السيد رشيد رضا هذه القضية باعتبارها دعامة الإصلاح الاسلامي الحقيقية وتحت عنوان (اصل الاسلام) وما طرأ عليه من الفساد عن طريق السياسة والفلسفة والتصوف يعدد الباحث المسائل التالية :

المسألة الاولى : ان هذا الدين (الاسلام) وحى الهى الى نبي أمي ظهر في أمة أمية جاهلة ليعلمها الكتاب والحكمة ويزكيها بالعلم والعدل والفضيلة . وان الله قد شهد كتابه بأنه أكمل هذا الدين لعباده في آخر عمر نبيه ليس لأحد أن يزيد فيه بعده عقيدة ولا عبادة ولا تحريماً دينياً مطلقاً ولا تشريعاً مدنياً الا ما أذن به لأولى الأمر من الاجتهاد على أساس نصوصه وقواعده .

المسألة الثانية : ان ما اجمع عليه أولئك الأميون الأولون أو أكثرهم هو الحق وان كل ما خالف نصوص القطيعة من العقائد والآراء والاقطار البشرية فهو باطل . وفيه جميع نظريات المتكلمين العقلية وكشف فلسفة الصوفية الروحية وان المصلحة للمسلمين وللنفس كافة أن يقتصروا هداية الدين على نصوص القرآن المنزل وما بينه من سنن الرسول المتبعة وسيرة خلفائه وجمهور عترته وأصحابه قبل نشوء الابتداع والتفرق في الملة .

المسألة الثالثة : ان البدع التي فرقت الأمة في أصول دينها وجعلتها شيعا تؤثر كل شيعا أتباع زعمائها ومذاهبها على كتاب الله وسنة رسوله وهدى سلفه الصالح بالتأويل من حيث يدعى اني أثبتها أعلم من مخالفيهم

بتأويل الكتاب والحديث وان بعضهم مؤيد بالكشف وبعضهم بالعصمة
فهم أحق أن يقلدوا ويتبعوا وانما يعلم الا علم بالدليل لا بالتقليد وفهم
النصوص بقواعد اللغة والسنة العملية لا بالتأويل . ولهذه البدع المفرقة
ثلاث مئارات من أركان حضارة الأمم السياسية هي :

السياسة والسلطان — العلم العقلى والعرفان ، وفلسفة
الوجدان وما يتبعه من دعوى علم الغيب المسمى بالكشف والخرافات
الشاملة لدعوى التصرف فى الكون .

وفصل ذلك على ثلاث قضايا :

١ — السياسة الدولية : مئارها الأول ما شجر بين الصحابة ثم كان
أشدّها فسادا ما كان بين أهل السنة والشيعة ، وقد زالت الخلافة
وضاعت سيادة الأمة فى حين أن آثارها ومفاسدها لا تزال ماثلة .
المنتهمون الى مذهب السنة قد غلبهم جهلة الأعاجم على خلافتهم بعد
أن جعلوها عصبية وراثية . غلاة الشيعة نقضوا أركان الاسلام
من أساسه بدعاية عصمة الأئمة وتأويل نصوص الكتاب والسنة .

٢ — النظريات العقلية وتحكمها فى النصوص النقلية : تنازع أئمة الأتباع
وعلى رأسهم الامام أحمد بن حنبل ودعاة الابتداع من متكلى نظار
المعتزلة والجهمية ولولا تدخل سلطان العباسيين فى نصر فريق على
فريق لما وصلت الى ذلك الحد .

وسيموت ما بقى من علم الكلام بموت الفلسفة اليونانية التى
بنى على قواعدها ونظرياتها وان بقيت له بقية تقليدية فى بعض
المدارس الاسلامية وسيخلفه علم آخر فى حراسة العقائد من شبهات
العلم وفلسفة هذا العصر ، مع ابقاء الخلط بينهما وبين عقائد الدين
ومحاولة تحكم كل منهما فى الآخر كما فعل نظارنا المتقدمون فجنوا
على كل منهى بما أضعف سلطان الدين عن أداء وظيفته وهى تزكية
النفس بما يوقنها عند حدود الحق والعدل والفضيلة وعمل البن
وأضعف سلطان العلم فى أداء وظيفته فى اظهار سنن الله فى المعالم
وتسخير قوى الطبيعة لئامع الناس .

٣ - دعوى الكرامات والكشف وتحكمه في عقائد الدين وعباداته وآدابه وتفسر نصوصه وأحكام المعاملات والحلال والحرام وقد نجمت البدعة من هذه الناحية صغرة ثم كبرت ، هاجمها علماء المنقول والمعقول ، يؤيدهم الخلفاء والملوك فانهزمت أمامهم حتى إذا ما ضعف العلم فصار تقليديا وضعف الحكم فصار أرثا جاهليا وصار علماء الأثر مثل الشعرائي وسلاطين مصر مثل قايتباي خضعت رقاب المسلمين بولاية من الشيخ محمد الخضرى ، هذا الولي الشيعلى الذى خطب في ثلاثين مسجدا من مساجد القطر (م ٥٧٣/٣٣) .

٤ - بطلان تأويل النصوص للنظريات العقلية والعلمية الباطنية :
النظريات العقلية التى تناول النصوص لأجلها علماء الكلام فقد ظهر بطلانها وبطلان الفلسفة التى بنت عليها لعلماء هذا العصر وغلاسفته فقد أجمع هؤلاء على أن جميع النظريات العقلية الفلسفية والعلمية المسلمة اليوم ليس فيها شئ يعد من الحقائق القطعية العلمية الثابتة التى لا يمكن نقضها ، بل كلها قابلة للنقض والبطلان وقد بطلت النظريات العلمية فى المادة والقوة فكيف يجوز إذن تأويل نص ديني قطعى الرواية والدلالة فى خبر عالم الغيب من الوحي الإلهي لنظرية ظنية فى عالم الشهادة من رأى البشرى ، وإذا بكل تأويل علماء الكلام المبني على قواعد النظر العقلى ومراعاة مدلولات اللغة واشتراط عدم المخالفة لأصل من قواعد الشرع وتأويل المعاصرين لما يخالف العلوم العصرية فأجدر بتأويلات الباطنية أن تكون أشد بطلانا لأنها تحكم فى اللغة بما لا تدل عليه مفرداتها ولا قواعد نحوها ولا بنيانها ، وناقضة لأصول الشرع وقواعده القطعية الثابتة بالاجماع المتواتر والعمل الذى لا مجال للتأويل ولا التحريف فيه كتأويل الاسماعيلية القرامطة السابقين والبهائية والقاديانية اللاحقة ، البهائية الذين يدعون الى الوهية البهاء والقاديانية الذين يدعون الى بنوة ميرزا غلام أحمد .

هذا ولابد من عرض القضيتين المكملتين للبحث وهما الصوفية والشيعية الغالية .

الفصل الثالث

الصوفية الهندية والفلسفة

كانت مقاومة مفاهيم الصوفية الهندية والفلسفة هي من أحجار الأساس في بناء مفهوم أهل السنة والجماعة القائمة على المسؤولية الفردية والالتزام الأخلاقي في مواجهة تلك الجبرية التي تدعى دعاوى باطلة تصرف المسلم عن بذل الجهد ودعوى قرب انتهاء الزمان والتواكل ومن هنا فقد أهتم السيد رشيد رضا بالحديث عن سنن الله في الكون والتماس هذه السنن في معرفة مهمة الإنسان في الحياة وأن الأمم تمر بمراحل الضعف بعد القوة ثم تعود إلى القوة مرة أخرى متى التمس منهاج الله ، وأن الضعف الذي يمر بالامة الإسلامية لا يعنى أنه دليل على نهاية الزمان وإنما هي مرحلة تتبعها مرحلة أخرى يستيقظ فيها المسلمون .

وقد رد السيد رشيد رضا هذه المشاعر المتشائمة اليائسة التي تدمر إلى الانصراف عن الحياة واعتزالها إلى مفاهيم التصوف الهندي والفلسفي الوافد على المسلمين ، والذي لم يعرفه المسلمون في الصدر الأول للإسلام .

وقد عرض السيد رشيد رضا لما تضمنته كتب الصوفية من هذا النوع من المفاهيم الجبرية فأشار إلى أن في بعض الكتب الصوفية كثيرا من المعارف والفوائد والمواظب المؤثرة ولكن أكثرها قد أفسد في دين هذه الأمة ما لم تبلغ إلى مثله شبهات الفلاسفة وآراء مبتدعة المتكلمين لأن هذين النوعين لا ينظر فيهما إلا بعض المشتغلين بالعلم العقلي ، أما كتب الصوفية فتتظر فيها جميع طبقات الناس وإن كانت أدق عبارة وأخفى إشارة من كتب الفلاسفة ولا شك أن خير صوفية هذه الأمة السابقون الذين كانوا لا يتصوفون إلا بعد تحصيل علم الكتاب والسنة والفقه والاعتصام بالعمل على طريقة السلف كالإمام الجنيد وطبقته ثم ظهر فيهم الغلاة ومن يسمون صوفية الحقائق فابتدعوا ما أنكره عليهم الأئمة . حتى قال الإمام الشافعي من تصوف أول النهار لا يأتي آخره إلا وهو مجنون ، وأنت ترى أن الحارث

المحاسبي من أجل علماء الصوفية وقد روى عنه الجنيد وكان من المتمسكين بالسنة بحيث يأخذ بها خلفه والده من المال الكثير دانقا واحدا على شدة فقره وعلى ذلك بأنه لا توارث مع اختلاف الدين ، وما كان والده الا واقفيا أى لا يقول ان القرآن غير مخلوق كما أنه لا يقول هو مخلوق . ألف الحارث في اصول الديانات والزهد على طريق الصوفية فسنل الامام أبو زرعة عنه وعن كتبه فقال للسائل : اياك وهذه الكتب ، بدع وضلالات وعليك بالاثار فانك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب . روى الخطيب بسند صحيح ان الامام احمد سمع كلام المحاسبي وقال لبعض اصحابه ما سمعت في الحقائق مثل كلام هذا الرجل ولا ارى لك صحبتهم ، انما نهاه عن صحبتهم لعلهم بقصوره عن مقامهم فانه مقام ضيق لا يسلكه كل أحد ويخاف على من يسلكه ان لا يوفيه حقه (م ٧٥٤/٣٠) .

وخاصة هذا الزمان وعوامه أولى بان لا ينظروا في كتب من لا يعدون من طبقة الحارث بحيث ان امام السنة الاعظم في عصره أحمد بن حنبل لم ينكر شيئا مما سمع من كلامه بمخالفة الكتاب والسنة وانما انكره هو لأنه شيء جديد مبتدع في أمر الدين يشغل الناظر عن كتاب الله وسنة رسوله ونهى عن صحبتهم لذلك أو لضيق مسلكهم وكونه لا يفهمه ولا يستفيد منه الا من هو مثلهم فما نقول بما جاء بعد هؤلاء من أصحاب القول بوحدة الوجود وغير ذلك من البدع المصادمة للنصوص كمحيى الدين بن عربي الذي يقول في خطبته وفتوحاته :

الرب حق والعبد حق

يا ليت شعري من المكلف

ان قلت عبد فذاك ميت

أو قلت ربى انى يكلف

ومن شعره في ديوانه : (وما الكلب والخنزير الا الهنا) .

وذكر الشعرانى وهو أشهر داعية في عصره الى خرافات الصوفية انه سأل شيخه في التصوف عليا الخواص : لماذا يتناول العلماء ما يشكّل ظاهره من نصوص الكتاب والسنة دون المشكل من كلام العارفين فأجابته بان سبب ذلك القطع لعصمة القرآن وما صح عن الرسول صلى الله عليه

وسلم في أمر الدين وعدم عصمة هؤلاء الشيوخ من الخطأ بالمعنى في كتابه الدرر والجواهر وهذا حق .

ويقول السيد رشيد رضا : ان تحرير علم التصوف شيء لا يستطيعه الا من كان راسخا في علم الكتاب والسنة اثم الرسوخ وعارفا بالنصوف معرفته علم وذوق وعمل وقد انخر الله تعالى هذا للعالمين العاملين : شيخ الاسلام ابي اسماعيل الهروي الانصارى ومجدد الاسلام ابن القيم الدمشقى جمع الاول ذلك التصوف جمعا موجزا في كتابه منازل السائرين وشرحه الثانى في كتابه مدارج السالكين وقد قدم صاحب المنار في (المجلد ١٩) تعريف بالكتابين وقال : علماء الاسلام صنفان : علماء الاثر وهم علماء المنقول وعلماء المنقول ومن كل صنف مفسرون وفقهاء ولا يكاد يكون الاثرى متكلماً وقد يكون صوفياً في النادر .

وان علم الاثر ينقسم الى علم الرواية وعلم الدراية ولا يتم نفع أحد العلمين الا بالآخر ، ووجد من كل طائفة علماء اعلام صالحوا المتكلمين بدفع شبهات الملاحدة وكثير من المبتدعة ، وصالحوا الصوفية وخدموا الاسلام ببيان حكم الشريعة واسرارها وتقرير الاخلاق والآداب ، والفقهاء خدموا الاسلام باستنباط احكام العبادات والحلال والحرام والاحكام المدنية والسياسية ولكن كل هذه الفرق دخلت اليها البدع ففرق المسلمون الى فرق وأحداث كثيرة .

واشار السيد رشيد رضا الى انحراف المتصوفة عن الصراط السوى حتى لم يبق عندهم الا الرسول ، فقد تمسكوا بحبل الأوهام والابهام ، أعدوا الطريق أحيولة للجاه وحيلة للمفاخرة والمباراة وغلبة الأهواء ، وما بتى من علم القوم الا شتقة اللسان رزخرفة الكلام بالالفاظ لا يفكرون بمعناها ، وكلمات لا يعرفون مرماها كالسحر والدجل والادلال والسطح والفرق والجمع ، ليس لهم من العمل الا ضرب الدفوف ودق النفارات والصنوج والنفخ بمزمار الشسبابة بل والضرب بالآلات الأوتار والتفنى بالاشعار الغرامية المهيجة للنفوس ، كاشعار عمر بن الفارض ويسمونه كل ذلك عبادة ، وحالة الذكر الذى حققوه كالرقص . (م ١ / ٦٢٦) .

واشار الى انحراف التصوف بعد أن كان في القرن الاول زهدا خالصا

لا يصرف عن عجل الدنيا فقال : لما توسع أهل القرن الرابع في الشرع وتعيين المتكلمين في العقائد فهم كذلك اقتبسوا من فلسفة فيثاغورس وتلامذته في الالهيات قواعد وانتزعوا من لاهوتيات الكتابيين والوثنيين جملا وألبسوا لباسا اسلاميا فجعلوه علما مخصوصا يعرف باسم علم التصوف أو الحقيقة أو الباطن ، وبعد أن كان التصوف عملا تعبديا محضا جعلوه فنا نظريا اعتقاديا بحثا وجاء منهم في القرن الخامس وما بعده غلاة رأوا مجالا في جهل أكثر الأمة لأن يجوز بينهم مقاما كمتسام النبوة بل الألوهية باسم الولاية والقطبان والغوثية فوسّعوا فلسفة التصوف بأحكام بنوها على زخرف القاويلات والكشف والتحكمات .

وقد عرض السيد رشيد رضا في مجلدات المنار الأربعة والثلاثين لعشرات من شبهات الصوفية وتحدث عن معظم الفرق الموجودة في العالم الاسلامي كالرفاعية والنقشبندية والشاذلية وأشار الى انحرافات هذه الطرق وأهمها علوم الاعتصام بالمأثور في الذكر بالاسماء المقررة واستعمال عبارات هو آه آه ، وأشار الى كتاب الكلم الطيب من أذكار النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال : ان أهم ما انفرد به ابن القيم بتحرير علوم الصوفية ووضع الموازين القسط لمعارفهم وأذواقهم ومقاماتهم وأحوالهم وذلك في شرحه لكتاب منازل السائرين لشيخ الاسلام أبى اسماعيل الهروى ، ومن ذلك قوله : الصوفية ثلاث : صوفية الأرزاق وصوفية الرسوم وصوفية الحقائق ، وقد ضل بها دخل في الاسلام من باب فلسفتهم الروحية أضعاف من ضل بها دخل على المتكلمين وغيرهم من باب الفلسفة العقلية من الهية وطبيعية ويرجع ذلك الى جهل شيوخهم بالسنة النبوية ، فمن أصول الضلالة التي دخلت على المسلمين من باب التصوف المقابلة بين الحقيقة والشرعية وجعل الأمر الكونى القدرى كالأمر الشرعى في كون كل منهما يجب الرضا به والاذعان والاستسلام له .

ومن مفاسد قولهم : الرضا بعدم مقاومة الأمراض والظلم وهضم حقوق الأفراد وحقوق الأمة ومن مفاسده الجبر وسلب الاختيار وما ابتدعوه من الأذكار والأوراد والسماع وتعظيم القبور وجعلوه من شعائر الاسلام

فان عمدتهم فيه أنهم ذاقوا ما أثمره لهم من الحب والوجد والخشوع والبكاء والرغبة في الآخرة .

ومن اصول تلك الضلالات دعوى أن للدين ظاهرا وباطنا مخالفا لما يفهم الجمهور منه وهذه الضلالة من ابتداع زنادقة الباطنية وقد كانت سببا لارتداد كثير من المسلمين فكانت منهم طوائف الاسماعيلية والنصيرية والدروز والبابية والبهائية وغيرهم ، ومنها اصل الاصول في غلاتهم وهو ما يعبرون عنه بوحدة الوجود بالمعنى الذى عليه الكتاب المسمى بالانسان الكامل وأمثاله ، وهذا الاصل مخالف لنصوص القرآن الصريحة ولنصوص السنة الصحيحة وفيه مفسد كثيرة جدا .

وقد اقتبست كل فرقة أصيبت بفتنة تأويل ما يخالف مذاهبهم وآرائهم من آيات الكتاب العزيز وفنون الأحاديث حتى أنهم ليؤولون السنن العملية أو يعارضونها بروايات قولية شاذة ومنكرة ، وغلاة الصوفية أبرع الفرق في التأويل وأشدهم اسرافا فيه بعد الباطنية الذين يشبهونه بهم كثيرا ، ذلك بأنهم لا يلتزمون في التأويل ما يلتزمه المتكلمون والفقهاء من عدم الخروج باللفظ عن حقيقته الا الى ضرب من ضروب المجاز أو الكتابة بل يزيدون على ذلك باب الكشف وباب الإشارة وباب الرمز ولذلك نرى كلامهم ممزوجا بالآيات والأحاديث محرفة عن معانيها الصحيحة التى تدل عاينها في اللغة ولاجله نرى كلامهم مقبولا عند الجاهل من غير تأمل أو تفكير حتى أن المتكلمين والفقهاء ما عادوا ينكرون عليهم شيئا كما كان السلف ينكرون على كل من يخالف ظواهر النصوص . (م ٥٢/١٩) .

وقد حرص السيد رشيد رضا رغبة منه في تصحيح مفاهيم الصوفية أن يورد ما قاله أئمة الاسلام وأعلامه في مفهوم التصوف الصحيح فأورد نصوصا للحافظ ابن الجوزي والامام ابن تيمية — أما الحافظ ابن الجوزي فقد أشار في كتابه تلبيس إبليس الى متصوفة الرسوم فقال : كانت النسبة الى الاسلام والايمان فيقال مسلم ومؤمن ثم حدث اسم زاهد وعابد ثم نشأ اقوام تعلقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا الى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقا تخلقوا بها .

ظهر الاسم للقوم قبل سنة مئتين ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه

وأشاروا عن صفته بعبارات كثيرة وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرزيلة وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإصلاح والصدق وأول تلبس للشيطان عليهم أن صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما انطلقا مصباح العلم تخطبوا في الظلمات فمنهم من غلا في ترك الدنيا وهى قوام مصالح الخلق ومنهم من أغرى بتعذيب النفس بالجوع والعري والفقر الاحتيازي ومنهم من غلبت عليه الخيالات حتى قالوا بالحلول والاتحاد . (م ٢٢ / ١٧٣) .

كما أورد لشيخ الاسلام أحمد تقي الدين بن تيمية فتوى في الصوفية والفقراء فأشار الى صوفية الأرزاق الذين يقيمون في الخوانك ويأكلون منها وصوفية الرسم : الذين همهم تقليدهم في اللباس والآداب الوضعية .

وقال : ان الصوفية طائفة انقطعت الى الزهد في الدنيا والعمل للآخرة ورياضة النفس وتربيته الارادة بالعزائم ومحاسبة النفس وحسن النية والمبالغة في العبادة وغايتهم الوصول الى تجريد التوحيد وكمال المعرفة بالله تعالى . وسرى الى المسلمين كثير من بدع أولئك وضلالاتهم وشعائيرهم وشاراتهم ، حتى انهم أخذوا عنهم فلسفة وحدة الوجود فصارت غاية الطريق عندهم وبث الباطنية في التصوف ضلالات أخرى شبر أصولها التأويل البعيد للآيات والأحاديث وطبيعة الأذمان لكل ما يأمر به السالكين وشيوخهم وان كان منكرا وعدم الإنكار عليهم في شيء ، وكانت الباطنية تقصد بهذه التعاليم افساد دين الاسلام وإبطاله ، وإزالة ملكه بالدسائس التي وضعها عبد الله بن سبأ اليهودي وجهاعات المجوس السرية التي بنت في المسلمين دعوة الغلو في التشيع لآل البيت والطمع في أعظم الصحابة لافساد دين العرب وتقويض دعائم ملكهم بالشقاق الداخلي لتتمكن تلك الجمعيات بذلك من إعادة ملك المجوس وسلطان دينهم اللذين أزالهما العرب بالاسلام ولولا هذا الاضلال (التأويل والطاعة المطلقة) لما راجت الضلالات والبعد في هذه الطائفة لان أصل طريقها تركية النفس بالعلم والعمل الشرعيين مع الصدق والاخلاص والأخذ بالعزائم ومحاسبة النفس على الخواطر .

وقال الامام ابن تيمية : انه لا سبيل الى تصفية التصوف من البعد الا بتحكيم الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح منه قبولاً ورداً بعد بيان

أن الضلالات والبدع المتغلغلة في كتب التصوف قسمان :

١ - ما أخذ الباطنية من صوفية البراهمة واليونان ودسوه في التصوف الاسلامي وليس له أصل في الكتاب ولا في السنة الا ما زعموه من التأويلات المخالفة للغة والشرع وما أحدثه بعض شيوخ الطريقة من الأوراد والشعائر الدينية المخالفة للسنة في ذاتها وأصلها أو في صنعتها وطريقة أدائها حتى أن بعض كبار الفقهاء المتكلمين روجوا بعض هذه البدع والآراء بالتأويلات والتوسع فيما جوزه بعضهم من العمل بالحديث الضعيف في مسائل الأعمال . ولم يراعوا فيه ما اشترطه المحققون في هذا من الشروط فتري مثل الغزالي من أكبر أئمة علماء الكلام والفقهاء يرغب في بعض العبادات المتقدمة مستدلاً عليها بهذه الأحاديث الواهية ، صلاة الرغائب في رجب وصلاة ليلة نصف شعبان ، قال النووي : صلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان . والغزالي لم يتوسع في علم السنة الا في آخر عمره ، وكذلك أخذوا بالضعيف الواهي : دعاء انوضوء اذ لا أصل له .

وجملة القول في صوفية المسلمين أن علماءهم كسائر أصناف علماء المسلمين الذين استعملوا عقولهم في الدين من المتكلمين والفقهاء كل صنف قد انفرد بالتوسع في علم فجاه فيه بما لم يجيء به غيره وكل منهم أخطأ وأصاب .

فالصوفية اتقنوا علم الأخلاق والآداب الدينية وحكم الشريعة وأسرارها وطرق تزكية النفس وإصلاحها - وهذا غرض الدين ومقصده - غلوا وأتوا ببعض ما يخالف النصوص ودخل في كلامهم وأعمالهم من تصوف الأمم السابقة ومن البدع ما ينكره الاسلام فالمتكلمون أيضاً قد دخل في كتبهم مثل ذلك من الفلسفة اليونانية وغيرها من البدع المخالفة للنصوص ولما كان عليه السلف وكذلك الفقهاء قد دخل في كتبهم مثل ذلك بالرأي والتمسك بالآخذ بالأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وكل من في هذا العصر من المنتحلين لطرق الصوفية هو منتقم إلى أحد مذاهب الفقهاء والمتكلمين .

وقال السيد رشيد رضا : ان للتصوف كتباً أكثر ما فيها منصوص

أو مستنبط من الشرع أو غير مخالف له ، وبعضها بدع تلاصق به الصاقا
بشبهات وتأويلات باطلة . أحسن الكتب في تصوف الحقائق وأسلمها
من مخالفة الكتاب والسنة فيما نعلم كتاب : مدارج السالكين .

ثم تسأل كيف تكون الحاجة الى كتاب مع وجود الكتاب والسنة
وقال : جوابه ان علمي الكلام والفقه يشاركان التصوف في هذا السؤال
وجوابه فكما شعر المسلمون بالحاجة الى تصنيف الكتب في بيان اصول
العقائد التي تستند الى الكتاب والسنة للتمييز بينها وبين البدع واثباتها
بالدلالة النظرية الفنية التي كانت مألوفة بانتشار كتب الفلسفة ورد شبهات
المخالفين على هذه العقائد ، كذلك شعروا بالحاجة الى تدوين الكتب لبيان
طريقة التربية والتأديب بالآداب المنصوصة فيهما والمستنبطة فيهما .

ذكر ابن القيم في كتابه اعلام الموقعين أمثلة كثيرة لما خالف فيه
المقلدون للمذاهب المشهورة النصوص الصحيحة الصريحة المحكمة اتباعا
لأقوال شيوخهم واحتجوا لهذه الأقوال بالأقيسة أو بجعل التشابه أصلا
للحكم أو بأحاديث لا تصح ولا يحتج بها بحسب القواعد الأصولية » .

الفصل الرابع

السنة والشيعة

كان موضع الاختلاف والاتفاق بين أهل السنة وبين الشيعة من الموضوعات الهامة التي أولاها السيد رشيد رضا وقد كانت دعوته : دعوة حارة ودائمة الى ضرورة اتفاتها لمقاومة التحديات الخارجية الخطيرة التي تواجه الاسلام ، وقد عرض السيد رشيد رضا لمفهوم الشيعة المعتدل ولفرق الشيعة الغالبة وفند آراءها ووجهتها وخطرها على الاسلام وناقش كثيرا من دعاة الشيعة الاثنى عشر والزيدية وكذلك ناقش غيرها. وراجع كتبهم .

يقول السيد رشيد رضا : اننى شديد الحرص على هذا الاتفاق (بين السنة والشيعة) وقد جاهدت فى سبيله أكثر من ثلث قرن ولا أعرف أحداً من المسلمين أو أظن أنه أشد منى رغبة وحرصاً على ذلك ، وقد ظهر لى باختياري الطويل أن أكثر علماء الشيعة يابون هذا الاتفاق أشد الإباء اذ يعتقدون أنه ينافى منافعهم الشخصية من مال وجاه ، وقد تكلمت فى هذا مع كثيرين فى مصر وسورية والهند والعراق ، ومما علمته بالخبر والخبر : أن الشيعة أشد تعصبا وشقاقا لأهل السنة فيما عدا الهند من البلاد الجامعة بين الطائفتين وقد نشطوا فى هذا العهد لتأليف الكتب والرسائل فى الطعن على السنة والخلفاء الراشدين الذين فتحوا الأمصار ونشروا الاسلام فى الاقطار والطعن على حفاظ السنة وأئمتها وفى الأمة العربية بجمليتها . وأشار الى الخلاف مع السيد محسن الأمين العاملى فى موقفه من الوهابية وكتب السيد تقى الدين بن تيميه وما كتبه علماء شيعة ايران فى الرد على كتاب منهاج السنة لابن تيميه وأشار كذلك الى أبحاث مجلة العرفان وقال ان من مزاعم صاحب مجلة العرفان الذى أقسم عليه يمينا مغلفة أنه لولا على بن أبى طالب لقتل المشركون رسول الله ولم تقم للاسلام قائمة فى الأرض .

ويدعو السيد رشيد رضا الى جواز الحوار مع الشيعة الامامية لأنهم مسلمون ، لا من البابية أو البهائية المارقين وقاعدة المنار الذهبية هي أن نتعاون فيما يتفق عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما يختلف فيه فأهل السنة متفقون مع الشيعة على أركان الاسلام الخمسة وعلى تحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وعلى محبة آل البيت عليهم السلام وتعظيمهم وعلى جميع المصالح الوطنية من سياسية واقتصادية واعلاء شأن الأمة العربية ولغتها واستقلال بلادها وهم يختلفون في :

١ — مسألة الامامة وقد مضى وانقضى الزمن الذي كان فيه هذا الخلاف عمليا .

٢ — في المناظرة بين الخلفاء الراشدين .

٣ — في عصبة الائمة الاثني عشر .

٤ — في مسائل أخرى تتعلق بصفات الله تعالى .

فلكل من الفريقين أن يعتقد ما يطمئن اليه ويعمل بما يقوم عنده الدليل على ترجيحه أو تصديقه ممن يثق بهم من العلماء فيجب على محبي الانفاق أن يقنعوهم بقاعدتنا ويؤلفوا جمعية أو حزبا من الطائفتين يعمل بمقتضاها . اننا لا نعرف أحدا من علماء أهل السنة المتقدمين ولا المعاصرين يطعن في أحد من أئمة آل البيت عليهم السلام كما يطعن هؤلاء الروافض في الصحابة الكرام ولاسيما أبى بكر وعمر وفي أئمة حفاظ السنة كالبخارى ومسلم وكذا الامام أحمد امام أئمة السنة ، وشيخ الاسلام ابن تيميه والحافظ الذهبي وابن حجر وغيرهم فانهم يعدونهم من النواصب لعدم موافقتهم لجهلة الروافض على ما يفترونه من الخلو في مناقب آل البيت وقد أغناهم الله عن اختلاق المناقب لهم لكثرة مناقبهم الصحيحة اثباته بالنقل الصحيح ، انما النواصب هم أولئك الخوارج الذين يبرعون من على كرم الله وجهه . (م ٢٩٠/٣١) .

٢ — وفي موضع آخر تحدث عن غلاة الشيعة ، فقال : انهم كانوا أشد النقم والدواهي التي أصيب بها الاسلام منهم . مبتدعو أكثر البدع الفاسدة وهم الذين صدموا وحدته وأضعفوا شوكته وشوهوا جماله وانتقضوا كماله وجعلوا توحيده وثنية وأخوته عداوة وبغضاء

- ١٤١ -

وبثوا فيه فتنة عبادة اناس لاجل اتسابهم وتقديس اناس لأحسابهم وجعل سعادة الدنيا والدين بوساطتهم عند الله وتأثيرهم في علمه وأرادته على ضد عقيدة القرآن من كون الخالق تبارك وتعالى لا يطرأ على صفاته تأثير من المخلوق .

وجميع الفرق التي ارتدت عن الاسلام من القرون السابقة كانت من غلاة الشيعة فمنهم جميع فرق الباطنية الذين كانوا يلبسون لباس المسلمين ويظهرون التلبيس به لتقبل دعايتهم لهدمه بالتأويل وكانت طائفة البكداشية المنتشرة في بلاد الترك والأرناؤوط منهم ودعاوى ملاحدة الكماليين الى اللادينية ولبس البرنيطة وإبطال جميع النظم الاجتماعية وتفريق جماعاتها كانوا هم أول من أجاب الدعوة بسرور وارتياح وخرج بعض رؤسائهم بأنهم قد وصلوا الى غايتهم من طريقتهم وهي هدم تعاليم الاسلام والتقصى من أحكامه وسلطانه .

كذلك كان غلاة الشيعة مثارا لأنمطع الكوارث التي هدت قوى الاسلام وعضعت الخلافة العباسية ودمرت الحضارة العربية التي كانت زينة الأرض وفخار أهلها وهي كارثة التتار كما كانوا أولياء وأنصارا لأعداء المسلمين أنهم أثمد عداوة لهم وفتكا بهم لاسلامهم حتى الصليبيين : وجهت العداوة الشيعية الى أهل السنة خاصة وزال ملك العرب من بلاد الفرس وصار السلطان فيه للترك فاتصل ما كان من عداوتهم للعرب الى الترك على اختلاف طوائفهم ، وكان قد انتشر مذهب السنة في البلاد الايرانية كلها وضعف التشيع فيها ثم زاد وقوى بقعصب الترك العثمانيين فهم الذين كانوا سبب تأسيس دولة شيعية تقابلهم لحماية التشيع وتضطهد السنة ، حتى صارت السنة في بلاد ايران أضعف من المجوسية وقد ثبت شعبة ايران مذهبهم في عرب العراق حتى كاد يكون أكثر البدول لهم يقيمون مأتم الامام الحسين ويلعنون أبا بكر وعمر عليهما أفضل الرضوان الى أن ظهرت جماعة الوهابية .

وقد أهمل أهل السنة في القرون الأخيرة دعوة غير المسلمين الى الاسلام ودعوة المبتدعين الى السنة الى أن حرك دعاة النصرانية بعض مسلمي الهند الى ذلك فحملتهم الغيرة والمباراة على تجديد الدعوة الى الاسلام وقتلها

- ١٤٢ -

يفارون من الشيعة فيدعونهم الى السنة كما يدعون هم اهل السنة الى التشيع ، فالشيعة كلهم دعاة الى مذهبهم حتى النساء .

اما الوهابية فقد شرعوا في احياء الاسلام على مذهب اهل السنة والجماعة .

ويقول وقد اصبح من الضروري اليوم مواجهة اللادينيين وملاحدة المتفرجين الذين يحاربون الدين بالشبهات الفلسفية والآراء العلمية والنظريات القانونية والاجتماعية وما يزعمون من معارضة للاصلاحات العصرية ، فنحن نعالج جهود المتفككة ، ونكافح بدع ادعاء التصوف ونناضل شبهات الملاحدة .

ويقول : ان القرامطة والحشاشين والاسماعيلية والدروز والنصيرية والبكتاشية كلهم من الباطنية الذين توسلوا بالصوفية والروافضة ومذهبها الى بث دعوتهم .

وفي بحث مستفيض عن الفكر الشيعي والرد عليه (م ٢٩ / ٤٢٤) وهو في هذا البحث يتناول معظم القضايا التي اثارها الشيعة الغالية ومنها :

١ - مسألة نكاح المتعة .

٢ - وطعنهم في القرآن بقولهم بل حذف منه الصحابة بعض الآيات وسورة الولاية - اى ولاية على - ويزعمون أن هناك نسخة اخرى خصه النبي بها .

٣ - عصبة الأئمة ولا عصبة عند السنة لاحد من البشر الا للأنبياء . وهم يعصمون أئمة اهل البيت .

٤ - مسألة الامامة العظمى ويزعمون بثبوتها بالنص بحديث غدير / قم .

وقد كشف السيد رشيد رضا زيف هذه الادعاءات جميعها وقال ان الشيعة منهم المعتدلون ومنهم الباطنية الملاحدة أعداء الاسلام ودعوة المنار الى الاستقلال في فهم الدين من الكتاب والسنة وترك التقليد وعصبية المذاهب فيه ، وان الاجتهاد الحقيقي هو الاستقلال بأخذ الدين من منابعه ، والسنة المرادة هي اهل السنة والجماعة في مقابلة اهل البدع كالروافض . قال على لابن عباس حين أرسله لمحاجة الخوارج : أحملهم على السنة

فان القرآن ذو وجوه ، يعنى أنهم يتبادلونه بفسير المراد منه ، أما السنة بمعنى السيرة العملية فلا يمكن تأويلها ، وفي رسائل السنة والشيعة (م ٦٧١/٢٩) يقول :

كان مبتدع اصول التشيع يهودى اسمه عبد الله بن سبأ اظهر الاسلام خداعا للمسلمين ودعا الى الكلام فى على كرم الله وجهه لأجل تفریق هذه الأمة وافساد دينها ودنياها عليها كما فعل أمثاله فى النصرانية قديما وحديثا وسبب ذلك ما كان من العداوة والقتال بين تفرقة اليهود وبين النبى وكانوا هم المعتدين وقد ابتدع اليهودى بدعة واعانه عليها آخرون من اهل ملته .

وسرت بدع التشيع وانتشرت بين المسلمين بالدعاية السرية وكانت اقوى الأسباب فى العداوة السياسية بين كبراء الصحابة بما كان يسمى بسوء التفاهم وحسن النية ومن يراجع واقعة الجمل فى تاريخ ابن الاثير مثلا يرى مبلغ تأثير افساد السبئيين لذات البين وحيلولتهم بالمكر والفساد دون ما كان يقع من الصلح وقد طعنوا فى على وهم الدعاة الى القول بالوهيته ، ولولا أن خلف زنادقة الفرس هؤلاء السبئيين فى ادارة الدعاية بين المسلمين بالتشيع والغلو فى على واولاده واحفاده الطاهرين . احفظ قلوبهم ما قام به الخيفتين وثل عرش كسرى والقضاء على ديانتهم المجوسية وليس لدى العجز من الثار بالقوة الحربية الا المكاييد السرية فتولى مهرة من رجال الفرس امرها ، فمنهم من تولى السعى لافساد دين العرب الذين انتصروا بتعاليمه وجمع لكلمتهم على الفرس وغيرهم ومنهم من تولى السعى للافساد السياسى بتحويل الخلافة الى العلويين ، ثم صاروا يكيّدون للعباسيين ما قام به البرامكة من جعل جميع ادارة ملك الرشيد فى أيديهم ، وكان اذكى من فطن لدسائس البرامكة والحاد الشيعة الباطنية ويمتد على كثير من دثائقه العلامة القاضى أبو بكر بن العربى الاندلسى كما نوه عنه فى رحلته وفى كتابه (العواصم من القواصم) ويليهِ حكم المؤرخ ابن خلدون فقد اُشار اليه فى مقدمة تاريخية وكان من تعليم غلاة الشيعة بدعة عصمة الأئمة الذين استخدموا اسماءهم وشهرتهم لترويج سياسيتهم وبدعة تحريف القرآن والقصص منهم بغريبتهم ثم البدع المتعلقة بالقائم المنتظر محمد المهدي

- ١٤٤ -

وكونه هو الذى يظهر القرآن التام الصحيح الذى يزعمون أن عليا كتبه بيده بعد وفاة النبى ومفتحهم أبواب التأويلات لنصوصه بما لا يتفق مع شىء من قواعد اللغة . وقول بعضهم بالوهية بعض أئمة أهل البيت الموروثة من الاسماعيلية وغير الموروثة عن غيرهم من الباطنية وكان من بين من أطلق عليهم لقب الشيعة أناس من أهل السنة والجماعة كانوا سرون أن عليا أحق بالخلافة ولكن لم يقل أحد من هؤلاء ببطلان خلافة الثلاثة ، فاهل السنة سلفهم وخلفهم يعتقدون أن معاوية كان باغيا على الامام الحق أمير المؤمنين وانه تدر بدهائه وسياسته على تأليف قوة عظيمة له ولكن الجمهور تأولوا بأنه كان مجتهدا خطأ في اجتهاده .

وقد انقسم الشيعة الذين يحافظون على أركان الاسلام الى (غلاة) أطلق عليهم اسم (الرافضة) والى معتدلين وهم الذين عرفوا باسم الزيدية لاتباعهم للامام زيد بن على الذى أنكر على الفلاة البراءة من أبى وعمر فرضوه ومن الغريب أن يشتد أمر زنادقة الباطنية على كثير من مسلمي الشيعة حتى أهل العلم بينهم والزكاة ووصف التشيع كان يطلق كثيرا على من عرفوا بالمبالغة في حب آل البيت النبوى ومدحهم وذم الظالمين لهم ، والشيعة الامامية قوم معتدلون قرييون من الزيدية ومنهم علاة قرييون من الباطنية وهم الذين لقحوا ببعض تعاليمهم اللاحادية كالقول بتحريف القرآن وكتمان بعض آياته وأغربها في زعمهم سورة خاصة بأهل البيت يتناقلونها بينهم .

هؤلاء الامامية الاثنى عشرية يلقتون بالجعفرية وينقسم جمهورهم الى أصوليين وأخباريين . والاستعداد في الامامية للغلو وفرت الكثير من بينهم من زندقة الباطنية ، ظهرت فيهم وراحت بينهم ، بدعة البابية والبهائية الذين يقولون بالوهية البهاء ونسخ للدين الاسلامى وابطاله لجميع مذاهبه .

كان من قواعد الاسلام التى وضعها جمال الدين وجوب السعى لجمع كلمة المسلمين والتأليف بين فرقهم التى يحمىها القرآن المجيد المعصوم ورسالة محمد والاستعانة على ذلك بالسياسة التى كانت السبب لهذا التفرق الذى ألبس بعد ذلك لباس الدين . وقد عنيت بالسعى للتأليف بين السنة والشيعة .

وأشار الى أنه لما أعلن الشاه مظفر الدين حكومة الشورى في ايران
 نوهنا بعمله في المجلد السابع والثامن من المنار وفضلناه على سائر ملوك
 المسلمين اذ بينا أن حكومة الشورى هي حكومة القرآن وقد أظهر الله دولة
 السنة باستيلاء امامها عبدالعزيز آل سعود على مهد الاسلام وقيامه باحياء
 السنن وهدم مباني البدع فأيدناه وسعينا للتأليف بين الوهابية والشيعة ،
 والتقارب بين مذهب الزيدية ومذهب السنة لقربه من السنة ؛ وأشار الى
 سوء أمر مؤمنر النجف لشيعة العراق وامارات نشر الالحاد في ايران .

الفصل الخامس

مواجهة الأخطار والتحديات

في نطاق العمل من أجل توسيد خطط حركة الإصلاح عند حد تصحيح المفاهيم في مجال تفسير القرآن أو احياء مفهوم أهل السنة والجماعة أو الالتقاء بين السنة والشيعة مضى المنار الى الغاية في مواجهة الأخطار والتحديات في مختلف مجالاتها في مختلف ميادينها .

وقد ركز في هذا الباب على الاستشراق ودعاة التغريب من أتباعه في البلاد الاسلامية كما عرض للبهائية والقاديانية وتناول ما قدمه طه حسين ولطفى السيد وجرجى زيدان وسلامة موسى ومحمود عزمى وكتاب دائرة المعارف الاسلامية .

وفي مصطلحات تلك الفترة كانوا يطلقون على دعاة التغريب عبارة (الملاحدة المترنجون) ولأنهم كانوا يدعون الى التجديد فقد أطلق عليهم السيد رشيد رضا « جمعية تجديد الاحاد والزندقة والاباحة المطلقة » (م ٢٧/٣٨٧) يقول : تصدى لزعامة التحديات واحتكار لقب المجددين أفراد هدامون غير بنائين يدعوى الأمة الى ترك هداية الدين والتجرد من لبوس الفضيلة والتشرف بلبس البرنيطة واباحة ملامسة النساء للرجال فى الرقص والسباحة والخلو والسياسة ومماقرة الخبر وما يتبع ذلك من ضروب الفسق وينعون على المرأة أن يكون جل همها فى الحياة الاستعداد للقيام بما خلقها الله لأجله حق القيام وميزها به على الرجل . وهم يغرون الشباب بالاحاد ويزينون لهم اتباع الشهوات ليتخذوا منهم ومن النساء حنفا وحسبكم من سفه الراى التسليم لهم بأن القديم قبيح يجب تركه واحتقاره لأنه قديم » .

ولما كانت دعوة التغريبين هى التجديد فقد وصفه بأنه « تجديد الاحاد والاباحة والخلاعة والدعوة الى الرزيلة برسم الادب المكشوف والتنفير من الفضيلة بدعوى الحرية وتحرير المرأة الشرقية وتقليد الحضارة الغربية وكلها تعابير قديمة لا جديدة كما يعلم المطلعون على تاريخ النبعة

ورومية وغيرها من عواصم الشعوب القديمة وهى التى اضعفت دولها
وذهبت باستقلالها :

« واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا متزفيا ففسقوا فيها فحق عليها
القول فدمرناها تدمرا » .

وقد حاول انتحال هذا اللقب الشريف (التجديد) زعنة من الملاحدة
في هذا البلد العظيم ، ليس لاحد منهم امتياز فيه بالعلم والحكمة . وانما كل
ما اوتوا أو حملوا من البضاعة في هذا السوق ثرثرة في الكلام وسفسطة
في الجدل وجراة على تلبيس الحق بالباطل وسفاهة في الطعن على من يخالفهم
أو يرد عليهم ولكن بالتهتك الصريح لا بالبرهان الصحيح ، فالصدق لا حرمة له
عندهم وباطراء غلاة الترك الذين نبذوا الاسلام وراءهم جهودهم حتى
في هدم جميع اركان الحرية : هذا الذى يسطرونه من غلو ملاحدة الترك
ليس تجديد منهم بل نجم في الجيل الماضى منهم ، وكان من ترائه في هذا
الجيل زوال السلطة العثمانية التى كانت أعظم سلطة في أوربا وآسيا
وأفريقية وهم يريدون أن يعتدى بها في الحادها ونبذ هداية الدين ،
وهم يقتلدون ملاحدة أوربا في عداوة رجال الدين تقليدا ، فهذا التقليد الأعمى
هو الذى يحملهم على الصد عن الدين بالتشكيك في عقائده والطعن في أحكامه
وآدابه والتحقير لرجالها . ودعوى ابطال العلم والفلسفة له واتهام علمائه
بانهم مقبة كؤود في طريق ترقى الأمة ، وبعد ذلك ما تحدث به محمود عزمى
في الجامعة المصرية عن حقوق المرأة وما تحدث به فخرى فرج ميخائيل
في الجامعة الأمريكية عن وجوب مساواة النساء بالرجال حتى في الطلاق
والميراث (م ٣١) .

٣ — ويقرر السيد رشيد رضا أن جمعية تجديد الاحاد لم تقنع بصد
الشعب المصرى والشعوب العربية عن الدين وتشككها فيه تمهيدا لإباحة
الأعراض وعبادة الشبهوات وتقليد الافرنچ مما يسهل التقليد في مجال
الفواحش والمنكرات بل نراهم يعتنون بتحقيق آداب اللغة العربية ليجردوا
الأمة من هذا الفضل المنطقى الذى يفضلها عن غيرها من الأمم ويثبت لها
استقلالها خاصا بمقومات خاصة ومشخصات خاصة . وقد بدأ هؤلاء الزنادقة
بهدم الدين هدمًا مطلقًا لا هدم تجديد كما يدعون ، وهدم الشريعة الإسلامية

- ١٤٨ -

لاستبدال التشريع الأوربي به ، ثم أسرفوا في تحقير آداب اللغة برغم
تحديدتها بآداب لغات سادتهم الأفرنج .

وقد ألف طه حسين كتيباً كذب فيه نغله اللغة العربية ورواتها
فيما روه من شعر العرب في عصر الجاهلية وزعم أنهم هم الذين أوضعا
المعلقات السبع وأمدوها على امرئ القيس وطرفة وغيره واستطرد الى
تكذيب كتاب الله وتكذيب خاتم رساله في اسناد بناء بيته الحرام الى ابراهيم
واسماعيل عليهما السلام وفي غير ذلك ، وجعل ذلك من الاساطير التي
لا يثبتها العلم ، ولم يقل أحد أن وقائع التاريخ يتوقف ثبوتها على عدم
نفي العلم لما رواه الرواة عنها ، فخير بناء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام
ليبت الله تعالى تناقلته الأمم العربية بالتواتر المؤيد بتقاليد دين عملية ،
ثم اثبتته الوحى الالهى الثابت بالآيات القطعية ولا يوجد دليل علمي يعارضه
في معنى قوله أن العلم لا يثبت .

ويقول : لقد عمد دعاة الزندقة في هدم مقومات هذه الأمة ومشخصاتها
ووصفها بالقديمية وشبهتهم عليه أن كل قديم فهو قبيح يجب تركه
ومن المعلوم أن حسن الأشياء وقيمها الحقيقية في ذاتها وغائدها ، لا في قدمها
ولا في جديدها ، وما من قديم الا وكان جديداً ولا جديداً الا وسيكون قديماً ،
ومن لا قديم له لا جديد له بل لا وجود له . وانما الأمم بتاريخها ، ومن الغريب
أننا نراهم يدمون الى انتحال ما هو أقدم مما يذمون من قديم أمتهم كالأدب
الأفريقي والشعر الأفريقي الذي هو دون الأدب والشعر العربي الجاهلي
والاسلامى » (م ٣٨٧/٢٧) .

٣ - ويتحدث عن دعاة التغريب هؤلاء فيقول : انما حجتهم على عامة
المسلمين سوء حال كثير من المعممين وتذللهم للأمراء والحاكمين وذمهم
لعصبية الدين وأن لهؤلاء الملاحدة لقوة على غسيرهم لا من انفسهم ولكنهم
يعتزون بها وان منهم من يكن للمؤمنين مكاييد لا يفتنون لها ، وان المؤمنين
لقوة ذاتية ولكنهم غافلون عنها ، وانما بقاء الباطل في غفلة الحق ، ماذا قذف
عليه دفعه وان بقاء الباطل لالى زوال : « وما كيد الكافرين الا في ضلال » .

ويقول : ولقد كان ملاحدة طرنا هذا نخبن ملاحدة المستلئين وأخوفهم
من اظهار الكفر على كونهم أجراهم على الجهر بالفسق ثم تجرأ أفرادهم

منذ سنين على التصريح به أو ببعض لوازمه في الجرائد بعد طول العهد على تصريح الكثيرين بذلك في المجالس ومنهم من الف كتباً أو رسائل في ذلك ثم بلغنا في العام الماضي أنهم ألفوا جمعية لأجل التعاون على تشكيك الناس في الاسلام وجذبهم الى الالحاد والطعن في عقائد الدين وأحكامه ولا سيما الآداب والأحكام الخاصة بالنساء وأنشأوا لهم صحيفة لحس الدسائس (يقصد مجلة السفور) وبث الوسوس وتوجيه العناية فيها الى نابتة المدارس وبناء دعوتهم على قاعدة التشويه للقديم والصد عنه والتثويه بالجديد والترغيب فيه ، وان لهم لأنصاراً في القصور والدواوين وفي المدارس وأكبر معاهد الدين وقد استفادوا من تقييد حرية المطبوعات بسبب الحرب ، ما كفوا به أقلام من تصدى لأحباط بعض دسائسهم ، من أهل الحق ، وانهم ليجتلبون الباب المتحليلين من الشبان والشابات بما ينمقون من زخرف الشبهات : « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو أشد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد » (م ١٩ المنار ١٩١٦) .

٤ — وفي أكثر من موضع يتحدث عن فتنة ملاحدة الترك في سوريا ومضر الذين ينهون بكفر الترك الكماليين ويبثون في كل خطوة من خطواتهم جريدة السياسة ومراسلها عمر رضا الذي يمدّها كل أسبوع بمقال ينوه فيها بأعمالهم ويحكى كفرهم وضلالهم (م ٢٢٧/٢٩) . ويقول : يود ملاحدة الكماليين من الترك لو يقتدى بهم مسلمو العرب في العراق وسوريا ومصر ومسلمو المعجم في سائر الترك والتتار والأفغان والفرس ميتركون الاسلام مثلهم ، وان ملاحدة الترك هم الذين يبثون الدعوة الى تشويه الدولة العثمانية ويبثون الدعوة الى الالحاد ويحرضون الزنادقة والمرتابين على ترك الاسلام واحتقار تشريع وآدابه ولبس قلانس الامرنج وأثارة الفيرة القومية والعصبية الجنسية ، ويقول انه قلما ثبت لهؤلاء الملاحدة نسب صحيح في الشعب التركي الذي صار عريقاً في الاسلام ، بل هم أوشاب منهم الروسي والرومي والبلقاني واليهودي الأصل وقد سلطوا على افساد هذا الشعب بدعاية العصبية الجنسية وترجمتهم للقوانين الأوربية ولبسهم البرنيطة وان السواد الأعظم من الترك يمقتون هؤلاء الكماليين أشد مما كانوا يمقتون اخوانهم الاتحاديين » (م ٧١/٢٧) .

٥ - ويكشف السيد رشيد رضا عن موقف المتفرنجين من دعوة الإصلاح الاسلامى فيقول : انهم فريقان : أحدهما من كان تفرنجهم أثر التعليم المصرى والتربية الافرنجية ، التى حجب اليهم ما لقنوه وتربوا عليه من مقومات القوم ومشخصاتهم قبل أن يلتفتوا ما لآمتهم من ذلك ويتربوا عليه . (ثانيهما) : من يتفرنجون تقليدا للفريق الأول من قومهم الحكام والأغنياء تقريبا اليهم ، وقد فتنى هذا التفرنج فى المسلمين بالمدارس الافرنجية والمدارس الوطنية الرسمية وغير الرسمية التى انشئت لتقليد الافرنج فى تربيتهم وتعليمهم بغير بصيرة ولا علم بموضع الحاجة ، على حين كان العلم بمقومات الأمة الاسلامية ومشخصاتها قد قل وضعف بضعفها السياسى والاجتماعى ومابقى منه أمسى مشويا بما ليس فيه من البدع والدخيل ، وفى أثناء هوى الأمة الاسلامية فى هذه الهاوية من الحال منذ عدة قرون كان الافرنج يصعدون فى مراقي العلم الاستقلالى والتربية الاجتماعية على علم ونظام يهتدون فيه لسنن : الله فى خلق الانسان والأكوان .

وهناك فرق بين المتفرنج المقلد والمصلح المستقل ، فالمصلحون يدعمون الى الاعتبار بما أوتى الافرنج من العلوم والفنون ، وما اتقنوا من الأعمال والبحث فى أسباب ذلك وطرقه والوصول الى ما تحتاج اليه أمتهم منه . ومن المتفرنجين من يدعو المسلمين الى هدم أصول الشريعة كلها والاستمساة عنها بقوانين يضعها حكام كل قطر مستقل بآرائهم ، وإن استمدوا أصوله وفروعه من قوانين أمم أخرى مخالفة للمسلمين فى عقائدهم وآدابهم وعاداتهم ومصالحهم ، ومنهم من يلبس على المسلمين بما يدعوهم اليه من انفساد ذمتهم وهدم شرعهم الذى هو أعظم مقومات أمتهم الرابطة بين شعوبهم بما يلبس دعوته من ثوب الإصلاح . أن بعضهم يتكلم باسم الاسلام ويدعى امكان الجمع بينه وبين نبد أصوله كلها استهجانا لها بزعم أنها وضعت لقوم لم يقفوا الى الكمال الانسانى الذى ارتقى اليه هؤلاء المتفرنجون . ومن أهم أصوله اباحة السفاح بالبغاء أو اتخاذ الأخدان بكل عذراء تجاوزت الأربعة عشر ، جهر بهذا صاحب الخطبة أو الرسالة التى ترد عليها فى هذه المقالات (أحمد صفوت) .

٦ - ويشير السيد رشيد رضا الى أن اللورد كرومر فى كتابه مصر الحديثة بين من فضائح المتفرنجين المصريين ما فيه أكبر عبرة لمن يعتبر منا

وقد أثار الى مذهب المصلحين الاسلاميين فيما يستحدثون غفهم من شئون الحضارة بما قاله في أحد تقاريره عن مصر عن ذكر وفاة الأستاذ الامام وهو أن الشيخ وحزبه المعتدل يشترطون في ذلك المحافظة على أصول الاسلام خلافا لمن لا يبالون في هذا السبيل بالدين ولا ما دونه من مقومات الأمة ، وأشار الى غلاة المتفرجين المارقين من الذين يحاربون أصوله وفروعه وينغثون سموم الكفر والفسق في أهله ، وشذوذ الغلاة في وجهة بعضهم في إنكار ما عليه الأمة من العقائد والعادات ، وقال صاحب المنار : ان من المتفرجين من يدعو المسلمين الى هدم أصول الشريعة كلها والاستعاضة عنها بقوانين يعرضا حكام كل قطر بأرائهم وان استمدوا أصولها وفروعها من قوانين الامم الأخرى المخالفين للمسلمين في عقائدهم وآدابهم وعاداتهم ومصلحتهم وان من هؤلاء المتفرجين من يلبس على المسلمين بما يدعوهم اليه من افساد دينهم وهدم شريعتهم التي هي أعظم مقومات امتهم الرابطة بين شعوبهم بما يلبس دعوته من دعاوى الاصلاح (م ٢٠ / ١٩١٧) .

٧ - ويتناول السيد رشيد رضا هذا الموضوع في موضع آخر فيتحدث من دورهم في الصحافة ويقول انهم ابتدعوا دعاية شرا من دعاية المبشرين وهي دعوة جمهور الأمة الى التعطيل والاحاد وما يترتب عليهما من الزنقة وإباحة الاعراض والأصول وانتهاك حرمان الفضائل والآداب وحل جميع الروابط التي تتكون منها الأمة من مقومات ومشخصات ، لا يراعى في شيء من اقتراف هذه المفاسد الا القاء عقاب الحكومة على مخالفة قوانينها . وحجتهم على هذا الانسداد كله أن كل ما كانت به الأمة أمة في الماضي قد صار قديما باليا ضارا يجب أن يستبدل به غيره من الجديد نقتبس من النظريات والآداب والتقاليد والأزياء الأوروبية . وقال : اشتد عصف هذه الرياح المتناوحة التي تهب عليهم مما ينشر في الصحف الضارة من المصنفات المفسدة وقلما توجد في البلاد جريدة أو مجلة تتجنب ما يضر الجمهور في عقائدهم وآدابهم وتتحرى ما يعتقد أنه النافع . ويقول : توجد جرائد يومية وأسبوعية ومجلات تتوخى وتتحرى وتتعمد الدعاية الى هذا الهدم والتجديد على تفاوت بينها في التصريح والتعريض أو التفرنج وأشدّها جريدة « السياسة » التي يكفلها الحزب الحر الدستوري ومعها في ذلك بل أشد « مجلة الهلال »

المشاركة لها في أشهر محرريها التي تدعى أنها لسان حال الشبان العصريين ففى كل جزء من أجزائها عدة مقالات لدعاة تجديد الاحاد والزندقة والاباحة المطلقة وتلما تنشر لغيرهم شيئا يخالفه ، وحسبك أن (سلامة موسى) هو الركن الثابت المتين في تحريرها وهو لا يكتفى بما ينشر له من المقالات ، في ذلك ، بل يطبع له في كل عام كتابا في تأييد هذه الدعاية الهادمة للأمة المصرية ولكل أمة شرقية تعتر بفلسفة المادية الانسانية .

وقد زاد هذا الرجل على اخوانه بأنه يدعو الى خلع الجنسية والوطنية والانضمام الى دولة أجنبية ، ثم انها تنشر مجلات أسبوعية مصورة (أى دار الهلال) تجرى قراءها على نبذ كل عفة وصيانة وفضيلة سمعت عنها ، ثم ظهرت منذ سنين مجلة أخرى أشد جراءة على هدم الدين والجهنم بالطعن فيه بسخافات من النظريات الفلسفية العصرية ظهر غرور صاحبها في دعوى العلم والفلسفة ، وفي معرفة الدين أيضا ، كما يترجمون بعض الكتب والصحف الانجليزية يأخذونها قضية مسلمة (لعله يقصد مجلة العصور لاسماعيل مظهر) ، وقد اقتفت أثر هذه الصحف مجلة جديدة انشئت في حلب فانكر عليها بعض الناس ما نشرته من حكاية طعن في الاسلام لان اكثرهم لا يزال غافلا عما تعنيه بالجديد والحديث والاستغناء عن القديم وان المراد ترك الاسلام من اساسه (مجلة الحديث لصاحبها سامى الكيالى) ولولا جمود مثقلة الفقهاء الذين احتكروا التعليم الدينى في بلاد الاسلام منذ قرون ولولا بدع أهل الطرق الصوفية وخرافاتهم وهم الذين كان سلفهم يعنون بالتربية الدينية ليكون الدين وجدانا عند صاحبه لا يقبل البحث والجدل فانقلبت بعدهم الى افساد لا يقبل الاصلاح لولا هؤلاء وأولئك لما كان لهؤلاء المفسدين ولا المبشرين أدنى تأثير في اغواء المسلمين . ويرى السيد رشيد رضا اشراك هؤلاء مع الملاحدة في هدم الاسلام من حيث لا يشعرون : « فهم يفتنون جميع المتعلمين على الطريقة العصرية الاستقلالية عن الاسلام من جانب ويقطعون الطريق على حكام الدين الراسخين أن ينشروا حقيقتهم التي لا يمكن المراء فيها من جانب ثان وأن يبدحوا شبهات الماديين والمبشرين عليه من الطرق العلمية التي لا يمكن اقناعهم أو الزايمهم الحجج بدونها من جانب ثالث ، وعنده أن رجال الدين قد انقطعوا في عصورهم المتأخرة عن الكتاب والسنة وعن مهمتها على الوجه الصحيح

- ١٥٣ -

وهما بلا شك مصدر الحياة والقوة وعليها مدار السعادة التامة ، ومن ذلك قول الشيخ على سرور الزنكونى : ان سبب التأخر الحقيقى هو عدم فهم الكتاب والسنة على الوجه الصحيح لأن فهمهما كذلك يولد الايمان بهما ايمانا قويا والايمان بهما كذلك لا محالة يولد السعادة والقوة والعمل الصالح رغم الصوارف التى ازدحم بها الوجود فالوجود ملوث بمثل هذه الصوارف منذ بدء الخليقة والصراع قديم بين الخير والشر وبين النور والظلمة .

(م ١١٧/٢٩) .

- ٢ -

وفى ضوء هذه الوجهة مضى السيد رشيد رضا فى نقد الفرق الهدامة والنحل الباطنية وكان الاستشراق فى مقدمة هذه الموسعات وقد بدأ الشيخ محمد عبده هذه الخطة برده على هانوتو ، وتزييف المفاهيم التى قدمها (فرح أنطون) صاحب مجلة الجامعة وقد انطلقت دعاوى المستشرقين من الخطة التى بدأها اللورد كرومر فى تهجمه على الشريعة الاسلامية ، ووصفها بأنها صحراوية وقد رد عليه فريد وجدى ومصطفى الغلانينى وتناول جانباً من الرد عليها السيد رشيد رضا بعد صدور كتاب (مصر الحديثة) لكرومر الذى أعاد نشر هذه الشبهات .

وقد مضى هانوتو على نفس المخطط حين قال بأن الدين الاسلامى يحول دون تقدم المسلمين .

ودخلت جريدة المؤيد وجريدة اللواء الميدان وترجم أحمد فتحى زغلول كتاب (الاسلام خواطر وسوانح) من تأليف الكونت هنرى دى كاسترى وهو من أحسن الأوربيين رأياً فى الاسلام وأحسنهم دفاعاً عنه ، ليكون عبرة فى بيان حقيقة الاسلام وكان رد الشيخ محمد عبده عليه مقحماً وقد نشر الرد فى المؤيد وفى المنار بأضواء رمزية وقد خطأ الذين كتبوا دعوته الى الفصل بين السلطة الدينية والسياسية وقال السيد رشيد رضا انها من أهم المسائل التى تطلبها أوربا من المسلمين ، وان الجرائد التى تدعو الشرقيين من المسلمين الى مدنية أوربا تتجهد فى اقامة الحجة على أن هذا النجاح موقوف على هذا الفصل ، وقد كتب المنار فى هذا تحت عنوان « الدين والدولة » والخلافة والسلطة » (م ٣٣٧/٣) وما بعدها و (م ٥٧٧/٥) .

وتابع السيد رشيد رضا كل دعاوى الاستشراق ورد عليها وفي مقدمتها كتاب مرجليوت عن النبى صلى الله عليه وسلم قال السيد رشيد رضا (م ٥٢٣/٩) :

قال في مقدمته : انه يعد النبى محمدا من أعظم الرجال وانه حل معضلة سياسية هى تكوين دولة عظيمة فى قبائل العرب وليس من فرضه الدفاع عنه ولا ادانته وليس من غرضه تفضيل الدين الاسلامى على غيره ولا تنقيحه والطعن فيه . يقول : وترى فيما ينتقده على الدكتور مرجليوت أن السبب فى أكثر غلطه وخطاه فى هذه السيرة هو التحكم فى الاستنباط والقياس الجريء ، وبيان أسباب الحوادث كما هو شأنهم فى أخذ تاريخ الاقديمين من الآثار المكتشفة واللغات المنسية وأقله مدم فهم اللغة « وقد أورد له مجموعة من الأخطاء ، منها قوله : كيف أتته فكرة النبوة لمحمد ذلك الرجل العربى دون سواه ، وقوله : ان النبى كان يعتقد فى نفسه أنه كأحد أنبياء اسرائيل ، يقول ان هذا يتنافى مع ما زعمه فى غير موضع من أنه قام بهذا الأمر عن فكر وتدبير وانه كان يتعلم ويستفيد ، ويدعى أنه ما استفاده من الناس وحى من الله » وكشف السيد رشيد رضا أن مرجليوت فى حقيقته حاقق على الاسلام حقد اليهود الدفين وذلك فى مغالطاته وشبهاته ، كذلك أشار الى أخطاء لامنس فى دعواه عن عرب الأندلس بأنه لم يكن بين المسلمين الذين قاموا بفتح الأندلس الا القليل من العنصر العربى الخالص ، وذلك ليذهب الى القول بأن أكثريتهم من البربر والافريقيين ، يقول : يريد لامنس الشيعى انكار حقيقة العرب ومدنييتهم الأندلسية والاسلامية ليتخذها حجة على عدم أهليتهم للتدوين والتثقيف والسبق فى ميدان الحضارة التى تأتى بعكس ما يقرره المتحاملون من أن الاسلام لم يوفق حتى الآن الى تأسيس مدنية راقية .

وأشار الى المستشرق فامبرى اليهودى الذى خدع المسلمين فقد كان استاذاً خصوصياً للسلطان عبد الحميد وأقام فى قصر النجم (يلدر) زمناً طويلاً وكان يطرئ سياسة السلطان عبد الحميد فلما عزل السلطان غير رأيه وكتب مقالات فى مجلة القرن التاسع عشر على اثر خلع عبد الحميد بسط فيها آراءه فى ذلك الخلع وفى رجال الدولة العثمانية كافة وتوسع

في نقد عادات الأتراك وسلطينهم وطعن بهم وبوزرائهم أقبح طعن ونسب الى السلطان عبد الحميد الجهل والتعصب وفساد الأخلاق وسوء التربية وكثف عن ما أسماه رياء هذا المستشرق وخداعه الرأي العام وطعنه في النهضة الآسيوية والحركة الإسلامية وكان سابقا يؤيد المسلمين ويتظاهر بمصادقة عموم الآسيويين قائلا بوجوب مساعدة زعمائهم المفكرين ورجالهم الناهضين فما بال يكتب الآن : « اقطعوا البرعم قبل أن يزهر وبثمر » (م ١٦/٦٢٧) .

وفي السنوات الأخيرة للمنار اتسع نطاق البحث في كتابات المستشرقين فكتب الأمير شكيب أرسلان في المنار (م ٣٣/٤٣٥) فصلا غاميا أشار فيه الى هدف المستشرقين الأساسي حيث يقول : انهم ما استشرقوا ولا خطوا خطوة في هذا السبيل الا لأجل أن يتعقبوا عورات الاسلام ومثالبه ويخوضوا في أعراض المسلمين ويبحثوا عن زلاتهم ليجسموها ويعرضونها لأنظار الأوروبيين بالشكل المستتبع الذي تنفر منه طباعهم وتثور حفاظهم وذلك حتى يزدادوا بغضا للاسلام وبعدا عنه ، هذه الفئة من حيث أن استشرقتها هو العمل لخدمة المسيحية وتشويه الاسلام بما أمكن لا تقتصر على تجسيم العورات اذا وقعت عليها بل تبلغ بها سوء القصد أن تقلب الحقائق قلبا وأن ترتكب التزوير عمدا وأن تأخذ بالحوادث الجزئية فتعممها فتجعل منها قواعد وكل شيء تعمله هذه الفئة على قاعدة أن الغاية تبرر الوسيلة فالاسلام بزعمها هو شر محض فينبغي أن تنتقد الناس منه بالحق وبالباطل . ومن جملتها لامانس الشيوعي البلجيكي ومارتن هاريمان الألماني ومرجليوت الانجليزى وفنسلفك الذي ذكر عنه الدكتور حسين الهراوي أنه طعن في الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومن المستشرقين فئة أخرى غرضهم أيضا أن يخدموا المدنية الأوروبية والثقافة المسيحية وأن يبيثوها بما أمكنهم بين المسلمين ولكنهم لا يستبجحون ما تستبيحه الفئة الأولى من الكذب والبهتان وقلب الحقائق واللواذ بكل غرض للتمثيل بالاسلام وأهله، هؤلاء يلتزمون في مباحثهم الطريقة العلمية ولكنهم لا يترجون عند أول فرصة تلوح لهم أن يهملوها ويحملوا على الاسلام باسم العلم يزعمهم وأن يجسموا الهنات وأن يعمموا الجزئيات في الاحياء وأن ينجأهوا

— ١٥٦ —

من عندهم من الطاقات الكبرى التى لا تقاس اليها معايير الاسلام فى كثير ولا قليل .

قال مهندس سويسرى لاحسان الجابرى : لقد نشأنا من الصفر على بغض الاسلام ، وريانا آباءنا ومعلمونا على مبادئ من العدواة للإسلام ، نحن الآن نعلم بطلانها لكننا بحكم الاستمرار لا نقدر أن نتخلص منها » (م ٤٣٥/٣٣) .

وكتب العلامة محمد تقي الدين الهلالي مقالا عن أخطاء المستشرقين وخطاياهم (م ٥٣٥/٣٤) قال : ان لهم أخطاء ولهم خطيئات أيضا ، أما أخطاءهم فمنشؤها القصور فأكبر المستشرقين صحفيون فى العلوم الشرقية (الصحفى من يأخذ العلوم من الصحف بدون تلق من العلماء ، والمصحفى من يتلقى القرآن من المصحف لا عن القراء والحفاظ) ولنضرب بذلك مثلا حول جورج ساييل أول من ترجم القرآن الى الانجليزية وحدث فى الجزء الأول من القرآن أربعين غلطة وله ترجمة رسائل أبى العلاء مشحونة بالأخطاء ، أما الخطيئات فتركبها ثلاثة آخر من المستشرقين (الضرب الأول) : القسيسون المتعصبون كجورج ساييل ومرجليوث وزويمر ومن على شاكلتهم الحامل عليها شدة بغضهم للإسلام وللشرق كله من أجل الاسلام . (الضرب الثانى) : السياسيون المستعمرون وغرضهم معروف . (الضرب الثالث) : الأدباء الذين لا يدفعون عن الكذب وزخرف القول ليكتسبوا بذلك المال الوافر والشهرة الواسعة وأعجاب القراء الأوربيين الذين يصدقون كل ما يقرعون عن الشرق والشرقيين ، وهناك قسم رابع من المستشرقين بريئون من تعدد الخطيئات منهم توماس كارليل ، وجيبون ، وكوتى .

— ٣ —

ويواجه السيد رشيد رضا أخطاء كرومر فى كتابه (مصر الحديثة) فيقول : انه فضّل القبط على المسلمين تفضيلا من حيث دينهم وما فيه من المرونة التى تساعد على مجاراة المدنية مما لا يساعد الاسلام أهله على زعمه رفع نفسه الى مستوى الحكم فى الاسلام من حيث هو دين ومن حيث هو شريعة ونظام اجتماعى محكم من الحيثية الأولى له وعليه

— ١٥٧ —

ومن الحيثية الاولى عليه لاله ، وانتقل من الحكم عليه الى الحكم على اهله عامة حتى في مستقبل أمرهم ، وهو كتاب كتب بمداد الحقد والحق وقلم الحفيظة والانتقام من المصريين بما فوقوا اليه من سهام وصوبوا اليه من أسنة أقلامهم في وقت مفارقتهم لديارهم ، فهو يريد أن يستل من نفوس أحرار قومه فكرة توقيت الاحتلال والخروج من مصر في يوم من الايام ويقنعهم ويقنع أوربا معهم بأنه لا ضمان لحفظ مصالح الأوربيين في مصر بل ولا حفظ مصالح المصريين الا ببقاء الانجليز في مصر ، لأن المصرى شسديد التمسك بدينه الذى لا يتفق مع المدنية فان هو تركه واتبع المدنية كما يحب الأوربيون ويبغون كانت مدنيته تقليدية لا حقيقية ، وكان ذلك شرا على المسلم المتدين واثمد عداوة للأوربي وللمسيحي ولو غير أوربي .

ويرى أن تصريحه بعدم استحسان ضم مصر الى أملاك انجلترا وما أظهره من الميل الى اعدادهم للاستقلال هو من التهميه وذر الرماد فى العيون والهاء المصريين بالامانى والأحلام . (م ١١ ابريل ١٩٠٨) .

— ٤ —

ويواجه السيد رشيد رضا كتاب مصر بن دعاة التفريغ فيكشف زيفهم ، فهو يدحض مزاعم فرح انطون عن الاسلام التى أوردها في دراسته عن ابن رشد فيقول : انه خطأ اعتقاد فلسفة ابن رشد على تلخيص مثل صاحب الجامعة من كلام رينان أو من الكتب الغربية ، فان صاحب الجامعة شاب لم يتعلم الا مبادئ علوم المدارس في مدرسة كهنتين فهو لا يفهم هذه الفلسفة ولا هو حسن القصد في بيان ما يفهم كما علم وتعلم مما ينشره فان دين الاسلام مبنى على العقل كما صرح القرآن الكريم ، وقد زعم صاحب الجامعة أن الامام الغزالي وابن رشد يقولان بخلاف ذلك أى بخلاف ما يتفق به كتاب الله ، حاشى الله .

ويعارض فكرة الشيخ مصطفى عبد الرازق في محاضراته التى القاها في احتفال الجامعة المصرية بذكرى « رينان » المفكر الفرنسى الذى هاجم الاسلام يقول السيد رشيد رضا (م ٢٤) : لقد طعن رينان في الاسلام بأنه عدو العلم والعقل وطعن في العرب بأن عقولهم مقصرة بطبيعتها غير مستعدة لفهم الفلسفة وما وراء الطبيعة وما ذكر في المحاضرة من تلخيص

كلامه يدل على أنه لم يكن يعرف من أصول الاسلام شيئاً الا بعض كلام دعاة النصرانية في الجزائر ورجال السياسة الفرنسية ، وقال انه أخطأ في تصوير العقائد المنسوبة الى الاسلام وانه فضل البربر على العرب في العلم والمدنية بدعوى أن أصلهم من برايرة الشمال الأوربيين لا من همج الساميين ، وقال : ان ثناء رينان على جمال الدين وقومه الأفغان يرجع الى أنهم من الأرومة الآرية ذات العقل الراقى المستعد للفلسفة العليا التى تستعصى على عقول العرب » .

كذلك فقد عارض دعوى محمود عزمى فيما أسماه : « مدنية القوانين » (مجلد ٢٣/٤٣٥) حين دعا الى وضع قانون مدنى للأحوال الشخصية يسمح للمسيحي بأن يتزوج بالمسلمة ، وقال السيد رشيد رضا : ساء بعض المفرنجين أن دين الدولة المصرية الرسمى « الاسلام » وساعت ملاحدة المفرنجين المقلدين لأعداء الأديان من الافرنج في الدعوة الى التقصى من روابط الدين ولا سيما السياسية والاجتماعية منها فقام منهم من يقترح من الاصلاح لصر في عهد الاستقلال والدستور أن توحد قوانينها فتجعلها كلها مدنية لوضع قانونى مدنى للأحوال الشخصية من زواج وطلاق وغير ذلك ويعنون بالمدنى ما يقابل الدينى وأصبح المقترح على رايه بأن الشريعة الاسلامية غير عادلة لانها تبيح للمسلم أن يتزوج يهودية أو نصرانية ولا يبيح أن يتزوج غير المسلم امرأة مسلمة » .

وقد رد عليه كثيرون في جريدة الأهرام (مايو ١٩٢٢) ومن ذلك السعى لالغاء المحاكم الشرعية (م ٢٣/٤٣٥ ، ٥٣٩ ، ٦٢٥) من سعى المفرنجين والافرنج لابطال الشريعة ، وقال السيد رشيد : ان النص القطعى في القرآن انما ورد بالنهى عن نكاح المشركات ونكاح المشركين ويحل نكاح المحصنات من أهل الكتاب ولم يصرح بتحريم انكاحهم .

كما وقف السيد رشيد رضا وقفة حاسمة بالنسبة لكتاب الاسلام وأصول الحكم للشيخ على عبد الرازق وعرض لفساد رايه ولحكم هيئة العلماء عليه وقال انه جعل الشريعة الاسلامية شريعة روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ في أمور الدنيا وان الدين لا يمنع من أن جهاد انبى كان في سبيل الملك لا في سبيل الدين ولا لابلغ الدعوة الى العالمين

وان نظام الملك في عصر النبي كان موضع غموض وابهام واضطراب وكان موجبا للحيرة وأن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم كانت بلاغا للشرعية مجردا عن الحكم والتنفيذ وانكر اجماع الصحابة على وجوب نصب الامام وعلى أنه لابد للأمة ممن يقوم بأمرها في الدين والدنيا وانكار أن القضاء وظيفته شرعية وأن حكومة ابي بكر والخلفاء الراشدين من بعده كانت لا دينية » .

وهاجم سلامة موسى في مطالع حياته وفي أول مؤلفاته (مقدمة السبرمان) مجلد ١٣ ، وقال اننا رأينا المؤلف يتحمس لآراء نيتشى وبليك وشوبنهاور وغيرهم من أصحاب الفلسفة الشاردة التي روحها وملاكها حمل الناس على التفلت من جميع القيود الدينية والأدبية وتقوية الحياة الحيوانية فهم يجب أن يكونوا متسلطين جبابة أقوياء بدل أن يكونوا عادلين مهذبين رحماء وكان لمثل هذا المؤلف الجديد أن يريد أهل الشرق على التمسك بتلك المذاهب الشاذة ولو أنه رأى لها أثرا قائما بتلك البلاد التي نبت فيها أولئك الفلاسفة أنفسهم ولا يمنع أن يكون لكل ناعق متبعون فان الشذوذ واختلاف المناحي كان ولا يزال دأب البشر ولكن المتفرنجين منا يريدون تعميم ما يرون لهم في كل بقعة من بلاد الشرق ناصبين انفسهم من أمتهم منصب المصلحين النافعين وانما هم من المقلدين المساكين الذين لم تقو عقولهم على تمييز الغث من السمين (م ١٣) .

وعرض لكتاب اميل درمنخيم (حياة محمد) وترجمة الدكتور محمد حسين هيكل له ، وقال ان درمنخيم من أقرب المستشرقين الى الصحة في الرواية لأنه اعتمد على المصادر الاسلامية وأوسعها عنده سيرة ابن هشام وأجدرهم بحسن النية فيما أخطأ فيه فان حاول الجمع بين اعتقاده واعتقاد المسلمين والتقريب بينهما بقدر ما تعطيه بلاغته الفرنسية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وتصوير فضائله وأشمار الى خطأ درمنخيم في القول بالوحى النفسى للنبي صلى الله عليه وسلم « ويعنون به أنه نابع من نفس النبي وصادر من استعداد فيه وهو ما يعبرون عنه في هذا العهد بالعقل الباطن ونعنى به الروح الغيبى المعبر عنه بقوله تعالى : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

ويقول ان ما نقله هيكّل عن درمنجيم من الكلام عن بدء الوحي المحمدي ومقدماته قد جمع فيه الشبهات التي يمكن الاحتجاج بها على أن هذا الوحي « نفسى » .

وقال أنه رد عليه في كتابه (الوحي المحمدي) وأثبت أن وهى القرآن من عالم الغيب بما بسطه من كليات مقاصد القرآن العشر واستحالة كونها من عقل محمد واستعداده واستحالة أن يكون ما دونها من العلم والفهم والعمل منا وقع أو يقع مثله لأحد من البشر في سن الكهولة . ويقول : لما قرأت مقدمة (بدء الوحي) عجبت المؤلف كيف أقر درمنجيم مؤلف الأصل على مزاعمه فيها بعد تفنيدي لها في كتاب الوحي المحمدي وقد اطلع عليه وذكره في الكتب التي استمد من مباحثها في وضعه فان أدري أغفل عن تفنيدي لشبهاتها العشر وأثبت الوحي الالهي بكليات ومقاصد القرآن العشر أم ماذا ؟ فهذه المسألة أنكر المنكرات في أصل الكتاب ولم يهطن لها الجمهور فيه ولا لفروعها المنكرة وهى كثيرة وقد أنكروا ما هو دونها .

ونشر السيد رشيد رضا بحثا للأستاذ محمد محمد زهران في نقد كتاب « حياة محمد » للكتور هيكّل فقال ان الناس استبشروا به عندما بدأ يكتب عن السيرة ، ولكن بدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون من تشويه الحقائق القطعية والاغراق في الباس الباطل ثوب الحق وصوغ الخيالات في قالب الحقائق واقرار ما ليس بثابت عن أئمة الدين وانكار ما هو معلوم للخاصة أو جلها الا وهو انكار جميع المعجزات المحمدية سوى القرآن ولو أنه اقتصر على مجرد هذا الانكار لتاولنا وتلنا لعله أراد أن القرآن هو المعجزة العظمى التي تتضاءل في جنبها سائر المعجزات ولكن قد ملل الانكار المذكور بان تلك المعجزات بأسرها مخالفة لسنن الله عز شأنه وأن تجويز شيء منا مناف لما نطق به القرآن من أن تلك السنن لا تتبدل وزعم أن أحاديث المعجزات كلها موضوعة اما لمحاولة أن يجعل له صلى الله عليه وسلم من الآيات مثل ما لموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام واما لتشكيك من يؤمنون بقوله تعالى : « وإن تجد لسنة الله تبديلا » فهذا نص لا يحتمل تأويلا في أنه لا يدين بشئ من المعجزات الكونية فانه قرر أن وقوع شيء منها تبديل للسنن الالهية وانه محال ، ويا ليت شعري ماذا يصنع بالآي القرآنية والعمامة من المسلمين . وقال انه هناك أمر واحد أساسى لجميع أخطاء المتضمنة للمعجزات الانبياء من نحو انقسلاب العصا حية وخلق البحر لموسى

وابراء الاكهم والابرص واحياء الموتى لعيسى عليه الصلاة والسلام .

وأشار الباحث الى أن الدكتور هيكل انكر :

- ١ — قصة ابراهيم والكعبة .
- ٢ — أسطورة شق الصدر .
- ٣ — بدء الوحي .
- ٤ — ما نسبته الى السيدة خديجة .
- ٥ — ما قال في الاسراء .
- ٦ — ما عقب به على معجزة الغار .
- ٧ — تلبيسه في قصة سراقه .
- ٨ — دعواه بأن النبي صلى الله عليه وسلم أقر المنكر .
- ٩ — عزوه الى عائشة ما لا يليق .

وقال السيد رشيد رضا معلقا على ذلك بقوله : ان أكبر خطأ رأيته تبعا لأصله الفرنسي من تشبهات الوحي النفسى يخفى على أكثر قرائه أن على من لم تتمكن هذه التشبهات من نفسه من قبل قراءته . فإن درمنجم نفسه ينقل رواية رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لملك الوحي والتلقى عنه . والدكتور هيكل زاد هذه المسألة بسطا وان أخطأ كل منهما فيما ذكرا من مقدماتهما باجتهادهما وما اعتد عليه في رواياتهما الباطلة لقلة اطلاعهما وعدم اضطلاعهما بالتمييز بين الراجح والرجوح فيها وأن ابن هشام وأستاذه ابن اسحق أخذوا بالرواية المرسلة في حديث بدء الوحي وأن قوله أنها رؤيا منامية مخالفا رواية الصحيحين المسندة المرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم « .

ثم هون السيد رشيد رضا من المسائل الأخرى .

كذلك فقد اهتم السيد رشيد رضا بصدور دائرة المعارف الاسلامية المترجمة (م ٣٨٦/٣٤) فقال ان هذا المعجم باللغة العربية كما كتبه واضعوه بدون تعليق على ما فيه من الاغلاط والمطامع ومخالفة الحقائق هو أخطر من نشر كتب دعاة النصرانية المبشرين وصحفتهم لأن هذه قلما تخذع أحدا من عوام المسلمين بما فيها من الباطل أما هذا المعجم فإنه يخدع أكثر القارئين له فيه ولعل فيهم من يعلم أن مؤلفي هذه الدائرة ممن يترصدون بهم

الدوائر (عليهم دائرة السوء) وكان الأمير شكيب أرسلان قد علق على هذه الدائرة فأشار في (م ٤٣٩/٣٣) فقال ان دائرة المعارف الاسلامية لا تخلو من تحاملات منكرة على الاسلام ، ومن غلطات وخطبات علمية في مباحثها التي تولاهما بعض الفئة الاولى المتحاملة على الاسلام وعلى لجنة الترجمة العمل لتصحيح تلك الاغلاط ، وتستدرك أيضا على فوات المتن ، والا يكون قد أدخلنا في عقول ناشئتنا الجديدة ضلالات لا تخفى باسم العلم والفن وحرية الفكر والاستنتاج التحليلي . وقال : ان « دائرة المعارف » اسم خادع كسور له باب ظاهره منه الرحمة وباطنه من قبله العذاب وهو معجم لفته طائفة من علماء الافرنج المستشرقين لخدمة دينهم ودولتهم المستعمرة لبلاد المسلمين بهدم معادل الاسلام وخصومه بعد أن عجز عن ذلك دعاة دينهم بالظعن الصريح على كتاب الله العزيز ورسوله خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وبعد أن عجز عن ذلك الذين حرفوا القرآن بترجمات الباطلة والذين شوهوا تاريخ الاسلام بمفترياتهم فلك بأن هؤلاء الملفقين لهذا المعجم الذي سموه دائرة المعارف الاسلامية لم يتركوا شيئا من عقائد الاسلام ولا فضائله ولا من تشريعه ولا من مناقب رجاله الا وصوروه لقراء معجمهم بما يخالف صورته الصحيحة من بعض الوجوه وان اتقان الافرنج للكذب والافتك قد نأق اتقائهم لغيره مما اتقنوه من علم وعمل . هذه الدائرة من عيوبها أنها لم تكتب لتحقيق المسائل التاريخية والعلمية لذاتها بل لأجل بيان آرائهم وأهوائهم والاعلام بما سبق لهم ولعلمائهم منها من بحث وطعن في كتبهم ورسائلهم المتطرفة وقال ان التذييلات والتصحيحات والانتقادات التي تقدمها النسخة العربية غير كافية في موضوعها وان هناك مواد كثيرة نشرت بغير تعليق .

وعارض السيد رشيد ترجمة القرآن وعرض لها في مناسبتين الاولى عام ١٩٠٩ فقال : ان ترجمة القرآن ترجمة حرفية تطابق الاصل متعذرة كما يعلم والترجمة المعنوية عبارة عن فهم المترجم للقرآن فهم من عساه يعتمد هو على فهمه من المفسرين وحينئذ لا تكون الترجمة هي القرآن وانما هي فهم رجل للقرآن يخطئ في فهمه ويصيب ولا يحصل بذلك المقصود المراد من الترجمة ، ان القرآن هو أساس الدين بل هو الدين كله اذ السنة ليست دينا الا من حيث أنها مبينة له ، فالذين يأخذون

- ١٦٣ -

بترجمته يكون دينهم ما فهمه مترجم القرآن لهم لا نفس القرآن المنزل من الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والاجتهاد بالقياس انما هو فرع من النص والترجمة ليست نصا من الشارح والاجماع عند الجمهور لا بد أن يكون له مستند والترجمة ليست مستندا فعلى هذا لا نسلم لمن يجعلون ترجمة القرآن قرآنا ان من يعرف لغة القرآن وما يحتاج اليه في فهمه كالسنة النبوية وتاريخ الجيل الاول الذي ظهر فيه الاسلام يكون مأجورا بالعمل بما يفهمه من القرآن وان أخطأ في فهمه اذا بذل جهده والاهتمام بما أنزله الله هداية له . ان القرآن ينبوع الهداية والمعارف الالهية لا تخلو جدته ولا يفتأ تتحدد أسرارها ما لم تظهر لمن قلبه تصديقا لعموم حديث « قرب مبلغ أوعى من سامع » وترجمته تبطل هذه المزية اذ تنيد القارئ بالمعنى الذي صورته المترجم بحسب فهمه ، وقد ذكر الغزالي ان ترجمة آيات الصفات الالهية غير جائزة »

ولما تجدد الكلام عن ترجمة القرآن في تركيا بعد الانقلاب مرض السيد رشيد لموضوع الترجمة مرة أخرى (م ٢٦ / ٤٨١ ، ٥٦١ ، ٦٤١) ومما قاله ان ملاحظة الترك ودعاة العصبة الجنسية فيهم قد بثوا في قلوبهم فكرة الاستغناء عن القرآن المنزل من الله تعالى باللسان العربي بترجمته باللسان التركي قبل عهد الحرية الدستورية بسنتين وقد أنكرنا عليهم ذلك قولا وكتابة وحقق السيد رشيد رضا قولهم ان غير العرب من المسلمين يمكنهم الاستغناء في دينهم عن معرفة اللغة العربية وعن القرآن المنزل من عند الله آية للعالمين معجزا للبشر على مر السنين بترجمته الى التركية والفارسية وغيرها من اللغات . وقال : « ان الترجمة لا يمكن أن يتحقق فيها الامجاز كالقرآن المنزل من عند الله تعالى ولا يصح التعبد بتلاوتها . ولا يتحقق منها غير ذلك من خصائص القرآن . ولا يهتم الاهتداء بالكتاب والسنة الا بالناية باللغة العربية ولا شيء اضر على الاسلام في هذا العصر من يدعو الى ترجمة القرآن الى اللغات المختلفة ليستغنى المسلمون بالترجمة عن القرآن المنزل من عند الله تعالى بلسان عربي مبين ، فالغاية هي هذه المفسدة واذا وقعت فان الاعاجم من المسلمين يكونون عرضة لشرك الدين »

كذلك فقد واجه سيوم طه حسين : ومفكرات طه حسين وتابعه متابعة متصلة منذ صدور كتابه « في الشعر الجاهلى » وما تبعه من أفكار شعبية وتغريبية ، وقد طاردت حركة اليقظة هذا الخطر حتى سقطا ، ويصور السيد رشيد رضا هذه المحاولة (٢٩٩/٣٢) فيقول لقد كان هدف الاختلاط هو السيطرة على المدارس وتخريج نثر جديد لا هم لهم في الحياة الا التمتع بالذات الجسدية والزينة في اللباس والأثاث والرياش والتنافس في خدمة الحكومة والتوسل الى ذلك بالشهادات المدرسية ، والتلق للرؤساء المسيطرين من الانجليز .

وأهم ما عنى به المسيطر على وزارة المعارف منهم الا وهو القسيس مستر دنلوب ان يطمس كل اثر كان للدين الاسلامى في المدارس الأميرية والا يدع للتربية الاسلامية ولا للتعليم الدينى منفذا يشرف منه على القلوب ينشر الاحاد والاباحية بان ينفثا سمومهما في افساد الاخلاق وعبادة الشهوات وعدم الخضوع لى سيطرة اجنبية أن تتمكن من الاذهان وتغلغل في اعماق الوجدان والهاء للمعلمين والمتعلمين عن ذلك بمظاهر التربية الوطنية الاقليمية التى تفصل بين مسلمى مصر ومسلمى سائر الاقطار ولاسيما العربية .

وقد نجح دنلوب في سياسته أتم النجاح وشغل المدارس بالرياضة الجسدية عن ترويض الأرواح ، وكان ان طبع وزارة المعارف بطابع سياسته ووجهها شطر متصده ، حتى جاء الاستقلال المقيّد وصار أمر التعليم في ايدي الوطنيين ، كان بعض وزراء المعارف من بعده شرا على التربية والتعليم مما كان في عهده بل لم ينهض وزير منهم لاصلاح التربية الدينية ومقاومة نزعات التفرنج وصد تيار الاباحية والاحاد الذى يقترب بالامة في فوضى الاخلاق والفساد . وأعجب من هذا اننا لم نر من حزب من أحزاب البلاد السياسية ولا من تقاليد الحكومة طريقة متبعة في اختيار وزير المعارف من رجال الاصلاح الملى والادبى الذين يهمهم حفظ دين الامة والدولة ووقايتها من الفساد والفوضى . وكان مثار العجب أن جعل الأستاذ أحمد لطفى السيد المحامى وزيرا للمعارف ، حتى اذا ما تولى هذا المنصب مراد سيد أحمد القاضى الاهلى زال ذلك العجب واعتقد كل غيور على الدين ان الحكومة المصرية متعمدة القضاء على هداية الدين في الامة بتربية بنيتها وبناتها على الاحاد والاباحية المطلقة . لئن كان الدكتور طه حسين من سيئات الاول بتغذيته بمبادئ الاحاد في نفسه وتجربته على بنيتها بطله أولا وفي دروسه

في الجامعة أخيراً فإن الثاني قد ابتدع في وزارة المعارف من فنون التربية على الإباحية والقاء جلايب الحياء والصيانة من تشجيع التهتك والخلاعة وتصوير الشببات والشواوب مجردين ومجردات من الثياب ما يتضائل أمام ذلك الانسداد القولي .

ليس بكثير على مراد سيد أحمد أن يفترض ارتقاءه الى منصب وزارة المعارف فيبتدع فيها تعليم النابتة المصرية من البنين والبنات لتمثيل الإباحي والرقص التوقيعي وتربيتهم على التجرد من الثياب بحجة الترقى في صناعة التصوير وهو هو الذي كان قاضيا فرفعت اليه قضية رجل يطلب فيها عقاب أستاذ في المدارس على التصدي لتحبيب امرأته وانسائها عليه بمخاطبته اياها في الطريق بعبارات التصبي والاستمالة فحكم القاضي الذي ارتقى من كرسى القضاء الى كرسى الوزارة بأن ما وقع من الأستاذ المعلم المريب هو مظهر من مظاهر حب الجمال وهو فضيلة من الفضائل وأن القانون يعاقب على الرذائل فحكم ببراءة الفاسق المتصدي لانساد نظام الزوجية وكفى به انسادا للأمة . والغريب المريب أن يجعل مثل هذا القاضي المجدد الإباحي وزيرا للمعارف ولقد ظننت أن الحكومة المصرية قد أجمعت أمرها على القاء هذا الشعب المتدين في فوضى الإباحة المطلقة وقذفه في نهور الالحاد والزندقة . وقد أبطل حلمي عيسى البدعتين الإباحيتين متضمنا أن ابتداعهما كان بسوء رأى الوزير ثم أن هذا الرجل جعل طه حسين عميد كلية الآداب في الجامعة مفتشا للغة العربية في الوزارة فأخرجه من الجامعة التي كان يبيت فيها الالحاد فكان لأخراجه ضجة شديدة وقدم الدكتور عبد الحميد سعيد استجوابا في مسألة طه حسين واستنكار بقائه في وزارة المعارف واستقال أستاذه ومريبه أحمد لطفي السيد .

لقد خدم طه حسين دعاة النصرانية بالصد من الاسلام وبغيه عوجا وقد بعض فلاسفة الافرنج في الشك والتشكيك وهو ضرب من السفسطة قديم ، ولعل سبب تأييد بعض كبار الملاحدة لهم أنهم رأوه مستولفا مستهترا لا يبالي في سبيل الشهرة بالالحاد والإباحة فما ولا عارا وهم حريصون على نشر هذه الدعوة في الجامعة المصرية ليهدموا بمحاول المتخرجين بها كل ما بقى للاسلام في مصر من هداية دينية وجنسية عربية

لهم أرادوا جعل الجامعة حرباً على الأزهر والمعاهد الدينية وعلى دار العلوم وخرجوا بأن ثقافة الجامعة المصرية ستحل محل ثقافة الأزهر الدينية في مصر وكان أظهر الأسباب لعناية أولئك الملاحدة بيبث دعايتهم في الجامعة هو اعتقادهم أن الشعب ما زال يظلب عليه الدين .

كذلك فقد كتب (الشيخ رشيد) مقدمة كتاب الشيخ محمد عرفة « نقض مطاعن في القرآن الكريم » الذي فصل الرد على شبهات طه حسين . فقال السيد رشيد رضا : « حذق في صناعة الكتابة فكان ذا رشاقة وطلاقة وألف كتباً وأنشأ مقالات دس في بعضها سموم الإلحاد وفي بعض آخر مخدرات الإباحة والأغراء بالشهوات فنهد للرد عليه فريق من العلماء والأدباء . سر جميع أهل الغيرة على الدين بإخراجه من الجامعة واليوم يسمعون من الأزهر الشريف صوتاً جهورياً في نقض ما أذاعه مجلس النواب من طعن هذا الكاتب على القرآن العظيم ، هذه المطاعن التي ألقاها في دروسه كانت بعد تلك الكمه التي كانت سببها تحقيق النبية العامة معه في مطاعن كتابه في الشعر الجاهلي . وقال السيد رشيد : ان موقف الأوروبيين من الطعن في الإسلام مقيدة باعتبارين : ديني وسياسي ذلك أنهم راوا ان الإسلام قد غلب النصرانية على أمرها في الشرق وكاد يغلبها في الغرب أيضاً بعد اعتزاز دولها واستبحار ثروته كتناسها فلم يجدوا وسيلة لصد تياره من بلادهم وسلبه لمسلكتهم وتغريبه لشعوبهم إلى محاربتهم بالامتراء عليه والطعن فيه ، وقتال أهله بالسلاح ثم بالسياسة فأحكموا نظمهم الحريين بعد التمهيد لها بتربية الشعوب النصرانية على بغض المسلمين وتلقينهم في البيوت والمدارس أن الإسلام هو العدو الأكبر للمسيحية وما هو في الحقيقة إلا أخو المسيحية وصديقها والمدافع عن حقها والمتمم لأصلاحها والمبرر لنبيها من طعن المفتريين ومسطط المغالين .

وقوم آخرون راوا من معجزات القرآن ما أنزل عليه القرآن في العلم وهداية البشر وإصلاح شئونهم ما يلجئهم إلى الإيمان والأذعان أن لم يجدوا لهذه المعجزات تأويلاً ينظمونها به إلى سمط السنن الكونية فتكلفوا التأويل لها لإبطال كونها من خوارق العادات والآيات الإلهية فهذه أسباب طعن الإنرج ومريديهم وتلاميذهم من النصاري والملاحدة (م ١٩٣/٣٣) .

وعرض السيد رشيد رضا آراء الدكتور طه حسين في مسألة الحروف المفردة في أوائل السور فقال : ان هذه المسألة ما كان ينبغي لمسلم أن يقلد دعاة النصرانية في تشكيك طُلاب العلم في القرآن بها وجعلها من مباحث النقد التحليلي في الأدب كما فعل طه حسين وقد فسد الأستاذ الناقض لمطاعنه رايه فيه وذكرنا فيما علقنا عليه في حاشية ما سبقه اليه بعض المستشرقين وقال ان المختار عندنا في حكم افتتاح هذه السور (الم ص) وغيرها بأسماء وحروف ليس لها معنى مفهوم غير مسمى لتلك الحروف التي يتركب منها الكلام هو نبذ السامع الى ما يلقي اليه بعد ذلك الصوت من الكلام حتى لا يفوته منه شيء ، وانما خصصت سور معينة بهذا الضرب من الافتتاح لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتلوها على المشركين بمكة لدعوتهم الى الاسلام واثبات الوحي والنبوة وكلها مكية الا الزهراوين (البقرة وآل عمران) وقد علمت ان الدكتور طه حسين تكلم في القرآن بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ولا باخلاص في النقد التحليلي الذي يعلو القرآن على مدارك أهله وعقولهم وعلمهم باللغة والدين والشريعة ، واذا كان القرآن أصل الدين فلا ينبغي لمسلم أن يأخذ علم بلافته وآدابه ولا علم هدايته وتشريعته الا من خواص العلماء بتفسيره ويجب عليه أن يرجع اليهما لما عسى أن يقرأه أو يسمعه لغيرهم من نقد أو طعن أو رأى فيه يخفى عليه .

وقال : ان الأسلوب المصري في النقد الذي مرفنا بحسنه في جبلته فهو قديم أيضا وأول واضح لأصوله حكيمنا ابن خلدون وجرى عليه شيخنا الأستاذ الامام في رده على هانوتو وجرى عليه في مقالات الاسلام والنصرانية في العلم والمدنية ، أما ما يكتبه هذا الرجل وأمثاله في مسائل الأدب اللغوي والتاريخي فبمنه الصحيح المقبول ومنه الزائف المردود . (٢٠٧/٣٣) .

كذلك فقد كشف السيد رشيد رضا من أخطاء جرجي زيدان في رواياته وفي أبحاثه بما كتبه الأستاذ أحمد السكندري عن تاريخ آداب اللغة العربية وما كتبه السيد شبلى النعماني عن تاريخ التمدن الاسلامي ، اما هو فقد كان يعرض لروايات الهلال كلما صدرت حلقة منها .

فيقول في نقده لروايتي فتاة غسان وفتح الأندلس (م ٦/٣٩١) :

يحتج هؤلاء بأن في هذا القصص اغلاطا تاريخية حتى في الأمور المشهورة ومثل هذا لا يسلم منه كتاب منها قوله أن أمير العرب على فتح العراق هو سعد بن مالك وهو أغراب فقد كان يدعى سعد بن أبي وقاص وإن كان اسم أبيه مالكا .

ويعدون عليه مسائل كهذه جزئية منها ما يستند هو فيه إلى نقل صحيح كهذا أو ضعيف فمن الأول قوله أن أبا سفيان حيا هرقل بقوله : أبيات اللعن ، وهم ينكرون ذلك محتجين بأنها تحية الحميريين للملوك دون المضريين وله أن يحتج هو بإطلاق بعض علماء اللغة والتاريخ أنها تحية الملوك في الجاهلية .

ومن الثماني نص كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل فانه نقلها من الأغاني فقد أنقص منها قوله : يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) .

ولا شك أن المؤلف قصر في اعتياده على كتاب أدبي دون كتب الحديث وكتب السير في أهم شيء في موضوع قصته . كما ذكر في آخر الكتاب صورة خاتم النبي صلى الله عليه وسلم نقلا عن الواقدي وهي أن لفظ محمد في السطر الأول ولفظ رسول في السطر الأوسط ولفظ الجلالة (الله) في السطر الأدنى والمشهور العكس .

أما ما ذكره المؤلف من أبي سفيان مع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فابو سفيان لم يقله ولا هو ينقله عنه بالرواية وانما جمع المؤلف أقوالا من الكتب وألفها مع بعض آرائه وأسندها إلى أبي سفيان لأنهم يحبون ذلك في القصص لأن العبرة عندهم بالمسائل لا بالرواية وإن سمي أهل العربية هذه القصص روايات كذبا ومينا ، والمعروف في الصحيح أن أبا سفيان لم يتجاوز أجوبة أسئلة هرقل ومن المسائل الباطلة التي حكاه المؤلف عن أبي سفيان مسألة الغرائق رآها في الطبري منظمها في سلك الحكاية والسبب في ذلك اعتياد القوم على التساهل في النقل ويحسبون هذا التساهل هينا حتما في الأمور الدينية وهو عند الله عظيم .

— ٤٦٩ —

كما نقد قصة فتح الأندلس فقال : انتقد غيرنا من نبهاء المسلمين على هذه القصص . انها تصور للقارىء أن انتصار المسلمين في الفتوحات لم يكن الا لسبب ما ألم بالأمم التي فتحوا بلادها كالرومان والفرس والمصريين والبربر والقوط من فساد الأخلاق وهذا غلط لحقوق المسلمين وعدم اعتراف بشجاعتهم وعناية الله بهم وقد حمل المؤلف عليها التعصب الدينى .

وبالنسبة لرواية الحجاج بن يوسف يقول : وقد رأيت من المسلمين من يفتقد هذا الوضع من وجهتين : احدهما أن من شأن القصص أن تكون فيها أخبار كاذبة فيشتبه على القارىء الحق بالباطل ، وثانيهما : استغلال نسبة العشق والغرام الى رجال سلفنا الكرام وقد كان بعض المتقدمين كتب رأيه في جريدة المؤيد ورد عليه المؤلف بأن الحوادث الغرامية لم تستند الى أحد من رجال السلف العظام والأئمة الذين يجلون عن الاستغلال بغرام .

كما عرض لكتاب تاريخ التمدن الاسلامى الذى ألفه جرجى زيدان (م ١٤٩/٥١٤) وقد راجعته في كثير من آرائه التى انحرف فيها كما أنه أنسار الى أنه يضع أرقام توهم القارىء أن ذلك الأمر كله من ذلك الكتاب وربما كان المراد ببعضه وهناك أخطاء عن مال الزكاة في الخيل والصواب أنه لا زكاة فيها ومثل هذا القلط لا يسلم منه من يأخذ العلم الدينى من الكتب التاريخية من غير تلقى أحكامه من أهله .

وبالنسبة للجزء الثالث من كتاب التمدن الاسلامى أشار جرجى زيدان الى مسألة دينية تحت عنوان (المأمون والاعتزال) وهى مسألة الخلاف في القرآن هل هو مخلوق أم غير مخلوق ، فانه حرمها بظنه وقسرها برأيه حيث قال بعد أن نوه بفطنة المأمون وميله الى البحث العقلى ما نصه : (فتمكن من مذهب الاعتزال وأخذ يناصر أشباهه وصرح بالتوال لم يكونوا يستطيعون التصريح بها خوفا من غضب الفقهاء ومن جعلتها القول بخلق القرآن أى أنه غير منزل) فنستلفت نظرك الى قوله : أنه غير منزل بل الى الكتاب كله وقوله ان الاسلام نهضة عربية ولذلك أمر عمر بن الخطاب باخراج غير المسلمين من جزيرة العرب ويقول ان هذا غلط سرى للمؤلف من استعمال الأجانب له من عهد بعيد فاطلقه والصواب أن المسلمين في صدر الاسلام كانوا يطلقون كلمة العرب أحيانا في مقابلة المسلمين فيعنون بهم

المشركين ولم يكن اللفظان مترادفين عند المسلمين في وقت ما على الإطلاق بل كانوا يطلقون لفظ المسلم والمسلمين على كل من دخل في الاسلام واذا اطلق على العرب خاصة كان تجوزا بصرف القرينة ولم يخرج من غير المسلمين من الجزيرة اجتهدا منه لهذا بل عملا بأمر النبي صلى الله عليه وسلم فقد أوصى بذلك في مرض موته .

وكذلك فقد حاول القول بأن القرآن دعا الى سيادة العرب ، قال رشيد رضا : ليس فيه ما يدل على أن العرب يجب أن يكونوا ممتازين على غيرهم بل يقول :

(يا ايها الناس انا خلقناكم من نكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) نعم ان تأثير العرب له تأييد لهم اذ لولاه لم يخرجوا من ظلمة جاهليتهم ولكن فتح بلاد الروم والفرس لم يزد الصحابة اعتقاداً بما ذكره .

ونظرا لظروف اشتراك السوريين النصاري في العمل الصحفي فقد كان الشيخ رشيد حريصا على مجاملتهم خاصة صاحب الهلال وصاحب الأهرام ، ومن أجل ذلك نشر مقالات النقد لكتاب التمدن الاسلامي التي بعث بها السيد شبلي النعماني واعتذر بأنه كان غائبا في الهند ايان نشرها وانه لو كان حاضرا لأزال منها بعض العبارات غير أنه بعد أن توفي جرجي زيدان كاشف قراءه بحقيقة الرجل فقال :

« ظهر بعد الانقلاب العثماني نزعة جديدة تقذفها نزعة مبركة احياء لذهب الشعوبية ذلك بلنه - أي جرجي زيدان - زار الاستتانة ولقى فيها بعض زعماء جمعية الاتحاد والترقي ثم عباد متشعبا بالنهضة التركية مستفكرا مجاراة العرب لآخوانهم الترك بالقيام بنهضة عربية مستصويا خطة الاتحاديين الأولى في تحريك العناصر وادغام العرب في الترك وقد كتب في الهلال ما يشعر بهذه النزعة فهاج عليه قراءه . وقال ان لجرجي زيدان مطاعن في العرب وأودمها في تاريخ التمدن الاسلامي فطن لها أخيرا من لم يكن يحفل بها وزادهم التفتتا اليها ترجمة جريدة (اقدام) التركية لتاريخ التمدن الاسلامي ونشره بالتتابع .

- ١٧١ -

- ٥ -

كذلك فقد واجه السيد رشيد رضا الدعوى الى القاديانية والبهائية وكشف في فصول متعددة على سنوات متصلة أخطار هاتين النحلتين ولقد اتصل الحديث عن القاديانية منذ المجلد الثالث من المنار حتى المجلد الواحد والثلاثين :

فقد كشف أن غلام أحمد القاديانى رجل مضلل ادعى أنه هو المسيح عيسى بن مريم وأن الله تعالى قد أوحى اليه بذلك وقد نسخ من أحكام الشريعة الجهاد وكان يستدل على صدق دعوته بتقصيدة نظمها وادعى أنها معجزة كالقرآن ويكتاب في تفسير الفاتحة سماه اعجاز أحمدى واكثره لغو لا يفهم واستنباط معان لا تدل عليها الالفاظ بحقيقتها وقد رد عليه علماء الهند وفندوا دعوته وقد مرن أتباعه على المناظرة والجسد وانصرفوا الى دموة الأسر في الهند وانكلترا والولايات المتحدة (م ٣) .

وفي فصل آخر مطول تحت عنوان (المسيحية الاسلامية القاديانية الملقبة بالأحمدية) يقول : ظهرت بدعة القاديانية في مصر بعد أن كانت محصورة في الهند فصارت كالبهائية ذات دعاة وأتباع يثبون تعاليمها في رسائل يطبعونها ويوزعونها وقد ادعى غلام أحمد القاديانى في الهند أنه المسيح المنتظر وأن الوهى نزل عليه بذلك وقد ردنا عليه في عصره .
وضلل كثير من المسلمين بدعوى البهائية والقاديانية فلهذا كانت الدولة البريطانية مؤيدة ومساعدة لهما في الهند وإيران ولسطین ومصر وكلهم مخلصون لها مؤيدون لسياستها . وقد نسخ وجوب الجهاد ثم علمنا أنهم يدمون باستمرار الوهى والنبوة في أتباعه أى في زعيم القاديانية بعده ميزا بشر الدين محمود أحمد زعيم الحركة الأحمدية (م ٥٧٨/٤) .

وجاود السيد رشيد رضا الحديث عن القاديانية فاشار في المجلد ٣١/٣٩١ أنه قد طبع في سوريا رسائل متعددة في الدعوة الى نحلتهم فانخدع بها شباب دمشق عنده هوس اسمه منير الحصنى جاء مصر متبنيا لو يلتاقا لتكلم معه . وأشار الى أن أخطر ما يدعو اليه مسيح الهند القاديانى الدجال : نسخ الجهاد وخدمه للانجليز وادعاء النبوة وقد خالف القاديانيون في ذلك اجماع المسلمين فيها هو قطعى معلوم من دين الاسلام بالضرورة فخرجوا بذلك من الملة الاسلامية ، وقال ان أخطرها مسألة نسخ الجهاد

وما فيها من اطراء الانجليز بالمدح والحكم بوجوب شكرهم على حماية المسلمين
وتحريم جهادهم ومن قوله أن الجهاد انقطع بطبعه بظهور المسيح اذ زالت
غربة الاسلام وضعفه وانتصر اهله على النصارى .

وأولى السيد رشيد رضا اهتماما بالغا للبهائية فقد استكشفها في
مطالعها الأولى ١٨٩٩ وتحدث في السنوات التالية عن البابية فقال انهم قوم
ارتدوا عن الاسلام واحذوا لأنفسهم ديناً وضعياً مؤلفاً من أمشاج الوثنية
والمدنية وهم يستخفون به ويظهرون من مظاهر النفاق ليتمكنوا من تشكيك
كل أهل دين في دينهم ولا يزال دينهم سرىا ولذلك يتمكنون من مخادعة أهل
دين ولاقناعهم بأنهم منهم ولكنهم يريدون اصلاحهم ولا يطلعون أحداً على
كتبهم الأساسية (م ٢٣٢/٦) .

وواصل السيد رشيد رضا مواجهة البابية والبهائية بعد أن كشف
عن البابية وزيف دعواها في مقالات متعددة متصلة في المجلد السابع
(٣٥٣/٣٤٤/٣٣٨) فقد أورد أقوالاً للباب التي يدعى أنها منزلة ليحكموا
حكماً صحيحاً . ولما كانت البابية هي باب البهائية فقد أخذ يكشف زيف
البهائية والاعتقاد بربوبية والوهية البهاء وأنه هو الذى بعث الأنبياء
والرسل وقد ظهرت البابية والبهائية في إيران .

وأشار الى كتاب تاريخ البابية ومفتاح باب الأبواب لمؤلفه ميرزا محمد
مهدي خان كما عرض تاريخ البابية ومناظرات العلماء للباب (ميرزا على
محمد الشيرازى) الى أن قتل ثم ذكر مزاعم البابية وما جرى لأصحابه من
بعده من الفتن والتفرق والنفى ، الى أن قام منهم حسن على الملقب بالبهاء
واستمال أكثرهم ونجح لهم دين الباب وادعى أنه الأصل .

ثم جدد السيد رشيد رضا دعوته في المجلد الثالث عشر فقال : ان
هؤلاء الباطنية قد قصدوا من وضع تعاليمهم الأولى محو الاسلام . وإزالة
سلطانه من الأرض ، وضعها بعض مجوس الفرس لما فتح المسلمون بلادهم
وأزالوا ملكهم واستعاضوا عليها بالشيعة وهم حزب سياسى يرى أن الحكومة
يجب أن تكون (أرستقراطية) للإشراف من آل بيت النبى صلى الله عليه

وسلم فصاروا يبنون دعوتهم في هذا الحزب لحمله على الغلو في بغض
 عمر بن الخطاب (الذي فتح بلادهم) وأبى بكر وجهور الصحابة الذين
 كانوا أقرب الى القول بحكومة الشعب (الديمقراطية) وتمد وجد هذان
 الحزبان في الاسلام ووجد فيهم حزب الفوضوية أيضا وهم الخوارج كما
 وجد ذلك عند غيرهم . وخلق الغلو طبعى في البشر ، ولذلك نجح الباطنية
 في دعوة غلاة الشيعة الى تكثير جماهير الصحابة ورميهم بكتمان بعض
 القرآن ولم يدروا أن ذلك يعد طعنا في أئمة آل البيت الذين يتعصبون
 لهم لأن رئيسهم عليا كرم الله وجهه كان يحفظ القرآن كله فلماذا لم يظهر
 المكثوم على أنه كان يمكن أن يثبت ذلك سرا في أهل بيته وأشار الى أن غرض
 الباطنية اخراج الشيعة من الاسلام ، ولما ظهر غلاة المتصوفة توسل
 الباطنية بهم الى مقصدهم أيضا فأضلوا كثيرا من الناس ولكن الاسلام ظل
 غالبا على أمره في الصوفية أيضا إلا أن كان من أنصار الباطنية .

وقال انهم يعبدون البهاء عبادة حقيقية ويدعون بالوحيته وربوبيته
 ولهم شريعة خاصة بهم ، وقد جاء الاسكندرية ١٩١٠ وهاجم المؤيد الذي
 تحدث عنه بتقدير كأنه مصلح عظيم .

وفي المجلد الرابع عشر واصل السيد رشيد رضا حديثه عن البهائية
 فقال ان الباطنية هم سلف البهائية وأشار الى عباس أفندي وسعيه الى
 نشر البهائية في أمريكا وكان سبب دخول الملايين في هذا الدين وقال أنه
 أجرى مع داعيتهم مناظرات متعددة وثبت عندي أنهم من الباطنية الذين
 كانوا يظهرون للمسلمين وكذا لغيرهم أنهم منهم وعلى ملتهم ، هؤلاء البهائية
 اذا دعوا النصارى في أمريكا مثلا الى نحلتهم قالوا لهم انا نصارى مثلهم
 نؤمن بالوحيه المسيح وبمجيئه يوم الدينونة وقد جاء المسيح كما وعد في
 ناسوت البهائية وكذلك يقولون للمسلمين انا معكم ونطلب اصلاح حالكم
 باتباع المهدي المنتظر والمسيح الموعود بل يقولون ان دين برهما ودين
 زردشت حق وان ربنا وربكم هو البهاء أو بهاء الله دفين عكا في بلاد الشام
 ولا يفصحون عن عقيدتهم كلها لأحد دفعة واحدة وانما يرتفعون به درجة
 بعد أخرى وقد وضع سلفهم هذه الدرجات وجروا عليها وقتلهم المانسون

فَهِمَا (اى الدرجات فقط) وتصارى دعوتهم الرجوع الى نوع من الوثنية ملون بلون جديد من ألوانها .

ويقول السيد رشيد رضا : اذا كان عباس افندى مسلما فليكتب لنا مقالة ينص بالنص الصريح على أن سيدنا محمد بن عبد الله هو خاتم النبيين والمرسلين ولا دين بعد دينه ولا شرع ينسخ شرعه وأن القرآن هو آخر كتب الله ووحيه لأتبيائه ورسله وأن معانيه الصحيحة هي ما دلت عليه مفرداته وأساليبه العربية . نكتفى منه بهذا ولا نكلفه أن يثبرا مما سمعناه من أتباعه في القول بالوهمية والده ونسخ للشرعية الإسلامية كجمل الصلوات اثنين بدل خمس بكيفية غير كيفية صلاة المسلمين وأن كان لا يكتب من تلقاء نفسه فائنا نكتب له أسئلة ونطالبه بالجواب عليها .

وفي معرض الحديث أورد نصا للشهرستاني تحت عنوان الاسماهيية في دين الباطنية الاسماعيلية الذين كانوا يخادعون الناس زاعمين أنهم مذهب اسلامي وان أهلهم هم الفرقة الناجية وكانوا يستخرجون الضعفاء بهذه السببسة الموهبة ويستدلونهم بما يحملون اليهم من حجج العقل فيستخدوهم به من العقل ويسترضونهم بالخضوع الاعى لكل ما ينقلونه من امامهم وقد هدم سببهم العلماء الاعلام كالفزالي في كتابه القسسسطاس المستقيم وغيره .

وأشار السيد رشيد في المجلد الخامس عشر (٢٢٣ / ٧٣١ / ٩٠١) الى كتاب جديد صدر بعنوان (الحراب في صدر البهاء والباب) ل محمد فاضل كتبه بعد مجيء عباس افندى زعيم البهائية الى القطر المصري كشف فيها عن زيف هذه النحلة وواصل صاحب المنار حملته عاما بعد عام ففي المجلد ٧٠٨ / ٣٣ أشار الى « هذا الدين الجديد الذي هو طور عصرى لضلال الباطنية القديم » وكان عباس افندى أوهى مؤسسيه وناشريه حتى انه حظر الى اليوم اظهار كتابهم الذي يسمونه (الكتاب الاقدس) لأنه اذا تناولته الأيدي يتهدر نشر الدعوة في كل شعب وقطر بما يناسب افكار أهله وعقائدهم ومشاربهم وقد خدع كثير من عقلاء المسلمين واذكيائهم بشنائقهم ودهاء عباس افندى الذي كان يدمى أنه من المستعظمين المصلحين

— ١٧٥ —

فانخدع غيرهم لهم . وان منهم (احمد صفوت) الذى اقترح على المسلمين
هدم نصوص القرآن والسنة والاجماع والاخذ بمقاصد القرآن دون دلالة
ليظه في الأحكام .

ولم يتوقف السيد رشيد رضا عن مهاجمة كل منحرف في هذا الطريق
ومن هؤلاء الشيخ محمد الوزير الذى ألف كتابا جدد فيه معجزات الرسل
عليهم السلام وحاول تفسير القرآن بالقرآن دون اللغة والسنة ، وأباح
مخالفة الرسول بحض الرأى وتقرير النزعة المادية في انكار ما وراء المادة
المحركة بالحس ، (م ٣١) .

الفصل السادس

شبهات التبشير والتشكيك في حقائق الاسلام

لقد اقتحم السيد رشيد رضا في نطاق دعوته الى الاصلاح وتحريم العقيدة الاسلامية من زيف الجمود والدعوات الهدامة ، هذا المجال الجديد في الدعوة الاسلامية في العصر الحديث ويمكن القول بأنه من رواد مقارنات الأديان التي بداها تحت تأثير التحدى الخطير الذي وجهته كتابات المبشرين في الهجوم على الاسلام ، فكان لابد من تعرض واضح للكتب القديمة والكشف عن أخطائها من خلال كتابات الغربيين أنفسهم عنها ومن أقلام أناس اهتموا الى الاسلام حديثا وكان لهم المام بهذه الكتب وما تحويه وقد صادف ذلك الوقت الذي بدأت فيه أوروبا تهاجم الكتب القديمة وتعرضها على المنهج العلمى الحديث وتتهمها بأنها بشرية وأنها ليست منزلة كذلك اتسع نطاق البحث بعد أن كشفت الكنيسة الكاثوليكية عن مخططاتها في التبشير والتبصير بين المسلمين على طول هذه المنطقة من جأوة الى الجزيرة العربية . كذلك فقد استعلن الحق عندما عثر على انجيل برنابا الذى كتبه أحد حوارى السيد المسيح والذى أنكرته المجامع المقدسة لأنه يكشف حقيقة واضحة هو أن السيد المسيح نبى مرسل وليس الها . كل هذا ، عنى السيد رشيد رضا به وتابعه في جدارة وبراعة خلال حياته كلها .

ولقد واجه السيد رشيد رضا هذه المعركة بنكاء وحكمة شديدين ، ذلك أنه في نفس الوقت الذى كانت قوى الاستعمار توجه حملات التبشير الى بلاد المسلمين كان هناك في أوروبا زلزال يواجه النصرانية وتتكشف أبحاث علماء اللاهوت على حقائق جديدة بالنسبة للكتب المقدسة ، وللتوراة والانجيل ، كما ظهرت في نفس الوقت آراء لاعلام أمثال تولستوى عن حقيقة الانجيل كذلك لقد أعلن لكثير من المفكرين الغربيين موقفهم من الاسلام أمثال اللورد هدى وعبد الكريم جوصو فكان ذلك كله من العناصر التى آزرت الشيخ في دعوته ورجحت كفته .

- ١٧٧ -

تحدث المنار عن التبشير الغربى لأول مرة فى المجلد الثالث (١٩٠٠)
وأشار الى مقال نشر فى المؤيد عن انتشار النصرانية فى أفريقيا وما يتصل
بمهمة المبشرين المسيحيين الى مستعمرة السنغال ومستعمرة الكونغو
البلجيكية وأوغندا ، (كاثوليك وبروتستانت) ثم توالى الأحداث فنشرت
الجمعية الانجليزية المكلفة بالدعوة الى النصرانية كتابا أطلقت عليه
« تنوير الافهام فى مصادر الاسلام » .

سلك الكتاب فى الرد على الاسلام المسلك الذى جرى عليه بعض
علماء أوروبا فى هدم الديانتين اليهودية والنصرانية اذ ألغوا كتباً بينها
مصادر كتب العهد العتيق المسمى بالتوراة وكتب العهد الجديد المسمى
بالانجيل أو الاناجيل ورسائل الرسل .. وقد بين العلماء مصادر اليهودية
والنصرانية وبينوا بالدلائل التاريخية والأثرية واللغوية مصدر عقائد هذه
الكتب وماخذ أحكامها من ديانات الأولين وتقاليدهم وأثبتوا أن الأسفار
النسوبة الى موسى قد كتبت من بعده ، كذلك سائر الأسفار قد كتبت
بعد من نسبت اليهم .

وأشار الى أن شريعة حمورابى قد ظهر أن معظم التوراة الحاضرة
مأخوذة منها ، وقال أنهم أرادوا أن يحاربوا الاسلام بالسلاح الذى حاربوا به
فقد أخذ مؤلف الكتاب الفاظاً وردت فى الكتاب والسنة مما كان مستعملاً
عند العرب أو غيرهم من الأمم والفاظاً أعجمية أخرى ولكن لم يعرف أن العرب
نقلوها عنها وجعلوا هذه وتلك دلائل على أن دين الاسلام نفسه مأخوذ
من الأمم التى وجد فى الفكر العربى ما هو معرب عنها أو يشبهه أن يكون
معرباً ، ومن ذلك زعمه أن الاسلام أخذ حكم توحيد الله تعالى عن العرب
لأنه ورد اسم « الله » واسم « الاله » فى أسفارهم قبل البعثة ، فقد جهل
المؤلف المسكين أن كل الأمم تعتقد بالله تعالى ولكنها تشرك به وتزعم أن له
أبناءً أولياء يعمل بواسطتهم فهو غير مستقل بإرادته تمام الاستقلال
ولا يقدر أن يفكر خطيئة آدم مثلاً بدون خطيئة صلب المسيح .

وقال السيد رشيد رضا : أن الكلمة التى أهدم بها هذا الكتاب
هى أن محمد النبى الأمى بعث ليهدى الناس الى صراط الفطرة السليمة
باصلاح ما افسدوا من دين الانبياء واقامة الدين على أسس الاستقلال

- ١٧٨ -

والعلم دون التقليد للرؤساء . وهذا الكتاب يثبت للنبي الأُمى الاطلاع على جميع اديان الأمم وتقاليدها وعاداتها ولغاتها واستخراج قواعد الاسلام واحكامه منها (م ١٠١/٧) .

٢ - وأشار الى ما نشرته صحيفة كبرى لأحد المشتغلين بقراءة الكتب التى نشرتها البعثات النصرانية فى الطعن بدين الاسلام يسأل فيها كاتبها كشف شبهات علفت فى ذهنه من مطالعة تلك الكتب ، يقول السيد رشيد رضا : ومن الواجب أن نجيب عن هذه الشبهات لأن المدافعة عن الدين أهم ما أنشئ له المنار ، ولكن سنتنا التى جرينا عليها من أول يوم هى مسألة المخالفين لنا فى الدين ولاسيما المسيحيين بل السعى لازالة الاحقاد والاتفاق على ما فيه نجاح البلاد ونود ألا يطعن أحد فى دين الآخر لا قولاً ولا عملاً ولا كتابة ، ولكن المسيحيين لا يوافقوننا على هذا كما يوافقنا المسلمون ولذلك نراهم يعقدون الجمعيات للطعن اللسانى فى الاسلام وينشر فى الجرائد (كراية صهيون) ويؤلفون الكتب للطعن الكتابى وائتسانصبر على هذا المعتدى ونكتفى بكشف شبهات السائلين من أهل ديتنا مع مراعاة الأدب فنقول : المطالع لكتب المسيحيين كيف اكتفى بمطالعتها من غير أن يطالع الكتب الاسلامية التى يقابلها بالمثل وتدفع شبهاتها وردت عليها ما لا دافع له ككتاب (اظهار الحق) وكتاب (السيف الصقيل) وغيرها ، على أن يطالع تلك الكتب ويعد مطالعتها يقوم بالموازنة بينها .

وشبهاته تنقسم الى ثلاثة أقسام :

١ - مخالفة بعض نصوص الدين الاسلامى لما ورد فى كتب اليهود والنصارى .

٢ - ورود أشياء فى القرآن لم ترد فى تلك الكتب .

٣ - ورود أشياء فى الكتاب والسنة مخالفة للواقعة والتى تثبت فى العلوم الحديثة بزعم من تلقى عنهم .

والتوراة التى يشهد لها القرآن هى كتاب شريعة وأحكام لا كتاب تاريخ مقتبس من ميثولوجيا الاشوريين والكلدانيين وغيرهم فيتأتى بتكذيب علم الجيولوجيا وعلم الآثار العادية له أو موافقة هذا لبعض ما ورد فيه ما لا يلقى نسبته الى الله كقوله : انه تعالى ندم على خلق الانسان ، فالتوراة

- ١٧٩ -

حقّ وهى الشرائع والأحكام التى كان يحكم بها موسى ومن بعده أنبياء بنى اسرائيل عليهم السلام وأحبارهم ، ولم يشهد القرآن لهذه الكتب الكثيرة التاريخية التى منها ما لم يعلم مؤلفه وكلها كتبت بعد موسى صاحب التوراة بزمان طويل وبهذا تصح شهادة القرآن وتبطل أسئلة المشتبه فى الخلاف التاريخى من القرآن وكتاب حزقيال وأشعيا ودانيال لأن هذه الكتب لم يشهد لها القرآن ولا تقتن بسمة القدم لجميع كتب العهد بالتوراة فذلك اصطلاح جرى فى سبيل التغليب بل اننا نرى من النصارى كثيرا ما يسمون مجموع كتب العهدين العتيق والجديد التوراة عندما تكون مجمعة .

أما الانجيل فهو فى اعتقاد المسلمين ما أوحاه الله تعالى الى السيد المسيح عليه الصلاة والسلام من المواعظ والأحكام والحكم وكان يعظ به ويعلم الناس ، وما زاد على ذلك من هذه الكتب التى يسمونها فهو فى نظر المسلمين من التاريخ أن كان خبرا وان حكما أو عقيدة فهو لمن قاله والنصارى يسمون مجموع كتب العهد الجديد انجيلا ويعترفون بأنها كتبت بعد المسيح بأزمنة مختلفة . والقرآن يشهد على النصارى بأنهم لم يحتفظوا بجميع ما وعظهم به المسيح من الوحي المسمى بالانجيل حيث قال : « ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به » والانجيل يطلق على بعض ذلك الوحي لما يطلق لفظ القرآن أو قرآن على بعضه .

(م ١٧٩/٤)

٣ - ولم يلبث السيد رشيد رضا أن كشف عن مواجهات للنصرانية فى أوربا فكتب تحت عنوان زلزال النصرانية فى أوربا (م ٩٤/٦) مقال :

أنس النصارى واليهود بما فى كتبهم من الدلائل على عدم الثقة ، بنقل التوراة والانجيل ، وكابروا أنفسهم والناس بدعوى تواترهما مع أن شرط التواتر أن ينتهى سند الرواة الذى يسجل تواترهما على الكذب لكثرتهم الى ما جاء بالكتاب كان ينتهى تواتر التوراة الى موسى نفسه لا الى عزرا الذى لا يعلم أحد من أين جاء بما جاء به . ولكن القيامة قائمة فى أوربا لاكتشاف شريعة حمورابى (ملكى صادق) وبيان أنها توافق هذه التوراة فى أحكامها وتخالفها بعض المخالفة فى تاريخها لأنهم لم يرو محللا فى هذا للمكبرة والمواربة . خطب العلامة اللاهوتى الأثرى (دليش) خطبة

- ٦٨٠ -

مطولة في برلين حضرها قيصر الألمان وقال في خطبته على رموس الأشهاد ان شرائع التوراة منقولة عن الشرائع الباهلية وليست وحيا من الله واستنتج من ذلك أنه لا حاجة الى دين وراء وجدان الخير المغروس في الفطرة . وقد فزع هذا العالم النصراني بهذه القارعة في ذلك الملأ العظيم متزلزلت هي ولم تزلزل مكثد من نفوس القوم ، وقد عجب الناس أن رأوا غليوم الثاني الذي اقام أوروبا واقعتها ثم دعى الى محاربة الصين ، يلاطف عالما لاهوتيا اثريا بعد أن قضى على هذا الدين القضاء المبرم . بعد هذا اجتمع القيصرون بهذا الخطيب ليضع للنصرانية مذهباً جديداً يستبقى به كونها الهة سياسية تنتفع بها أوروبا في مقاومة الشرق ، ذلك أنه رأى أن يخطو في هذا السبيل خطوة بعد خطوة وان يختص بهذه الآراء رضفاه اللاهوتيين ويودعها كتبهم . وقال السيد رشيد رضا انه (أى الامبراطور) لا يعتد بلاهوت المسيح ويرى أن ليس في التوراة شيء من الوحي والنبوة عن يسوع انه المسيح وقال : ان محمد رسول الله الذى جاء من الله تعالى بعلوم وعمل بعناية الله تعالى اعمالا لم يسبق ما يقاربها لغيره ولن يلحقه بما يقارنها غيره فشريعته اعدل من شريعة التوراة ولا يمكن أن يوجد اكتشاف يظهر أنها مستقاة من شريعة أخرى والوحدة التى كونها بنفسه أحوج الى المعونة الالهية المحضة من الوحدة التى كونها بسمارك وغليوم الاول .

٤ - وتابع السيد رشيد رضا ما ينشر في الغرب من دراسات للاستفادة بها في دفاعه وفي تأييد ما جاء به القرآن من فساد نسبة التوراة التى في أيدي الناس الى الوحي ، ومن ذلك ما ذكر من أن الكلمات التى ما زجت لفة هذه الكتب العبرية لم تكن معروفة على عهد موسى عليه السلام واستنتج من مباحثه أن هذه الكتب اللفت بعد أن سبى البابليون بنى اسرائيل بأزمة مختلفة بعد هذا ظهر من علماء الألمان نبأ أخطر من هذا وهو أنه وجد في الآثار التى اكتشفت الى عهد قريب في خرائب سوس من بلاد بابل شريعة حمورابى أو ملكى صادق منقوشة على عمود حلم الصفا (الصوان) .
(م ٦ / ٩١)

وكان قد تناول هذا في المجلد الرابع وأضاف الى هذا ما ذكره صاحب كتاب (بسلاطة الأدلة السنية على صسندق الديانة المسيحية) جرح يفقدها

وانقطاع عبادة الله الحقيقية بين الاسرائيليين في مدة تلك منسأ وآمون ؄
وقال الأمر مستحيل أن ينل نسخ موسى الأصلية في الوجود الى الآن
ولا يعلم ماذا كان من أمرها والمرجح أنها فقدت مع التابوت لما ضرب
بختنصر الهيكل .

ومن مجموع ما كتب في هذا الشأن يمكن تقرير النقاط الآتية :

خلاصة ما يقوله علماء أوربا هو أن شريعة حمورابى التى وجد أنها
توافق التوراة في أحكامها وتخالفها بعض المخالفة ، هذه هى التى نقلها
إبراهيم عليه السلام من بابل الى فلسطين عند قدومه إليها ، وأن موسى قد
أقتبس منها كل ما رآه يصلح لسياسة بنى إسرائيل وبذلك تكون الشريعة
التي يفخر اليهود والنصارى بأنها الهية ، مقتبسة من الشرائع الوثنية ويكون
موسى مزورا بادعاء أنها أوحيت إليه من الله . (حاشاه حاشاه) .

ويعلق السيد رشيد رضا على هذا فيقول : أن هذه التوراة لا خلاف
ولا نزاع بين أهل الكتاب في أن التوراة التى لقنها موسى عليه السلام قد
فقدت ثم وجد عندهم غيرها والأخبار في ذلك معاه ، يستدلون على أن عزرا
كتب التوراة بعد فقدما لما أذن لهم ملك بابل ارتجسنا بالعودة الى بلادهم
أمر كاهنهم عزرا أن يضع لهم قضاة وحكاما يعملون بشريعته وقد كتب لهم
عزرا هذه التوراة الحاضرة وأودعها ما كان لا يزال يحفظه من وصايا
الرب وأضاف إليه ما حفظه من شريعة الملك مجاءت هذه التوراة مزيجا من
الشريعتين كما تبين الاكتشافات الجديدة وكتب العهد العتيق الذى يسمون
مجموعها التوراة تؤيد كون الاسفار الخمسة المنسوبة لموسى قد كتبت بعده
بزمن طويل .

ه — كذلك معد نشر المنار مقدمة كتاب الأنجيل للفليموف تولستوى
(م ٢٢٦/٦) وقال أن تولستوى ألف كتابا أرجع فيه الأنجيل الأربعة الى
انجيل واحد حذف منها ما لا يوثق به من الأقوال التاريخية والخوارق
الكونية .

كما أشار الى مناظرة عالم مسلم لدعاة البروتستانت في بغداد (السيد
هبة الدين صاحب مجلة العلم في النجف) حول قضايا عديدة منها تقديس
الانجيل والمسيح النبى ، ورجعة المسيح ونزول عيسى .

- ١٨٩ -

كما نشرت المنار مذكرة عن أعمال المبشرين في السودان ومساعدة الحكومة الانجليزية لهم وقد جاء فيها ان المبشرين يعمدون في حمل الاهالى الى ارسال اولادهم الى مدارسهم الى الآباء والتودد اليهم واعطائهم الطعام والامثلة ، ويعلم المبشرون في مدارسهم اصول الدين المسيحى والقراءة والكتابة وبعض العلوم الضرورية .

٦ - في هذه المرحلة كان الدكتور محمد توفيق صدقى الطبيب الذى دخل في الاسلام قد بدأ ينشر في المنار جملة مقالات مستفيضة حول القضايا المثارة وموقف الاسلام منها تحت عنوان [الدين في نظر العقل الصحيح] (المجلد الثامن) من المنار وقد تناولت هذه الفصول شبهات الماديين وشبهات النصراني وتضايا النبوة ومسائل مختلفة حول السيدة مريم أخت هارون والسامري ، وآزر أبو ابراهيم وجبل الجودى ..

كذلك فقد بدأ السيد رشيد ينشر فصول انجيل برنابا التى طبعها في كتاب مستقل بمقدمة قال فيها (م ١١) :

نرى مؤرخى النصرانية قد أجمعوا على أنه كان في القرون الأولى للمسيح أنجيل كثيرة وان رجال الكنيسة قد اختاروا منها أربعة أنجيل ومن الاناجيل المرفوضة : انجيل برنابا وبرنابا حوارى من انصار المسيح الذى يلقبهم رجال الكنيسة بالرسول صحبه بولس زمانا بل كان هو الذى عرف التلاميذ ببولس بعدما اهدى ورجع الى اورشليم ومقدمة الانجيل قاطعة بأن بولس انفرد بتعليم جديد مخالف لما تلقاه الحواريون عن المسيح لكن تعاليمه هى التى غلبت وانتشرت واشتهرت وصارت عماد النصرانية ويذهب بعض علماء الافرنج الى أن أنجيل مرقس وانجيل يوحنا من وضعه كما في دائرة المعارف الفرنسية .

وأشار السيد رشيد رضا الى أن تولستوى كان يتطلع الى ظهور انجيل برنابا وأشار اليه في كتابه فقال أنه من تلك الاناجيل الى رفضتها الكنيسة وقد بقى تحت حجاب الخفاء حتى لم يطلع عليه الا بعض الباحثين من العلماء وان هؤلاء الباحثون لا يصدهم شيء عن احياء الآثار القديمة وهم يتوقون الظفر بنسخ من هذا الانجيل لينشروها بين الناس .. »

— ١٨٤ —

وقد ظفروا بنسخة باللغة الإيطالية كانت قد سرقت من مكتبة
الفاتيكان (م ٣٨٥/١٠) .

٧ — ويتابع المنار حملته في مجال ارساليات التبشير فينشر فصول
الكتاب الخطير الذى عثر عليه السيد محب الدين الخطيب وأذاعه في جريدة
المؤيد سنة ١٩١٢ وهو الكتاب الأشهر (الغارة على العالم الاسلامى) أو
فتح العالم الاسلامى ، يتحدث عن جهود جهنيات التبشير الكاثوليكية
والبروتستانتية في مصر والهند والبحرين ، غريبتها المؤيد عن مجلة العالم
الاسلامى التى تصدرها في فرنسا (الارسالية العلمية المراكشية) وكانت
هذه المجلة قد أنشئت منذ خمس سنين وبعد احتلال مراكش ودخول بلاد
مارس تحت النفوذ الروسى الانجليزى واعتداء إيطاليا على طرابلس المغرب
ظهرت بمظهر جديد تجلت فيه خطتها في التوسل بالعلم الى المقاصد
السياسية والدينية ، ويرأس تحريرها المسيو ثباتيه ويكتب فيها لويس
ماسنيون المستشرق الذى اقام في بغداد سنين عديدة وكان في مصر منذ
سنتين وقد كان لنشر هذا الكتاب في المنار بعد المؤيد اثر كبير ولا يزال
(م ١٥) .

وفي مواجهة هذا أخذ ينشر الدكتور محمد توفيق صدقى صفحات تحت
عنوان بشارت عيسى ومحمد في العهدين العتيق والجديد بها حديث طويل عن
اليهود والنسبى البابلى وفساد اليهودية للمسيحية وتحريف كتب النصارى
والتثليث . وابطال ما يستدل به النصارى على الوهية المسيح في العهد
القديم .

كما نشرت حديث طويل عن الاناجيل وبشارتها بتبينا وعن لفهمنا
ونسخها القديم وغلطها وتحريفها ، كما عرض المنار للرد على كتابات
المبشرين والمستشرقين في قولهم بأن القرآن ليس سوى مجموعة اقوال
مقتبسة من التوراة والانجيل وبعض تعاليم المجوس بقلم هنرى جونسون ،
يدعو قومه الى مقاومة كل تعليم دينى على القرآن لئلا يرتقى المسلمون به
فيخرجون من العبودية التى يريداهم .

ونشر المنار فصولا أخرى منها دخول عبد الكريم يوسف جومو
الفرنسى في الاسلام وتآليف كتابه الذى تترل مقدمته :

« وجدت في الاسلام دينا سمحا سهلا المأخذ بين العقيدة واضح
انبرهان مجردا من الغموض لا يفتقر اتباعه في عبادة خالقهم الى واسطة
فارتضىته لنفسى والحمد لله فقد مكثت عشرين سنة أبحث عن الدين الحق
لأكون من شيعته (م ١٧/٢٣١) .»

وأورد السيد رشيد رضا عرضا لكتاب سلامة موسى (نشوء فكرة
الله) عن خلاصة كتاب لجرائت أشار اليه الكاتب الانجليزي فقال : شاب قبطي
الجنس مادي الاعتقاد يعنى بانقناع الناس بأن الأديان أوضاع مخترعة
ينبغي لهم تركها والعمل بقواعد الانتخاب الطبيعي وأصول الاشتراكية وهي
من آراء غلاة المادية من الأفرنج أن يعمل الأقوياء باهلاك الضعفاء ومنعهم
من الزواج وقد أثار هذا الكتاب جدلا شديدا وكتبت عنه جريدة مصر القبطية
بحثا تم رد عليهم السيد رشيد رضا مطولا (م ١٧/٢٣٢/٤٧٨) .

٩ — وعرض المنار لما أشار اليه الباحثان الأوربيان : جورج سيسيل
والكروخراميين والنريينيين في ترجمة القرآن الشريف وغيرهم من اقدم فرق
النصارى الذى قالوا ان المسيح نفسه لم يصلب وانما صلب واحد آخر من
تلاميذه يشبهه شبيها تاما ، وفي انجيل برنابا صرح بأن هذا التلميذ الذى
صلب هو يهوذا الاسخريوطى وهو الذى قالت عنه كتبهم أنه انتحر يوم
الصلب لأنهم لم يجدوه والظاهر أنهم لم يعرفوا حقيقة ما حدث ولذلك أخفيت
نفاصيل قصته في سفر الأعمال .

وتولى الدكتور محمد توفيق صدقى هذا الباب بوصفه كان مسيحيا ثم
حسن اسلامه ، وأجرى عميدا من البحوث حول عقائد النصرانية وكتب
العهد الجديد كما نشر في تفسير القرآن فصلا مطولا عن عقيدة التثليث
(م ١٦) .

كما نشرت المنار مقالا مطولا في الرد على ما نشرته مجلة الشرق والغرب
من الطعن على السنة وصحتها والشريعة ومقاييسها فقد طعنت في السنة
النبوية وزعمت أن طعنها يوجب الريب في الشريعة وترك العمل بها وانها
لا قيمة لها في نفسها (م ١٩/٩٧) .

٩ — واليك نموذج مما كان ينشره صمويل زويمر كبير المبشرين في
البلاد العربية في الصحف الأمريكية من أكاذيب وإباطيل استدرارا لأموالهم

الأمريكيين بحجة أنهم سيحصلون على نصر قريب في بلاد المسلمين وهي خدمة معروفة تقوم بها الارسلالات المسيحية في كل مكان وعصر .

قال : ان الجاحدين من أهل الاسلام أصبحوا الآن مبشرين في الشرق الأدنى وأن دور الاولياء والكهنة قد انقضى فأصبح المسلمون يرحبون بالانجيل المسيحي وقال ان اللورد رادستوك ألقى في جمعية الشبان المسيحيين عدة مواعظ وجدت ترحيبا وحفاوة ، فدل ذلك على أن الفرصة سانحة للتبشير بين طبقات كافة المسلمين الذين يمثلون المجموع الأعظم خاصة وان الأبواب التي كان مستعدة أن تفتح ، أصبحت الآن مفتوحة على مصراعيها لقبول الدعوة وقال أنه مما يشجع على ذلك أننا نرى اقبالا لم يسبق له مثيل على تعاليم المسيح من تلاميذ المدارس الابتدائية وحتى معلمى الجامع الأزهر .

فقد جاء في مؤلف لأحد علماء الاسلام في القاهرة فصل عن السيد المسيح يبين فيه جلال المسيح وتأثيره العظيم في التاريخ ، ان الاسلام لا يعترف رسميا بصلب المسيح ولا آلامه فأصبحت خشبة الصلب هي العثرة في سبيل ايمانهم ولكن هذه التعاليم لم يعد يستغريها عقل المسلم . لقد غلب الاسلام في ساحة الحرب فأصبح مخدوعا في مظاهره مضطربا في برامج ، وعليه فإنه أصبح ناضجا مستعدا لقبول التعاليم المسيحية ، اذ بات يفهم ان الله لم يعد يحارب لأجل الاسلام كما كان يحارب قديما وان تلك الخطط التي كانوا يلبسونها ستارا من الوطنية لاذلال غير المسلمين من الشعب لم تجدهم نفعا فان اليهودى يرجع الى فلسطين وأصبح المسيحي في مصر وسوريا يرفع رأسه بعد أن كان ذليلا مهانا . ان الطلاب الابيض ابتداء يزول فالتعلمون من المسلمين يقررون الكتب الامرنسية والانجليزية على الاخص كتابات (لامنس ، كانياتى ، موير ، ملكوليوت) وغيرهم ثم ان خداجشى من كلكتا ترجم مؤخرا كتاب الدكتور ويل في تاريخ الاسلام ونشره باللغة الانجليزية منتقدا الديانة الاسلامية أكثر مما كان ينتقدها في خطابه وعليه فان الفرصة سانحة للتبشير وبث تعاليم المسيحية « يقول السيد رشيد رضا معلقا :

قد يرى المستشرقون في هذا الجهاد انتصارا لهم : ان الفئة المتعلمة من المسلمين الذين أصبحت ميولهم وأفكارهم غير متجانسة مع ديانة آباؤهم ،

وقوله ان الطعن قد قضى عليه بكسر الدولة العثمانية واقتسام البلاد العربية هو خطأ محض ، وان اوريا قد جنت بهذه الحرب الوحشية ومعاهدات الصلح على المسيحية وعلى المدنية الاوربية اُتبع جنائية (م ١٩٢١/٢٢ م) .

١٠ - وأشار المنار الى ان مجلة المشرق (الجزويتية) بدأت تصرح بالطعن في الاسلام اذ زالت الحكومة العثمانية التي كانت تمنعها من التصريح فتتوارى احيانا وراء ما يحتل التأويل ، هذا وان دعاة البروتستانتية في مصر وغيرها لا يزالون ينشرون النشرات والرسائل الكثيرة في الطعن في الاسلام والتثفير منه والدعوة الى دينهم حتى مللنا من النظر فيها . هذه المطامع من اشد ما ينفرهم من النصرانية ويزيد العارفين بدينهم اعتصاما به ومحافظة عليه .

وأشار الى ان مسألة الوهية المسيح أصبحت في بلاد الانجليز موضوعا لأهم المباحثات والمناقشات بين المفكرين المشتغلين بالمسائل الدينية والفلسفية ولاسيما رجال الكليروس الانجليكاني ، على ما نشرته جريدة الديلي تلغراف (م ٢٦٧/٢٣) .

وأشارت المنار تحت عنوان (بعثة تنصير المحدثين وبرنامج كيدها للإسلام والمسلمين) قال : في ألمانيا أرمي اسمه الدكتور لسيوس ، قدم شهادة ضد الاسلام في رسائل بعث بها مصدر النشرة المدعوة بالشرق المسيحي ، فقد حصلت على مجموعة كاملة للسنة الاولى من مجلة المشرق المسيحي سنة ١٩٠٠ التي تصدرها البعثة الدينية في ستة مراكز عمل في بلاد الدولة العثمانية واثنان في بلاد فارس واثنان في بلغساريا وفي مقال بعنوان (واجبات البعثة المحمدية ومهمتها) وصف قدر الدين الاسلامي وقال ان الاسلام من أشأم ما ظهر في تاريخ الانسانية فهو خليط من الصدق والكذب وهو لذلك اشد خطرا من الوثنية وان الدين المسلط على مائتي مليون رأس ليس من السهل التغلب عليه فيجب تحضير خطة دقيقة تكون كالحكم الخطط الحربية وضعا ، لمهاجمته وانفاذ هذه المهاجمة بأنجح وسائل التنفيذ . مع ضرورة مراعاة اختلاف أنواع المسلمين ، ولا ننصح بالكف عن العمل لتنصير المسلمين في البلاد الاسلامية المستقلة ونوصي بالحرذر دائما في

لوسائل لانقاذ من يؤتى بهم الى المسيحية واستخدام الجرائد والنشرات
للحمة على الاسلام والترغيب في المسيحية (م ٧٨٥/٢٤) .

١١ - أشار المنار الى أن القس المحترم الفريد نلسن الدينماركى
المقيم في دمشق وجه أسئلة الى المنار يقول فيها : انه من الواجب على كل
متنور أن يعرف الكتاب المقدس الذى أسس عليه تمدن الغرب ، ويقول :
هل الأحسن من يتمسك بدين من الأديان بعد الامتناع ويطبق حياته عليه
أم الذى يبقى في دين آبائه بدون اعتقاد داخلى ؟

قال السيد رشيد رضا : ان المبشرين في مدارسهم الأمريكية وغيرها
يشككون الطلاب المسلمين في دينهم ولا يقنعونهم بالنصرانية فيخرج الكثيرون
منهم ملحدين أو منافقين فضلا عن خدمة المدارس ومستشفياتها لمطامع
السياسة الاستعمارية حتى قال لورد سالسبرى الوزير الانجليزى المشهور
عن مدارس المبشرين انها أول خطوة من خطوات الاستعمار لأن أول تأثيرها
احداث الشقاق في الأمة التى تنشأ فيها فينقسم بعضهم على بعض باختلاف
الافكار والشك في الاعتقاد فتتمكن الأجنبى من ضرب بعضهم ببعض وينتهى
ذلك بتمكن المستعمرين من نواصيهم وسلب استقلالهم واذلالهم وسلب
ثرواتهم .

وقال : ان بناء تجديد الغرب على المسيحية دموى ممنوعة على
اطلاقها وباطلة بالصفة التى يدعيها المبشرون في هذه الايام لاستهالة
المفتونين بالمدينة الأوربية الى النصرانية بها ، فقوانين الغرب أبعد شرائع
الأمم عن شريعة التوراة الا في القسوة على الضعفاء والمغلوبين ، وآداب
أهله أبعد من آداب جميع البشر عن آداب الانجيل من كل وجه ، فمذنية
الأمم الغربية مادية شهوانية قوامها الكبرياء والتعالى وعبادة المال والطمع
والرياء والاسراف في الزينة والشهوات فأين هى من أصول آداب الانجيل
المبنية على التواضع والزهد . . أما العلوم والفنون وشكل الحكومات
المقيدة فلم يكن أثرا من آثار انتشار تلك المجموعة في بلاد الغرب بل كان
من آثار العرب والاسلام ، فما انتقل الى أوربا من الأندلس العربية
الاسلامية وما حملته غزاة الحروب الصليبية اليها من سوريا ومصر
الاسلاميتين . ثم قال : ان نشر هذا الكتاب كان نقمة ومصيبة على أهل

١٨٨ -

البلاد التي نمرقها بما أحدث من الشقاق والتعادي بين أهلها ، وفاننا لمسا
قرره اللورد سالسبورى وان جميع أهل العلم والبصيرة من أهلنا في البلاد
انسورية يعلمون اليوم حقد القوم وأنه ما أفسد ذات بينهم وفرق كلمتهم
وحرهم نعمة الاخوة الوطنية الا مدارس المبشرين ونزعاتهم . (م ٢٥/١٨٨)

ولما كان السيد رشيد رضا ملما ومتابعا لكل ما يظهر في البلاد العربية
الاسلامية فلقد كان قادرا على الاحاطة بالتيارات المختلفة ، وخاصة ما يتصل
بالشسام ، ذلك أنه ما لبث أن كتب تحت عنوان الاغراء بين النصارى
والمسلمين حيث ورد كتاب جديد من بيروت ألفه أحد نصارى لبنان لتأريث
العداوة والبغضاء بين أهل وطنه جمع فيه من كتب التاريخ أحاديث جعلها
مما ينقمه النصارى من حكومات المسلمين وخاصة ما يتصل باضطهاد أسبانيا
لمسلمى الأندلس ويهودها (م ٢٥/٧٠٩) كما أشار الى أن القس بولس
مسعد القى عدة خطب ومحاضرات في مصر وسوريا وفلسطين لدعوة
المسلمين فيها الى النصرانية وجمع ذلك في نسخة . . وزعم أن القرآن يثبت
عقيدة التثليث وانها عين التوحيد الذى يدعو اليه وفند المنار كذب هذه
الفرية . (م ٢٥/٧٩٧) .

١٢ - وكان من أخطر ما اثير في هذه المرحلة (عام ١٩٢٧ تقريبا)
ما أنيع عن مشروع بريطانى جديد لتنصير جزيرة العرب (م ٢٨/١٤٠)
مقد ترجم المنشور الذى اذاعته جمعية تبشيرية في لندن تحت عنوان
(يسوع المسيح لبلاد العرب الآن) .

وهى دعوة الى تنصير بلاد العرب التى فيها من أربع ملايين الى اثنى
عشر مليونا ولم يدخلها التنصير بعد ، ولم تبلغهم دعوة الانجيل ، بلاد
العرب ، هى مهد الاسلام وفيها مكة التى هى القبلة لزهاء مائتين وعشرين
مليونا من المسلمين يتوجهون نحوها (وقال النداء :

من يذهب الى هناك من حجاج المسيح ويهدى أولئك الحجاج الذين
لا يحصيهم عد هداية بنعمة الله حتى يصيروا حجاج المسيح وحده . هذه
دعوة الى أبناء اسرائيل أن يتقدموا الى الامام الى بلاد العرب . ان الحاجة
شديدة الى مائة مبشر يذهبون الى قبائل بلاد العرب المهله التى لم تبلغها
الدعوة بعد ، هناك نحو مائة قبيلة في بلاد العرب يمكن تبليغهم الدعوة وهم

يسكنون بلاداً غير انجيلية مساحتها ثلثا مساحة الهند . « القس باركليين » .
أحمل الكتاب المقدس الى العرب . اذهب أنت بنفسك . ارسل
غيرك لا تقطع صلاتك لأجل بلاد العرب ، ادع بلاد العرب والعرب الى
المسيح .

« الجمعية العالمية الصليبية للتبشير في العالم وبلاد العرب (لندن) »
وفي نفس الوقت الذي كان السيد رشيد رضا يدحض الدعوة الضالة ،
يتحدث عن : (تحول الكنيسة الانجليزية عن التقاليد النصرانية) من جريدة
الدلي اكسبريس (٢١ نوفمبر ١٩٢٥) . . حيث قالت ان القس انج ينكر
المعجزات : وان هذه قنبلة مصوية الى قلب الكنيسة حيث قال القس
انج :

« ان مسألة ان المسيح نزل في جوف الأرض ثم قام من قبره في اليوم
الثالث وصعد الى السماء بجسده ، ليس من اللائق بالكنيسة أن تفكر
في هذه المشكلة التي ظلت نحوا من أربعمئة سنة وهي ترغم الناس على
الاعتقاد بها » .

ويشير القس انج في كتابه تحت اسم (العلم والدين والحقيقة) الى
قول اللورد بلفور : ليس بين القراء من يعتقد أن الكتاب المقدس ليس الا
كتابا تاريخيا ومرجعاً للعلوم الكونية لا يمتاز على غيره الا بأنه موصى به ،
والقس انج يسلم بأنه موصى به اما مسألة تنزيهه عن الخطأ فينكرها البتة
ويقول : ان بعض العقائد المسيحية أصبحت لا يمكن التصديق بها علمياً
فلا يمكن التصديق بها دينياً . ان معرفة أن الأرض ما هي الا كوكب يدور
حول الشمس وهي واحدة من ملايين الأجرام السماوية : ذلك الاكتشاف قد
مزق النظرية المسيحية التي تقول بأن الأرض هي مركز العالم وأنها كطبق
يحدده غطاؤه وقال القس انج : ليس أمام المسيحيين الا أن يعتبروا أن هذه
الاساطير الدينية لا تتمشى مع روح العلم ولكنها تحمل على أنها رموز عن
حقائق أزلية ، وأن تعترف بأن كل التقاليد اللاهوتية المؤسسة على النظرية
التي تقول بأن الأرض هي مركز العالم يجب أن تنبذ ما دامت لا تتفق مع
النتائج العلمية الصحيحة .

١٣ — ولا يلبث اللورد هدلى رئيس الجمعية البريطانية الاسلامية ان يحض مطاعن المبشرين فى صاحب الرسالة الاسلامية ، فقد نشرت المجلة الاسلامية (اسلاميك ريفيو) التى يصدرها خوجه كمال الدين مثالا مطولا بقلم اللورد هدلى الذى اعتنق الاسلام منذ عشر سنين ردا على مفتريات المبشرين حيث قال : انى أشعر بالأسف وأنا أقرأ كتابات الارساليات المسيحية عندما أجد أن أحد رجال وطنى يضطر الى الأخذ بالرياء والتمويه والتحرىض لى يقرر آراءه نحو الدين وانه ليذهل أن يرى القارئ الى أى مدى تسير العصابات الدينية المسيحية .

وانظر الى وجه الصورة الآخر : ألا تدهشك رؤية مظاهر روح التسامح والحسنى التى يقرها القرآن وذلك الهدوء الذى يلاقى به المجتمع الاسلامى الحملات القوية العديمة القيمة التى تحصل عليه وعلى ديانته باسم عيسى الكريم أحد أنبيائه ، واذا كانت هناك كلمات شديدة يدافع بها المسلمون عن كرامتهم الا أنهم لم يلجأوا الى مثل هذه التهم الملفة كى يكون فيها أهم أسلحتهم التى يهاجمون بها خصومهم (م ٢٩) .

كذلك فقد نشرت المنار فصلا مطولا عن أزمة الصلاة فى انجلترا وهو فصل كتبه الأمير شكيب ارسلان . من موقف البرلمان البريطانى برفضه التعديل المقترح فى كتاب الصلاة مراعاة للتطور الاجتماعى والدينى والسياسى فى الأمم النصرانية وتقريبا للبروتستنتية من الكاثوليكية إليها وقرر ابقاءه كما هو بالرغم من ألوف طلاب التجديد وذلك فى مجال الرد على الدعاوى التى كانت تثار فى البلاد الاسلامية من أن حكومات الغرب منفصلة عن الدين وأن الدين منفصل عن السياسة وأن أوروبا لم تبلغ هذا المبلغ من الرقى الا بفصل السياسة عن الدين وأن الحكومات الأوروبية لا تتدخل فى المسائل الدينية فى بلادها بل تعدها خارجة عن اختصاصها وقال ان الشرقيين المساكين يصدقون هذه الأقاويل لعدم اطلاعهم على الحقائق . وقد أنحصر الطعن الجديد فى كتاب اسمه الصلاة العامة ، وهو كتاب قداس وكتاب مزامير وطقوس ويمتاز بأمر كثيرة عن كتب الكنيسة الرومانية وكان المطلوب أن تلعى الاوراد وطلب الشفاعات والاستغاثات بالقدسين ومريم العذراء (م ٢٩ / ٢٠١) .

- ٦٩١ -

كذلك أُنشأت المنار الى دعوة الانجليز لاهياء ذرى غردون في السودان بتنصير مسلمى السودان فقد وجه نداء بمناسبة ذكرى مقتل غردون للاكتتاب بمبلغ ٦٠ ألف جنيه لتخليد اسمه بعمل هو اشداده كنيسة من اكبر الكنائس التى تنشئ في بور سودان وعطبرة ووادي مدنى تسمى كنيسة غردون التذكارية (م ٧٦٥/٢٩) .

وقد أنشأ السيد رشيد رضا فصلا مطولا في العام الثالث والثلاثين بعد أن رفعت الرقابة في مصر عن تاريخ التنصير والتبشير ومساعدة الحكومة نه فقال : ليس في مصر من الحملة الدولية الصليبية على الاسلام ، كل ما في المستعمرات الأوربية منها ، ليس منها مسألة كمسألة البربر في المغرب ، ومسألة الطلويين في سورية . ولا كمسألة التخنيس في أفريقيا الفرنسية كلها ولا كمسألة الجلاء والابادة في طرابلس الغرب وبرقه اذ لا مجال فيها لهذه الحملات وهى ذات حكومة اسلامية مستقلة بنفسها ، معترف باستقلالها في جميع الدول ، وما كانت سيادة الدولة العثمانية السياسية عليها الا مزيد حضانة لها ووقاية من هذا النوع من الحرب الصليبية . ثم قال : لقد اعتدى على استقلالها الفرنسيين ثم الانجليز ، وقد اعتدى على استقلالها الفريقتان وغيرهما بالتعليم الالحادى وجميع وسائل التنصير من دعاية لسانية وكتابية وتعلم وتطبيب واغراء واغواء بالمال والشهوات وغير ذلك ، وقد وجدوا من حكومتها المتفرجة كل مساعدة مالية وادارية على جميع ذلك وكان نجاحهم في التعليم الالحادى اتم من غيره فهو الذى جعل نفوذهم السياسى والأدبى والاقتصادى يعلو ولا يعلو ويحطم كل ما تحته من نفوذ الحكومة المصرية ومن حرمة للأمة المصرية واشتد هذا النفوذ من عهد اسماعيل باشا الى اليوم فكانت مدارس الأجانب الالحادية والتنصيرية تساعد من الحكومة المصرية بالمال وبهبة المباني والأراضى وباعفاء ما دبر لها من بلادها من الكتب المراد بها همم الاسلام وغيرها من رسوم المكس (الجمر ك) وكان الوزراء والكبراء ثم الأوساط فالفقراء ما زالوا يعلمون أولادهم ذكرانا واناثا فيها ويفضلون تربية القسيسين وانهبوا والراهبات والمبشرين والمبشرات على تربية المدارس المصرية الأميرية وغيرها ، ولم يكن أحد ممن يقدمون بأولادهم فيها يبالى عاقبة هذا التعلم في جنائته على الدين والدنيا ، أما الدنيا فلأن زمامها في أيدي هؤلاء الافرنج فصار تطلب

بالزلفى عندهم وقال لورد سالسبورى : أن مدارس المبشرين أولى خطوات الاستعمار فإن أول عملها أحداث الشقاق في الأمة التي ينشر فيها أما الدين فلأنه لم يعد مما يراد في مصر من التربية والتعليم إذ قررت الحكومة المصرية جعل ما كان واجبا من تعليم والعمل به أمرا اختياريا لا شأن له ولا يطالب التلاميذ به فصار الدين في مدارسها كالشيء اللقأ (اللقأ بالفتح ما يلقى وي طرح لعدم الحاجة إليه) وهى تعلم أن أمما من الامرنج يجعلونها من الفرائض القطعية التي لا هواده فيها يجمعون عليها كل من أبناء دينهم ومن المسلمين . وتعليم الازهر وملحقاته للدين أصبح عقيما في هذا العصر كما بيناه بالبرهان مرارا وأقمنا الحجج اللسانية به على شيخ الازهر لهذا الصهد والخرافات الدينية فاشية في الأمة من جهة ونزعات الاتحاد والتفرنج من جهة ثانية فخلا الجو للمبشرين في التعليم الدينى بالأساليب العصرية الموافقة لأذهان التلاميذ ومبدأ الدين فطرى في أنفس البشر فان لم توجد من يلقنه من الفناء دين الفطرة المعقول قبلوا من يلقنهم أى دين كان قبل الرشد واستقلال العقل . ذلك ولم توجد في مصر هيئة دينية حكومية ولا اهلية تتولى أمر التربية الاسلامية العامة ومراقبة سيرها في الأمة والعناية ببث التعليم الدينى السهل والوعظ العام في طبقات الأهالى ولا سيما تعليم البنات وارشاد الامهات كالهيات البطركية والحاخامية عند النصارى واليهود ولم يوجد منها جمعيات اسلامية تتولى ذلك بنظام عام الا ما تجدد في السنين الأخيرة من الجمعيات الوعظية الضيقة النطاق . وكان أول من فطن من المسلمين بأمر تنصيرهم في مصر المصلحان العظيمان الأنفائى ومحمد عبده في القرن الماضى وكانت أول حادثة أن طغمة التبشير الأمريكية نصرت فتى مصريا وصارت تعرضه للوعظ العام الذى يحضره كثير من المسلمين بكنيستهم في حى الأريكية فكبر ذلك على السيد معهد الى جماعة من الايرانيين بخطفه من الكنيسة ووضعه في مكان خفى ففعلوا وذهب هو وتلميذه الأكبر الى ذلك المكان واستتابا الفتى وأقنعاه بأن الاسلام هو دين الله وسعيا لتلافي هذا الأمر لدى الحكومة فلم يسمع لهما أحد ، وكان الشيخ محمد عبده أول من فكر في خطر المدارس الأجنبية في مصر فاقترح على مجلس المعارف الأعلى الذى ألف في مصر بسميه ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م أن تقرر جعل جميع مدارس الأجانب في القطر المصرى تحت مراقبة الحكومة ، ثم نكبت

البلاد بالاحتلال الانجليزي. اثر الثورة العربية مفقدت حكومتها كل سلطان لها على التعليم وغير التعليم ، والقيت مقاليد وزارة المعارف المصرية في يد تسييس انجليزي (مبشر) جعل سكرتيرا لها ومستشارا ثم اعترفت مصر بعد الحرب الاولى بالاستقلال مقيدا بتحفظات لا تمس التعليم الحكومى ولكن الدين الاسلامى لم يزد بذلك الا ضعفا في مدارس الحكومة والأوقاف العامة والخاصة وتعارضه قوة دين النصرانية في جميع المدارس الأجنبية . وبلغ من مساعدة الاحتلال البريطاني لدعاية المبشرين بسيطرتها على الحكومة ان أمر اللورد كتشنر وزير الأوقاف بالغاء المستشفى الذى بنته الوزارة في مصر القديمة بجوار مستشفى هرمل التبشيري لأنه يصرف كثيرا من فقراء المسلمين عنه فيحرمون من التبشير بالنصرانية .

وجرت محاولة لغلاق المنار لأنه يتصدى بالرد على أراجيف التبشير النصراني وحاول اللورد كتشنر اغلاق المنار وقال رشيد رضا انه لن يدع الرد على المبشرين ما داموا يطعنون في الاسلام ويدعون المسلمين الى دينهم لأن الرد عليهم وتقيد شبهاتهم فرض من فروض الكفاية لا أرى في البلاد مجلة أو جريدة تقوم بها فان تركتها كنت أتما كجميع القادرين عليها ، وقالوا ان الدكتور محمد توفيق صدقى شديد اللهجة ويكتب ما يعد طعنا صريحا في الديانة المسيحية لا يائسا لعقائد الاسلام ولا مناظرة المبشرين .

ويعود السيد رشيد رضا بالذاكرة الى المجلد السادس من المنار (١٩٠٤) حيث قدم عرضا لأخطاء التبشير فقال : لدعاة النصرانية المبشرين عدة مدارس ومستشفيات وصحف في مصر لا غرض لها الا تنصير المسلمين وقد ساعدتهم الحكومة المصرية على انشاء مدارسهم ومستشفياتهم باسم نشر العلم وعمل الخير ثم انهم ينشرون في كل سنة عدة كتب ورسائل في الطعن في القرآن والنبى عليه الصلاة والسلام وتنفير المسلمين من الاسلام بالاضافة الى النشرات والأوراق الصغيرة التى ينشرونها في المستشفيات والخطب التى يلقونها فيها وفي سائر معاهد التبشير . وقد عز عليهم أن يكون للمسلمين في هذا القطر الاسلامى كله صحيفة اسلامية واحدة ترد عليهم وتدافع عن الاسلام فمسعوا بواسطة بعض قناصلهم الى لورد كتشنر

- ١٦٤ -

ورغبوا اليه أن يأمر الحكومة المصرية بإلغاء مجلة المنار وإبطال صدورها ومحاكمة صاحبها هو والدكتور محمد توفيق صدقي .

وقد سألنا فقلنا : اننا اقدمنا على هذا العمل مدافعين لا مهاجمين وان هؤلاء المبشرين قد كتبوا في الطعن في ديننا أضعاف ما كتبنا وان هذا الرد واجب علينا شرعاً بل هو من فرائض الكتابة اذا لم يقم به بعض المسلمين اثم الجميع . وكما جرى العمل على تعطيل المنار ففى السودان صودر واحرق واستمر المنع حتى عام ١٣٤٥ .

وقال : حدث هذا كله والأزهر لا يبدى ولا يعيد حتى صار القس زويمر يدخل الأزهر ويزور بعض علمائه في بيوتهم داعياً الى النصرانية حتى كاد يبطش به صديقنا الشيخ على سرور الزنكلونى في الأزهر واشتهرت الحادثة .

ومما ذكره السيد رشيد رضا في الرد على كتاب نقولا مبريل في الدعوة الى النصرانية والطعن في الاسلام : ان عقائد المسيحيين التي هم عليها من مهد بعيد مأخوذة من عقائد الوثنيين وان ما يسمى التوراة ليست هي التوراة التي تشهد لها القرآن الشريف وانما توراة القرآن هي الاحكام التي جاء بها موسى عليه السلام .

الفصل السابع

ما حققته حركة الإصلاح من نتائج

- ١ -

توفي الشيخ محمد عبده عام ١٩٠٥ وعاش السيد رشيد رضا بعده حتى عام ١٩٣٥ وصدر المنار خلال هذه الفترة لم يتوقف عن الإشارة الى حركة الإصلاح التي قام بها الأستاذ الامام ولا عن متابعتها في جميع ميادينها وتنميتها ودفعها الى الامام من خلال الاعلام تلاميذ الشيخ المفتي وكان منذ بدأ المنار يشير اليها على أنها « النهضة الاسلامية في مصر » أو حزب الشيخ المفتي كما وصفها اللورد كرومر - يقول في المجلد الثاني من المنار :

كان مبدأ هذه النهضة في مصر رجل أعجبى الوطن علوى النسب وهبه الله من ذكاء العقل ونقاء الفطرة ما يندر منه في الأجيال الكثيرة والقرون الطويلة الا وهو الحكيم الاسلامى الشهير السيد جمال الدين الأقمقانى نور الله مرقدته ، قرأ العلوم الاسلامية وأساليبيها ومقاصدها وبرع في الفنون العقلية كالحكمة القديمة والكلام والأصول ثم نظر في الفنون الرياضية والفلسفية على طريقة أوربا الحديثة وسلك طريق التصوف سلوكا كاملا وأضاف الى علمه الواسع في التاريخ الاختيار بالسياحة ، وعنى أشد العناية بدراسة أحوال الاسلام وتعرف امراض المسلمين الاجتماعية التي أرجعهم عن مقدمة الأمم الى ما وراها ووقف نفسه على تنبيه المسلمين من غفلتهم وارشادهم للقيام بواجب شئونهم حتى تلحق الأمة الاسلامية بالأمم العزيزة ، ولجأ جمال الدين الى عالم السياسة وحاول أن يكون الإصلاح من جانب الملوك والأمراء وكان أن سلك في مصر طريقته الإصلاح الملى وهو التربية والتعليم فأنبرى له علماء السوء الذين وضعوا في طريقه الأشواك والعوثر وحاربوه بسلاح الدين في شبهات ثلاثة :

١ - أنه كان يعرف الفلسفة ومتوغلا في العلوم العقلية .

٢ - عدم التقيد بالمعادات التي ألفوها ولوفوا الكثير منها بلون دينى .

- ١٢٢ -

٣ - ان كثيرا من المترددين عليه والمثقفين حوله كانوا لا يبالون امر الدين .
ثم قال : ان امثل من اتصل بالسيد من الذين تربوا في مهد الدين علما
وعملا العلامة المفضل الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية وهو الرجل
المفرد الذى تشبه نظرتة الذكية نظرة السيد جمال الدين وتماثل تربيتة
تربيته ... الخ .

وفي خلال حياة الشيخ محمد عبده عمدت المنار الى تسجيل رحلاته
وخطواته (رحلاته الى الجزائر وتونس) ورسائله الى العلماء والكبراء
وتقارير اصلاح التعليم واصلاح المحاكم الشرعية والرد على الطاعنين .
والحديث عن هجرته الى اوربا واخراج مجلة العروة الوثقى مع جمال الدين .
ورحلته الى سوريا ودروسة ، والرد على فرح انطون وعمله في انشاء
انجمنية الخيرية ودراسات عن اتصالاته بفكرة توحيد الاديان وصلته
بالمستشرق بلنت وبكرومر . واشار الى ان كرومر في تقريره عام ١٩٠٥
الذى نشره المنار (م ١٠) قد اطلق على هذه الحركة عبارة « حزب الشيخ
محمد عبده : حزب الاصلاح الاسلامى » كما ان المنار كشف في هذه
السنوات وجهة نظر الشيخ محمد عبده في كل امور السياسة والاجتماع .
فكان للمنار موقف مع مصطفى كامل وكان له موقف مع اللواء
بشان العصبية الجنسية ، ومعارضته للشيخ محمد بكيت ومعارضته
للمتصوفة واخبار نازلى فاضل (صاحبة الصالون المعروف) الذى كان يضم
(سعد زغلول وقاسم امين ومحمد عبده وغيرهم من المتطوعين الى الحكم
في مصر) كما انه عرض لموقف كرومر من الجامعة الاسلامية (ابريل ١٩٠٧) .
وكان في تقرير لكرومر الاخير قبل استقالته كلام عن الشريعة الاسلامية
نحوها انها لا تصلح لهذا الزمان (وقد رد عليه كثيرون ، منهم فريد وجدى
ومصطفى الفلايى وعلى يوسف) وكلام عن الجامعة الاسلامية وعن دنلوب
وموقفه من اللغة العربية واذا كان السيد رشيد رضا لم يعرض لهذه الامور
في وقتها الا انه بعد خروج كرومر استفاض في الكشف عن اخطائهما
(المنار م ١١) كما نشر كثيرا من تراث الامامين « الامغاني وعبده »
ومنها كتابان سياسيان لهما (م ١٠) .

كما عرض لما أورده كرومر في كتابه مصر الحديثة عن مصر وعن الشيخ
محمد عبده (المجلد ١١) .

وقد أشار في (المجلد ٦) بالتفصيل الى رحلة الشيخ محمد عبده الى الجزائر وتونس وكيف أنها كانت من أجل رعاية حركة الاصلاح بهما وقد دعا فيها الى الجد في تحصيل العلوم الدينية والدنيوية من طريقها القريب والجد في الكسب وعمران البلاد عن الطريق المشروع (الشريعة مع الاقتصاد في المعيشة) ومسالمة الحكومة وترك الاشتغال بالسياسة . وقال ان الشيخ محمد عبده القى درسا أو خطابا في تونس على ملا عظيم من العلماء والفضلاء وقال : « قصدت هذه الديار للتعرف ببعض المسلمين والنظر في أحوالهم وأمور دينهم من حيث العلم والتعليم والاعراب عما في ضميري مما أتهناه لآخواننا المسلمين من التقدم في العلم » .

وفي حياة الشيخ محمد عبده أخذ المنار في نشر تفسير الشيخ الامام للقرآن بداه في المجلد الثالث وكانت المنار قدمت فصلا مطولا في المجلد الاول عن القرآن وارشاده الى علم الاجتماع وعن السنن الكونية في القرآن وارشاد القرآن الى علم الاجتماع .

كما عرض المجلد الثالث من المنار لقضية جماعة الصوفية واعتبرها جزء من قضية الاصلاح الاسلامي مهاجم البدع والضلالات والاحاديث الموضوعة من التبرك وشفاء الأمراض والرقص والتمايل .

كما أورد ما يتصل بتقرير اللورد كرومر عن الشيخ محمد عبده ١٩٠٥ (م ٩) الذي أشار فيه الى أن الشيخ أفتى المسلمين بما أوجد لهم بابان يحل لهم بهما تشمير أموالهم في صناديق التوفير من غير أن يخالفوا الشرع الاسلامي في شيء . وقال : ان الفئة التي ينتمى اليها الشيخ محمد عبده اليها من رجال الاصلاح في الاسلام معروفة في الهند أكثر مما هي معروفة في مصر ومنها الشيخ الجليل السيد أحمد خان الشهير الذي أنشأ كلية عليكره في الهند منذ ثلاثين عاما والغاية القصوى التي يقصدها رجال هذه الفئة هي اصلاح عادات المسلمين القديمة من غير أن يزعزوا أركان الدين الاسلامي أو يتركوا الشعائر التي لا تخلو من أساس ديني فعلمهم شاق لأنهم يستهدفون دائما لسهام نقد الناقدين وطعن الطاعنين من الذين يخلص بعضهم النية في النقد ويقصد آخرون قضاء أغراضهم فيتهمونهم بمخالفة الشرع وانتهاك حرمة الدين ، أما يريدو الشيخ محمد عبده فهم بالنظر الى النهضة المالية بمنزلة

الجير وندست في الثورة الفرنسية فالمسلمون المنتطعون المحافظون في كل قديم يرمونهم بالضلال والخروج عن الصراط المستقيم ، وان السبيل الذي أرشده اليه الشيخ محمد عبده هو السبيل الذي يؤمل رجال الاصلاح من المسلمين الخير منه لبنى ملكهم اذا ساروا فيه فأتباع الشيخ محمد عبده حقيثون بكل ميل وعطف وتنشيط من الأوربيين .

وقد أشار السيد رشيد رضا من بعد الى موقفه الصريح من هذه الأمور بعد أن أصدر كرومر كتابه « عباس الثاني » قال : وآملت منه ما شف عما كان منطويا عليه من التعصب الدينى الذى كان يخفيه بالرياء الفرنسى الذى يوصف به البريطانيون وأظهر للناس أن من أصول سياستهم ظلم كل مسلم تربية اسلامية وتخلق بأخلاق الاسلام بإبعاده عن مناصب الحكم في بلاده وحصر هذه المناصب في المتفرنجين بالتربية الأوربية الذين رماهم اللورد نفسه في كتابه « مصر الحديثة » بأتبج النعوت ونبذهم بشر الالتاب حيث قال (١) : « من الواضح أن المسلم غير المتخلق بأخلاق الأوربيين لا يقوى على حكم مصر في هذه الأيام ، ولذلك سيكون المستقبل الوزارى للمصريين المتربين تربية أوربية » ، هذه السياسة قد لقنها المسيطرون البريطانيون للموظفين المصريين بالعمل فصار يعرفها كل واحد .

وأشار السيد رشيد رضا في هذا المجال الى أن سعد زغلول (الذى رياه الاستعمار وكان أول وزير معارف مصرى في عهد كرومر والذى مدحه كرومر في خطاب الوداع) يقول رشيد رضا ان سعد زغلول هذا — وهو يراه من أكبر تلاميذ الشيخ محمد عبده — قد اشتهر بالتساهل الدينى بها لم يشتهر به غيره من الوزراء وكان هو الوزير الذى أدخل تعليم الدين المسيحى في مدارس الحكومة في عهد وزارته للمعارف والقبط يعرفون أنه اذا تم الاستقلال لمصر على يده وكان صاحب النفوذ اللائق فان حظهم منها سينيلهم ما لم ينالوا في عهد الاحتلال (المنار ٢٢) وكان الانجليز آمنين من انقلاب سياسى في البلاد يسعى الذين يتربون على الطريقة الامرنجية

(١) أشار اللورد كرومر الى أن تجربة تولى رياض باشا للوزارة قد فشلت لأنه رجل مسلم وقال ان فشل تجربة رياض باشا لفتنتنى درساً هو أنه لا فائدة في محاولة قيادة الراى الاسلامى في مصر بواسطة رجل مثل رياض باشا .

- ١٩٩ -

ولاسيما الانجليزية لاعتقادهم أن هؤلاء لا يهمهم غير أهوائهم وشهواتهم الشخصية .

وأشار رشيد رضا الى أن الشيخ محمد بخيت كان من أقوى أنصار الاحتلال في عهد الحماية وأنه حين ولى منصب افتاء الديار حزم السلطة المحتلة الى خدمته فقد حذفوا اسم السلطان العثماني من خطبة الجمعة ، وكان الشيخ بخيت ضد اشراك الأزهريين في الحركة الوطنية وقد اتفق مع السيد عبد الحميد البكري شيخ مشايخ الطرق وأيدوا سعدا « ا . ه .

هذا وقد تابع السيد رشيد رضا فكرة الإصلاح وعمل على اخراجها الى حيز الوجود في صيغة جماعة الدعوة والارشاد التي انشأها عام ١٩١١ (م ١٤) وضمت محمود سالم ، حسن والى ، محمود أنيس ، أحمد زناتى ، عبد الوهاب النجار ، محمد سعودى ، محمد لبيب البتائونى ، محمد توفيق صدقى ، محمد المهدي وأعلن أن مقصد الجماعة انشاء مدرسة كلية باسم دار الدعوة والارشاد لتخريج علماء مرشدين قادرين على الدعوة الى الاسلام والدفاع عنه والارشاد الصحيح وارسالهم الى البلاد الشديدة الحاجة اليهم على قاعدة تقديم الأهم على المهم ، وقد اثار هذا المشروع خلافات واسعة بين السيد رشيد وبين المؤيد والحزب الوطنى ، واتهموه بأنه عرض مشروعه على المندوب البريطانى في مصر ، وكان قد حاول تنفيذ هذا المشروع أولا عن طريق الدولة العثمانية في أول حكم الاتحاديين ١٩٠٩ ولكنهم ردوه في أسلوب لم يكتشفوا فيه عن خصومتهم للاسلام وكان السيد رشيد قد كشف خصومته للحزب الوطنى (وجريدة اللواء) وخاصة بعد وفاة الشيخ محمد عبده ونقد ما كتبه عنه بعد وفاته وكان مما يبدو أن الخلاف مع السيد رشيد متصل بجماعة السوريين الذين يصدرون الصحف (المقطم والأهرام والهلل) .

- ٢ -

ويمكن القول بأن حركة الإصلاح حققت هدفها تماما من حيث جمع كلمة المسلمين على قاعدة أهل السنة والجماعة وأحييت مفهوم الاسلام الصحيح ونشرته المنار من المغرب الى جاوة وكونت انصارا للفكرة الاسلامية السلفية لم تتوقف عن الاتصال بالمنار وارسال فتاويها واسئلتها والكشف

عن تحديات القوى التغريبية والمضللة وانها صنعت المسلم الغيور على دينه الراغب في أن يكون الاسلام هو منهج حياة أمته ، المدافع عنه أمام التيارات البوافدة ، وانها كشفت عن تحديات النفوذ الأجنبي ازاء حقيقة الاسلام عن طريق التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة (البهائية والقديانية) وانها وضعت في أيدينا جميع خيوط التحديات التي ما زلنا نواجهها حتى اليوم ويعد أن توقف المنار بأكثر من خمسين عاما (١٩٨٢ م) (١٤٠٢ هـ) بحيث يمكن القول بأن دراسة هذه القضية في العصر الذي نعيش فيه وفي أوائل القرن الخامس عشر لا يمكن أن تتفصل عن جذورها منذ عام ١٣١٥ هـ يوم صدور المنار وخلال عقود الثلاث .

٢ - كذلك فقد أحييت المنار مفهوم أهل السنة والجماعة بعرض الفكر الاصيل للاسلام وكشفت زيف المفاهيم الفلسفية والباطنية والتصوف الفلسفي وجمع كلمة المسلمين على قاعدة السنة والجماعة وقد أثار السيد رشيد رضا (المجلد ٢٢) الى قواعد بناء الاصلاح الاسلامي فأجملها في عدة نقاط :

- ١ - الاعتراف باسلام كل مذهب كما أجمع عليه المسلمون في أمر الدين .
- ٢ - بث الدعوة للعمل بهداية الكتاب والسنة الصحيحة وسيرة السلف الصالح منها كما أثبتته علماء الحديث بالاسانيد المعتمدة وترك ما خالفه من أفكار المتكلمين وآراء الفقهاء .
- ٣ - عدم التعصب لبعض المذاهب على بعض وذلك بأن نعذر كل متبوع لآمام من أئمة السلف المجتهدين في حكم من الأحكام من أئمة آل البيت كزيد بن علي والصادق والباقر وأئمة فقهاء الأمصار كابن حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وأئمة الصوفية كالجنيد وعلماء الصحابة والتابعين بالأولى ولا يكفر مسلما مذهبنا بذنوب ولا بدعة ارتكبتها بجهل أو بشبهة اتباع امام أو تأويل ، ومتى زال التعصب تكون المناظرة بين المختلفين في ذلك بالدليل الشرعي مع الأدب والاقرار واتقاء الشقاق والتفرق بين المسلمين .

٤ - الاستعانة بارشاد الكتاب والسنة على الاصلاح الديني مع تحصيل العلوم والفنون التي ترتقى بهما الزراعة والصناعة والتجارة .

(م ٢٢) .

- ٩٠١ -

ويقول السيد رشيد رضا : ان المنار في جمعه وتفصيله دعوة الى
الاصلاح الاسلامى المبني على أساس اتباع جمهور السلف الصالح في أمور
الدين رواية ودراية وعملا بلا زيادة ولا نقص واتباع ما تقتضيه المصلحة
ويثبت العلم والاختبار في أمور الدنيا .

ومن أهم أعمال المنار في هذه الوجهة احياء كتب ابن تيمية وابن القيم
والشوكاني والنقل منها والاستشهاد بها يقول : ان كتب هؤلاء العلماء
الأعلام من أفضل ما اطلعت عليه من كتب علماء الاسلام من حيث انهم
جمعوا بين العلم بالكتاب والسنة رواية ودراية وبين الاطلاع على كتب
مذاهب علماء الأمصار الذين يقلدهم الناس وغيرهم ولم يلتزموا التعصب
لامام معين ولا لأهل مذهب بل محصوا الأدلة ورجحوا ما كان أقوى لمكتبهم
احق بالاستفادة منها من كتب المقلدين لمذهب معين يتمسكون بأقوال أهله ،
وان خالفوا النصوص الصريحة والأحاديث الصحيحة وأكثرها خلو من الأدلة
مطلقا أو أدلة المخالف وانما ينهى بعض المقلدين للمذاهب المشهورة عنها
كما ينهون عن العمل والفتوى بمذاهب الصحابة والتابعين بغير حجة ،
ولو خرج أحد الأئمة الأربعة من قبره ورأى هذه الكتب لفضلها على جميع
كتب المقلدين له لأنها قلما تخالف غيرها الا بترجيح حديث صحيح على ضعيف
أو على قياس وهذا أصل مذهبهم كلهم رضى الله عنهم .

ولكن المنتمين الى مذاهبهم اتخذوا أقوالهم وأقوال كبار اصحابهم
أصولا في التشريع ودلائل على حكم الله ويوجبون تقليدهم في كل ما روى عنهم
وان خالف نصوص الشارع أصولهم التي بنوا عليها مذاهبهم وكلهم يبدأ
من ذلك . ويقول : السنة وآثار الصحابة قد نقلت نقلا أصح من نقل
المذاهب بالأسانيد التي وضعت لها كتب الجرح والتعديل وعلل الحديث
وشروحه وهى أصل هذه المذاهب كلها بعد القرآن ، فلماذا لا يكون العمل بها
هو المقدم على كتب الفقه التي تكثر فيها أدلة الأقيسة والرأى التي اختلف
علماء السلف في الاحتجاج بها ولا سيما قياس السنة وما فيه من مسالك
العلة التي يتعذر اثبات شرعيتها .

وثانيا : انهم قالوا ان اختلاف العلماء رحمة للأمة فلماذا يضيق باب
هذه الرحمة عليها بحصر الاستفادة بواحد يحرم الاستفادة من غيره بتسهيته

٢٠٠٠ .

تلتقيما وتخالف السلف الصالح الذين كان عوامهم يستفتون كل عالم يوثق بعلمه » .

وفي موضع آخر أشار الى مؤلفات ابن تيمية وابن القيم فقال : « انها من افضل ما كتب علماء الاسلام هداية وتحقيقا وانطباقا على الكتاب والسنة بل لا نظير لها فيما نعرفه من كتب المسلمين في مجموع مزاياها ، فانها ألقت بعد نشوء البدع في الأمة وتعدد العلوم وكثرة التأليف في المعقول والمنقول . وكان أكثر العلماء مقصرون في علم السنة وآثار السلف الصالح وأكثر الحفاظ وعلماء الرواية مقصرون في العلوم العقلية فبعسدت الهوة بين الفريقين وكثر الخلط والخطب في علوم الشرح حتى جاء أول هذين الشيخين (ابن تيمية) فكان ممن جمع الله لهم من سعة العلم والتحقيق في جميع العلوم النقلية والعقلية من شرعية وروحية ولفوية وعقلية مع جودة الحفظ وقوة الاستحضار وملكة الاستنباط ولا نعرف له نظير في هذا الجمع ، وقد خرج علماء كثيرين كان الوارث الكامل له منهم « ابن القيم » ولا سيما في العلوم الشرعية فكانت كتبها كتب اصلاح وجمع بين المعقول والمنقول واقوى رد على من خالف السنة وسيرة السلف الصالح لا يعرف لها نظير في ذلك فلو اهدى المسلمون علما وعملا لاماتوا البدع وأحيوا السنن ولكنهما غير معصومين من الخطأ ، فقد أنكرنا عبارة للأول تابع فيها غيره من غير أن يتنبه الى حاجة الى الاستقلال في الاستدلال علما وخالفنا الثاني في مسألة اهداء ثواب الأعمال الى الموتى في تفسير آخر سورة الأنعام (م ٢٤) .

وعاود السيد رشيد الحديث عن ابن تيمية وهل هو أعلم من الأئمة الأربعة (م ٢٨) فقال : ان لأئمة الفقه الأربعة فضلا على الشيخ أحمد نتي الدين بن تيمية لأنه لم يصرف فتيها الا باطلاعه على فقههم ، كما ان لأئمة الحديث كأحمد والشيخين وأصحاب السنن الأربعة وغيرهم فضلا عليه فإنه لم يكن يتحدث الا بكتبهم ، ولقد كان مثل مالك والشافعي وأحمد أصبح فهما للكتاب والسنة فيما اعتقد ، وقد حدث بعد الأئمة الأربعة بدع خلق عليها مبتدعوها ثياب زور فريب عن الدين ، فاتبعها خلق كثير من المسلمين منها ما جاء في شبهات الفلسفة ومنها ما جاء في تصوف الهند ومنها ما كان من وضاع غلاة الشيعة الظاهرية والباطنية وكان شيخ الاسلام ابن تيمية

— ٢٠٣ —

من أعلم الناس ان لم يكن أعلمهم بمثارات هذه البدع وشبهاتها ومنتحلتها ومن أقدرهم على بيان وجوه مخالفتها للدين الاسلامى والاستدلال على بطلانها ولم يكن الأئمة يعرفون ذلك لأنه لم يكن في زمنهم الا بعضها ، فالأئمة الاسلامية محتاجة الى شيء من علوم ابن تيمية لا تجده في شيء مما روى عن الأئمة رضى الله عنهم ، وأهمه بيان حقيقة التوحيد وهدم قواعد الشرك والبدع ورفض شبهات أهلها وقد نفع الله بعلمهم وهدبهم أضعاف من انتفعوا به وهذا أمر عظيم مثاله في المتأخرين الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده وأحفاده الذين يظهر من كتبهم أن الشيخ عبد اللطيف كان أوسع علما بفنون العربية وأصول الفقه وفروعه ومصطلح الحديث من جده شيخ الاسلام ولكن جده هو الذى هدى الى العلم الواسع الحقيق بتوحيد الله تعالى الذى هو أساس الاسلام وقام بالدعوة وهدى الله به الألوف ومئات الألوف .

— ٣ —

كذلك كان من أهم ما حققته حركة الإصلاح من ثمار هو : دفع الأزهر الى الأمام فى مجال التربية والتعليم وإخراجه من الدائرة المغلقة التى كان يعيش فيها فقد سعى الشيخ محمد عبده الى إصلاح الأزهر وإنهاضه ودعا الى إصلاح التعليم وإدخال العلوم والفنون الطبيعية والرياضية التى تدرس فى مدرسة القضاء الشرعى فى الأزهر ، وكان الأستاذ الامام قد وضع أساس نظام مدرسة القضاء الشرعى بعد اضطرابه الى ترك الأزهر ويأسه منه باضطهاد الأمير ومقاومته وجمود شيوخه وبغضهم وعجزهم (م ٢٩) . قال السيد رشيد : ان محاولة الشيخ الامام جعله عضوا عاملا تشعر الأمة والحكومة بالحاجة اليه وعدم الاستغناء عنه بل كان يطمح فيما فوق ذلك أن يجعله عضوا رئيسيا فى بنية الأمة الاسلامية لا فى بنية الشعب المصرى وحده .

وقد نشأ من حزب الإصلاح من استطاع تحقيق ما طمح اليه الشيخ محمد عبده عندما جاء الشيخ محمد مصطفى المراغى كما يشير الى ذلك السيد رشيد رضا فيقول : « توجهت همة الشيخ المراغى الى الإصلاح بقسميه الدينى والدنيوى وقبول خريجي الأزهر أساتذة للتعليم فى مدارسها وغير ذلك من وظائف الحكومة التى كانوا محرومين منها ففتح لهم أبواب العمل بالشرف والكرامة ، كما فتح لهم أبواب خدمة الدين بالوعظ والإرشاد

- ٢٠٤ -

والدعوة الى الاسلام ، وقال ان من آثار ذلك ارسال بعثات من عشرين طالبا الى الجامعات الاردية وانشاء مكتب لتعريب الكتب التى لها ارتباط بالتعليم فى الأزهر وانشاء مجلة دينية وجوائز لتأليف كتب فى العلوم التى تدرس فى الأزهر .

وفى هذا المجال أشار السيد رشيد رضا الى ما حدث عام ١٩١١ (م ١٤) من الحاق الأزهر بالحكومة ، فأصبح من المصالح التابعة للحكومة كسائر مصالحها وهذا ما كان يتقيه ويحذره الأستاذ الامام .

- ٤ -

كذلك فقد كشفت حركة الاصلاح عن زيف القانون الوضعى وحملت لواء الدعوة الى احياء الشريعة الاسلامية واعادة تطبيقها ، وقد كان هذا العمل يجرى فى دقة وتسلسل ضعيف نتيجة ظروف النفوذ الأجنبى المسيطرة ، فقد عرض السيد رشيد رضا كتاب على أبو الفتوح « الشريعة الاسلامية والتوانين الوضعية » باستناضة واهتمام كبير (م ٨) : لا يظن كثير من الناس حتى من المسلمين أنفسهم ان المبادئ المقررة فى الشريعة الغراء لا توافق هذا الزمان الذى بلغ فيه الانسان من التمدن والترقى درجة رفيعة ويتوهمون ان الأحكام والروابط الموجودة فى التوانين الحديثة الوضعية لا تقابل لها فى الأصول الاسلامية وانما هى بمثابة الاختراعات المادية الجديدة التى أنتجها فكر علماء الغرب لم يسبقهم بها أحد ولكن الباحث فى الفقه الاسلامى لا يلبث أن يغير هذا الظن ، ويتحقق من أن أسلافنا وصلوا الى الرفاهية فى تقرير المبادئ العمرانية والاجتماعية والقضائية ، شأوا قلما يجاريهم فيه أحد الا أن صعوبة كتب المتأخرين وكيف تأليفها ، وما هى عليه من التعقيد قد أوصدت الباب فى وجه من يريد الوقوف على حقيقة الشريعة الغراء غير المتعشطين لدراستها ولذلك أشير على من يسلك هذا الطريق أن يقصد التأليف القديمة لأنها أسهل موردا وأغزر مادة مع خلوها من التعقيد ، وبعدها عن المشاغبات اللفظية ، اذكر ذلك على اثر مطالعتى لكتاب « الخراج للامام أبى يوسف - ١٨٢ هـ » عثرت فيه على دزر كثيرة لا أبخل بنظمها فى هذه المقالة حتى يرى المسلمون وخصوصا المشتغلون بالقوانين الامرنجية أن المتقدم لم يترك شيئا للمتأخر ، ولعلمهم

- ٢٠٥ -

ينكبون على دراسة الشريعة والآداب الإسلامية لأنها لا يناهسان العصر الحاضر وما أجدر الحكومات الإسلامية باستنباط قوانينها وأحكامها من الشريعة مع اختيار القول الأكثر مناسبة للزمان والمكان لتكون هذه القوانين والأحكام أكبر احتراماً في النفوس وأكثر موافقة لأخلاق وعوائد من صنعت لهم . وثالث : ان مجلة الأحكام العدلية التي ألفها جماعة من المسلمين أحسن من القانون المدني الفرنسي وقد أمر السلطان العثماني بالعمل بها وإبطال به الامتيازات الأجنبية، فلماذا لم تتبعه الحكومة الخديوية بل اختارت على أحكام الشريعة الإسلامية قانون الحكومة الفرنسية ، كلنا يعرف السبب هو طمع اسماعيل باشا بالاستقلال والانفصال عن الدولة بمساعدة أوروبا التي يتزلف اليها باتباع خطوات مدنيها .

كذلك فقد أشار الى كتاب الشيخ رضوان شافعي المتعافي : الجنائيات المتحدة في القانون والشريعة حيث حاول فيه بيان مقدار المائلة بين قانون العقوبات الأهلية وشروحه وبين الشريعة الإسلامية وقال المؤلف : قلما يوجد في قانون العقوبات حكم لا يوجد له نظير في كتب الفقه مثله أو خير منه فلا عذر إذا لحكومة إسلامية كحكومة مصر أن تستمد قانونها من كتب الأئمة دون كتب الفقه الإسلامي وهي تجد كل ما يحتاج اليه لحفظ الأمن وتأييد المعتدين في كتب الشرع الديني الذي ينسب اليها دولتها وتدين الله به .

وفي هذا الصدد نشرت المنار محاضرة الشيخ على سرور الزنكوني عن نسخ الشريعة المحمدية لما قبلها (م ٣١) حيث أشار الى حقائق الشريعة الإسلامية وضرورة تطبيقها .

- ٢٠٦ -

الكشف عن مفهوم الجامعة الإسلامية التي كان يخشاها اللورد كرومر ويحذر منها ويشير السيد رشيد رضا الى أن تاريخ الجامعة الإسلامية يعود الى انشاء العروة الوثقى ، حيث دعت المسلمين الى الوحدة الصحيحة وأن يجعلوا امامهم الاعظم « القرآن الكريم » وأرشدت العلماء الى اقامة البدع واحياء السنن كما أرشدت الملوك والأمراء ولا سيما المختلفين في المذهب كاهل السنة والشيعة الى الاتحاد والاتفاق وأن لا يجعلوا الخلاف الفرعي

في الدين من أسباب التفرق والانتقسام . وإن العروة الوثقى لها أثر كبير، فهاهنا لها العالم هزة لو طال عليها العهد لزلزلت لها الأرض زلزالا ولنفس المسلمين الى الاتحاد خفائفا وثقالا . قال الأستاذ المفتى محرر الجريدة : حدثني بعض أهل العلم من بغداد اذ قال : كنا نقرأ العدد من العروة الوثقى في مجلس السيد سليمان أفندي نقيب الأشراف فيتفق رأينا على أنه لا بد أن يظهر في العالم الاسلامي عمل كبير قبل أن يصدر العدد الذي بعد هذا ، ولو طال الامد على جريدة العروة الوثقى لحدث في العالم انقلاب مهم ولهيب المسلمون من رقادهم ونشطوا لاسترجاع مجد آبائهم وأجدادهم . كانت العروة الوثقى قبسا من نور القرآن ونفحة من روحه وجدولا من ينبوعه ، خافت الدولة الانجليزية يومئذ مغبة الأمر ولم تكن أقدامها قد استقرت في مصر فحملت حكومة مصر على منعها من دخول البلاد المصرية كما منعها هي من البلاد الهندية ، وكان هذان القطران أهم موارد امدادها . ثم أنشأ نابغة الخطباء والكتاب « عبد الله نديم » المصري مجلة الأستاذ ١٣١٠ هـ وكتب فيها المقالات الطنانة الرنانة في تنبيه المسلمين الى الأخطار المحدقة بهم ولسائر الشرقيين وتنشيط همهم لتلافيها ، ولكن أخرج النديم من مصر لأن جريدته تنفخ روح التعصب الديني ، وفتر الكلام الذي يرمى الى « الجامعة الاسلامية » حتى أنشأ المنار لاهياء تعاليم العروة الوثقى فوضعنا قاعدته على أساسها وأضأنا قمته بنبراسها الا ما كان فيها من السياسة التي تتعلق بالمسألة المصرية والتحريض على الانجليز أن المنار وافق العروة الوثقى في تعاليمها الاجتماعية وقواعدها التي وضعتها للوحدة الاسلامية وخالفها في وجهة السياسة المصرية وزاد عليها البحث في جزئيات البدع وتفصيل القول في التعاليم الفاسدة والعقائد الزائفة والتربية المقيدة . قال صاحب الأهرام : ان في طريق هذه الخدمة خطرا عظيما ، وهو مقاومة أوربا للمسلمين اذا هم حاولوا الترقى من جهة الدين ، وقد كاشف برأيه هذا بعض اكابر علماء الاسلام العارفين بالسياسة (يقصد الشيخ محمد عبده) فراجع العالم القول وكتب يومئذ صورة هذه المذكرة في اجتماع واطلع عليه كاتب هذه السطور بعد ذلك وكنت في صحبة الأستاذ صاحب المؤيد ولم نتفق على نتيجة واحدة . وفي هذه السنة كثرت الكتابة في تنبيه المسلمين فنشر المؤيد كثيرا من المقالات لكتاب من المسلمين في الشرق والغرب

— ٢٠٧ —

وكتبت الأهرام والمقطم عن الجامعة الإسلامية وناقشهما المؤيد فيما كتب .
 وأنشأ اسماعيل عصبرنسكى في بلاد روسيا جريدة أسماها «ترجمان»
 جعل جل مباحثها في الشؤون الإسلامية وأنشأ مدرستين لتربية
 أبناء المسلمين .

وقال : ان الأهرام والمقطم متفتقان على أن الدعوة الإسلامية باسم
 الدين مضره وغير موصلة الى الغاية وأنه لا سبيل الى ترقى الأمة الإسلامية
 الا باتباع خطوات أوربا كما فعلت اليابان ، وقال المؤيد ان مسلك الكتاب
 المسلمين في الدعوة الدينية مفيد كما ان الأخذ بالفنون والصنائع الأوربية مفيد
 واقترح عقد مؤتمر اسلامى في دار الخلافة العظمى : وتعميم التربية والتعليم
 وإنشاء الجمعيات والشركات والمنتديات وتكثير الجرائد باللغات التى ينطق
 بها المسلمون ، والعناية بالقوة الحديثة وتعليم النساء بخصوصهن .

وقال صاحب المنار : ان من يدمى « مسلم حر الاقطار » كتب
 في المقطم بأسف لبناء الدين الإسلامى وزعم أن الدين والدولة أمران متباينان
 يجب أن ينفصل أحدهما عن الآخر ، وأبلغ قول يشير الى أحكم رأى لحو
 السلطة الإسلامية من لوح الوجود نقاتل الله قائله ... (المنار ١٨٩٩) .

وعاود السيد رشيد رضا قضية الجامعة الإسلامية مرة أخرى
 يونية ١٩٠٠ (م ٣) فأشار الى أن جريدة التيمس قالت ان السبب في هذه
 الحركة الإسلامية هي شدة تحامل الأوربيين على المسلمين وذكرت من هذه
 الجزئيات مقالات هانوتو — والرسالة التى نشرها التيمسون في مصر
 وسموها : أيها المسيح أم محمد ، وأشارت جريدة التيمس بوجوب كف
 الأوربيين عن التعرض للدين الإسلامى وقالت أنهم عادوا بعد ذلك للكلام
 عن الجامعة الإسلامية ومزج السياسة بالدين وقال : وتعلم التيمس كما يعلم
 جميع ساسة أوربا وعلمائها أن المسلمين لا وطنية ولا جنسية الا في دينهم .
 وأن الذين تربوا في مدارس الأوربيين حاولوا اقتناع المسلمين بأن نجاحهم
 وسعادتهم في الرابطة الوطنية وشقاءهم في الرابطة الملية التى يطلقون عليها
 عند الذم فقط : لفظ التعصب الدينى .

وفي فصل آخر عن (أوربا والاصلاح الإسلامى) قال : يظن الأوربيون

- ٢٠٨ -

أن الأمة الإسلامية قد قضى عليها فلا يرجى لها حياة اجتماعية فلما رأوا بعض أعضاء هذه الأمم تحركوا ، ذعروا ودهشوا ، أنهم يروعه اسم الإسلام والجامعة الإسلامية والاتحاد الإسلامي ويظنون أن وراءها غارات تشن وحروب تشن وتعصبا يدمى .

* * *

ويصور السيد رشيد رضا خطوات الإصلاح في المجلد العاشر من المنار فيتحدث عن اجتماع الشيوخ في باريس حيث أصدرت العروة الوثقى حيث كان قطب سياستها دعوة علماء المسلمين وعقلائهم إلى النظر في أحوال المسلمين العامة وإرشادهم إلى ما ينهض إلى مجارة الأمم العزيزة ، وكان من رأيها أن يشتغل بذلك أهل كل قطر في قطرهم بالتعاون بينهم وأن يكون لهم مجتمع عام في الحجاز .

يقول : ولما أنشأت المنار اقترحت على مقام الخلافة تأليف جمعية إسلامية في مكة المكرمة يكون لها شعب في كل قطر إسلامي ، وما تقوم به هذه الجمعية من الإصلاح في العقائد والتعاليم الدينية والأحكام القضائية والمدنية ومن تلافى البدع والتعاليم الفاسدة (وان إبراهيم بك نجيب قد أخذ من هذا ما أودعه في مقالاته التي كان ينشرها في جريدة اللواء تحت عنوان حماة الإسلام) ثم ان عبد الرحمن الكواكبي قدم إلى مصر ١٣١٨ ونشر بها كتاب سجل جمعية أم القرى الذي صور فيه انعقاد تلك الجمعية المقترحة خفية دون علم الحكومة العلية في مكة في موسم ١٣١٦ ، كل هذا كان الإصلاح الديني ممزوجا بالإصلاح السياسي على المنهج الذي جرى عليه المسلمون من اشتغال الدين على كل شيء . وجه الامام ذنه بعد مفارقة السيد جمال الدين في أوروبا دعوته هو إلى سوريا ثم إلى مصر يحاول الوصول إلى إصلاح حال المسلمين باقناع الحكومة بسلوك الطريقة المثلى لتربية المسلمين فكتب ثلاثة لوائح (١) أحداها لإصلاح الملكة العثمانية عامة قدمها إلى شيخ الإسلام بالاستانة ١٣٠٤ ليقدّمها للسلطان (٢) والثانية لإصلاح التربية الدينية والتعلم في مصر ولم تعمل الحكومة العثمانية ولا المصرية بما اقترحه عليهما ولو عملت أحداهما به لعملت ما يعجز عنه كل جمعية ومؤتمر لإصلاح الدين . وفي السنين الأخيرة استقر

- ٢٠٩ -

رأيه على اليأس من حكام المسلمين وحصر الرجاء في عقلاء أهل العلم والفضل يدعون إلى الإصلاح حيث يجدون حرية مع تجنب السياسة ظاهراً وباطناً ، ومسألة أهل السلطة سرا وجها والرضى منهم بعدم معارضة الإصلاح في العقائد والأخلاق والآداب وروابط الإجماع الأهلية والقومية ، وكان يرى أن هذا ميسر للمصلحين العقلاء من حكام المسلمين الأوروبيين ، وجاء مصر بعد ذلك اسماعيل عسبرنسكى صاحب جريدة ترجمان التركية (بلاد القرم) واقترح تأليف مؤتمر إسلامي ينعقد في مصر للبحث في الأسباب التي كان بها المسلمون متأخرون عن غيرهم من الأمم وشرط ألا يطرق باب السياسة بل تحصر في الأسباب الاجتماعية والاقتصادية .

(٦)

ويمضى صاحب المنار في طريقه عاملاً على القواعد التي قررناها في هذه المجالات جميعاً ، غير أنه لا يلبث بين آن وآخر أن يذكر مريد الإصلاح بما يجب عليهم لدفع عجلة حركة الإصلاح إلى الأمام فيقول في المجلد ١٣ من المنار : المنار يذكر مريد الإصلاح بوجوب التعاون مبادروا إلى اغتنام فرصة الزمان وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان وما ذاك إلا أن يجتمعوا على حقهم ويوحدوا طريق التربية والتعليم في الجمع من علوم الدنيا والدين قبل أن يغلبكم على الأمة أهل التربية المادية المضطربة ، والتعاليم التقليدية المذبذبة التي تحولهم عن التقاليد الإسلامية إلى التقاليد الأورنجية منهم يدرجون الأمة من تقليد إلى تقليد . ان الإسلام نائم في قلوب العامة فيحتاج إلى الإيقاظ وقد كثرت صيحات الموقظين ، على أنفسنا لا نجاد أعداء الإصلاح بنسيف ولا سنان ، وإنما نجادهم بالحجة والبرهان ونحاكمهم إلى السنة والقرآن ونصبر على ما آذونا ونحسن إليهم وإن أساءوا إلينا ولكن لا نترك أمر الأمة في التربية والتعليم يتنازع التفرنج الحديث والجمود القديم .

ثم يقول : يا أهل القرآن : ان القرآن كان حجة لكم فصار اليوم حجة عليكم ، أخبركم الله فيه ان الأرض يرثها عباده الصالحون وان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وأن حقاً عليه نصر المؤمنين وأن الله تبارك وتعالى ومع الذين آمنوا منكم ومبطلوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض وتبارك : ولن

- ٣٣٠ -

يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا فما بال الناس يرثون أرضكم ويخلفونكم في ملككم ، وأنتم لا ترثون أرضا بل ولا تحفظون أرضا . لقد غيرتم ما بأنفسكم فغير الله ما بكم ، فتنبه الوثنيون وأنتم غافلون واجتمع اليهود وأنتم متفرقون وسبق النصارى وأنتم متخلفون ، اعتبروا بتاريخ من قبلكم وبأحوال الأمم في عصركم ، وتدبروا القرآن وما يبينه من سنن الله في نوع الإنسان .

ولم يتوقف عن الانذار والكشف عن كل محاولات التآمر على حركة الإصلاح ففى : (المجلد ١٩) (١٩١٦/١٩١٧) فصل مطول هاجم فيه الملاحدة المفرغون الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون وقال ان حجتهم على عامة المسلمين سوء حال كثير من المعممين وتذللمهم للأمراء والحاكمين . قال : بلغنا أنهم ألفوا في العام الماضي جمعية لأجل التعاون على تشكيك الناس في الاسلام وجذبهم الى الالحاد والطعن في عقائد الدين وآدابه وأحكامه ، وأنشأوا لهم صحيفة لندس الدسائس (ربما يقصد مجلة السفور) لهذا وجب على أهل الإصلاح اخذ الأهبة لنجهاد جديد هو أشد من جهاد أصحاب الخرافات والتقاليد ، فان أصحاب الخرافات عزل وهؤلاء الملاحدة مسلحون . ان هؤلاء الملاحدة لا يخافون من الأزهر وما يتبعه من المعاهد الدينية ما داموا يدعمون الاسلام بالسنتهم ، بل لا يعدمون هناك أولياء وأنصار لهم فتعذر علينا ما كنا نريد هدمه بدعوى أنه عقبة في سبيل ترقيتنا في دنيا (١) لما بين نفاق الاعتقاد ونفاق الأعمال من رابطة التماسك والاتصال . قال أحدهم مفاكها الأستاذ الامام وهو في مرض موته . (٢) ان طريقتك في تفسير القرآن قد أحدثت أشد الضرر قال الأستاذ لماذا قال لانها أبانت للناس ان الدين موافق للعقل والعلم ويقال ان لجمعية الالحاد الجديدة ركنا في الأزهر ركينا . انهم لا يخافون من الأزهر ولكنهم يخافون من رجال الإصلاح لأنهم أقدر الناس على اظهار عوارهم وتقليم أظفارهم ولأن كل ما يزعموه ويتربون به الى الأمة من السعى الى ترقيتها وتحديثها قد سبقهم اليه طلاب الإصلاح الاسلامي مع المحافظة على مقومات الأمة وتمدينها وشخصياتها ، وانما أركانها الدين واللغة والعادات والأزياء وهم يحاولون هدم ذلك كله بلا استثناء .

وقال ان محاولة الشيخ محمد عبده في التفسير بان الدين موافق

للعقل والعلم وركن من أركان المدنية ، كانت حائلا بين رجال التغريب وبين القول بأن الاسلام عقبة في سبيل ترقية دنيانا .

وقال ان هذه الجماعة معروفة (ولتعرفنهم في لحن القول) فمنهم من يحاول هدم الاسلام بالدعوة الى استبدال لغة العوام بلغة القرآن ومنهم من يبتغى التشكيك فيه بنشر آراء الماديين من القدماء والأوربيين ، ومنهم من يصد عن محجته بتنصّل ما عرفوا من القوانين على ما جهلوا من شريعته .

وقال : اننا بعد أن فرحنا بنصر الله تعالى لحزب الإصلاح على المبتدعة والدجالين فقد ابتلينا بتكوين حزب الملاحدة المارقين وأشار الى جهاد المنار في طريق التصوف والجمود والجبرية ، وقال انه يتوالد أفراد من غرار الشبان وكهول المناهقين ، ولو سسكت لهم أهل الحق على ما ينفثون من سموم أباطيلهم لعظمت جرائمهم ، وانتشرت دعوتهم وليس الاستظهار عليهم بالأمر العسير فان حجتهم داحضة وغوايتهم متناقضة ، وغاياتهم متعارضة ، ويخافون الردة الصريحة ، وان ما يتوخاه هؤلاء من نباهة الذكر عند الأوربيين ، والتشبه بما ناهضوا الكنيسة ورجال الدين ، ليس بالعرض الصحيح ، فهم لا يجدون في الاسلام ولا في رؤسائه تلك الأسباب التي حملت بعض كتاب أوربا على مجاهدة الكنيسة ورجالها والظمن في نص النصرانية فالاسلام نفسه أرشد البشر الى العلوم الكونية وأوجب الفنون ، والصناعات المدنية ، وأخرج البشر من رق رؤساء الدين والدنيا الى فضاء الحرية ، ولهذا وجب على أهل الإصلاح أخذ الاهبة لجهاد جديد هو أشد من جهاد أصحاب الخرافات والتقاليد ، فان أصحاب الخرافات عزل وهؤلاء مسلحون (انا لننصر رسلنا) (ولينصرن الله من ينصره) .

(٧)

لفت نظري أحد الباحثين الى عامل خطير كان وراء حركة جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا هي أنها من حيث لا تدري يمكن أن تحقق للنفوذ الاجنبى (انجلترا أساسا) ما يرغب اليه في تقويض الدولة العثمانية سواء أكان هذا الهدف واضحا للمعاملين أم خفى عليهم ، ولذلك كان الشيخ محمد

- ٢١٢ -

عبده يقول ان الدولة العثمانية ثلاثة العقائد بعد الايمان بالله ورسوله والقرآن .

● كان الشيخ رشيد رضا ينتقد على مصطفى كامل نظريته الوطنية ولكن مصطفى كامل كان يتحرك داخل دائرة المفهوم الاسلامى والدولة العثمانية ، اما سعد زغلول تلميذ مدرسة الاصلاح فانه اول من حطم هذه القاعدة وخرج على المفهوم الاسلامى جملة الى المفهوم العلمانى .

● ان دعوة جمال الدين عن الوحدة الاسلامية كانت تختلف عن دعوة السلطان عبد الحميد ، وكانت الوحدة الاسلامية التى يتحدث عنها السيد رشيد رضا مما يرضى عنها الاستعمار ولكنها كانت معارضة لدعوة السلطان عبد الحميد .

● لقد عرف رشيد رضا بعد لاي ان فرحته بالاتحاديين ونقمتهم على السلطان عبد الحميد كانت باطلة وان الامور تكشففت عن اشياء خطيرة .

● بدأ جمال الدين يفتح ابواب الفكر بالفلسفة وقراءة ابن سينا ووسع الباب الشيخ محمد عبده بالكلام والمنطق ، ولكن رشيد رضا استطاع ان يحرر الفكر الاسلامى بمفهوم اهل السنة والجماعة .

● نقطة حولت كل الفكر الاسلامى الى مفهوم الاصلية ، تلك هى مقاومة جبرية الصوفية والنظر الى الاسلام نظرة سلفية اصيلة ، كان هذا مفتاح العمل الاسلامى فى هذا العصر وكان هذا توسيدا للخطوات التى جاءت بعد ذلك حين بدأت حركة البقطة فى الدعوة الى التماس منهج القرآن فى بناء المجتمع .

الباب الرابع

أحوال العالم الاسلامى

اولا : الدولة العثمانية ..

الاتحاديون والغرب

الكماليون والخلافة

ثانيا : الماسونية والصهيونية

ثالثا : حركات الاصلاح ... الوهابية والسنوسية

الفصل الأول

الدولة العثمانية

يتصل أمر الدولة العثمانية بالمنار منذ نشأته حتى نهايته ، اتصالاً لا يتوقف وإن كان يختلف من مرحلة الى مرحلة ، هذا الاتصال يرجع الى امرين : الأول : أن الدولة العثمانية كبرى دول العالم الاسلامي ودولة الخلافة الجامعة بين الترك والعرب (والثاني) موقف السيد رشيد رضا نفسه باعتباره من القطر الشامي الذي كان جزءاً من الدولة العثمانية ثم أصبح بعد الحرب الأولى : سوريا وقد كان لأهل الشام موقف واضح من الخلافة والسلطان عبد الحميد متأثر بدعائيات الاتحاد والترقي ، وهو موقف مختلف عن موقف مصر من الدولة العثمانية التي كانت قد أصبحت بعد الاحتلال البريطاني ١٨٨٢ منفصلة عن دولة الخلافة وإن كانت موالية لها فقد كانت الحركة الوطنية التي قادها مصطفى كامل والحزب الوطني تعارض النفوذ الانجليزي وتوالى الدولة العثمانية ، وذلك بخلاف موقف الشام (سورية ولبنان وفلسطين) الذي كان مصادياً للدولة العثمانية تحت تأثير الدعايات التي كان يحملها مدحت باشا والاتحاديين والتي وصلت الى غايتها بعد سقوط السلطان عبد الحميد وتولى الاتحاديين الحكم فقد علقوا زعماء العرب في المشائق وأفسدوا الرابطة بين العرب والترك بدعوتهم الى الطورانية باعتبارها قومية بديلة للطابع الاسلامي الذي عرمت به الدولة العثمانية حاملة لواء الخلافة وكان لعمل الاتحاديين في تترك العرب اثره في انفجار مفهوم القوميات المتصارعة : قومية طورانية وقومية عربية ولقد كان السيد رشيد رضا طوال فترة حكم السلطان عبد الحميد منذ نشوء المنار ١٨٩٨ الى سقوط السلطان ١٩٠٨ يكتب كتابات حذرة تخفي الكراهية وتظهر شيئاً من المحاسنة والتقية ، فلما سقط السلطان انفجرت هذه الفقاعة من حملة شديدة عنيفة حملها السيد رشيد على السلطان وفي نفس الوقت كان ترحيباً وتهليلاً بالاتحاديين ، غير أن هذا الموقف لم يابث قليلاً حتى تغير اني شيء من الكراهية والنقد والتحذير لمخططات الاتحاديين دون أن يضعف

مؤلف النقد لأعمال السلطان — هذا النقد الذى قامت به قوى ضخمة منذ اختلف السلطان عبد الحميد مع الصهيونية وقائدها، هرتزل على ادخال اليهود الى القدس — ومن ثم بدأت حملتهم عليه وكان شوام مصر متأثرون بها وداخلون فى تجمعات تابعة للاتحاديين قبل أن يحكموا وينكشف أمرهم .
فهذه مرحلة أولية حتى سقوط السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٨ لها طابع خاص وهناك مرحلة تالية وهى مرحلة حكم الاتحاديين حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٨ وهناك المرحلة الثالثة وهى حكم الديكتاتور أتاتورك الذى ألغى الخلافة الاسلامية وقد امتدت هذه المرحلة حتى نهاية عصر المنار .

المرحلة الأولى : ١٨٩٨ — ١٩٠٨

فى خلال هذه المرحلة كانت أحاديث المنار عن الدولة العثمانية حذرة ولكنها كانت من ناحية أخرى فيها حرص على بقاء الخلافة مع اصلاحها ، ولذلك هاجبت المنار ما أثير حول الخلافة العربية ودور المرجعين بها (م ٢) وفى عام ١٩٠١ (م ٤) أشار الى أن هناك منشورات توزع بمبايعة الخديو عباس بالخلافة واحتلافه مع السلطان (ليونجهى وصالح بدرخان) والمعتقد أن فى ظل ذلك كانت كتابات الكواكبى . كما قدم فصلا استمر فترة طويلة تحت عنوان (قليل من الحقائق عن تركيا) م ٣ وجزت أحاديث كثيرة عن الترك والعرب كان رائدها دغوة الأتراك الى دعم الأواصر مع العرب وعدم احتقارهم ، كما تحدثت المنار عن مشروع سكة حديد الجحاز الذى قام به السلطان عبد الحميد (م ٦) وأفردت المنار فصولا ضافية عن الدولة العثمانية تحت عنوان (الدولة العلية) تحدثت فيها عن أركان الإصلاح وامتيازات الأجانب والتجارة بينها وبين أوروبا واحتلاف الأديان كما تحدثت عن السلاطين العثمانيين سليم وسليمان القانونى وعبد الحميد (الأول) وعبد المجيد ومحمد الفاتح (م ٢ ، ٣) .

وخطأ المنار الكاتبين فى الحث على الالتجاء لدول أوروبا والاعتماد عليها فى التزام الدولة العلية بالاصلاح على الوجه الذى تراه تلك الدول وقال انه غاية هذا الاتجاه هو تسليم البلاد لهما وقال : اننا فنحن هذا القول

الفاسد من قبل وهو لمن يسمون أنفسهم بالأتراك الأحرار وقال : ان الإصلاح لا يكون بتقليد أوربا في جميع الشئون وهو ضلال أى ضلال .

وتحدث السيد رشيد رضا عن (تعزيد أوربا على الدولة العلية) م ١ :

وقال : ان أسوأ مظاهر حبها وطمعها وبغضها ما كان في السنين الأخيرة من أرمينيا وكريد ولقد عادت هذه السياسة السوای من أوربا بالضرر على النصارى والمسلمين معا ، فكان ذلك فضيحة لدعواها حماية النصارى في بلاد الدولة وتناول المنار أحاديث عديدة عن العروبة والاسلام ، والوحدة العربية والترك وإماض في الحديث عن مدينة العرب ودور العرب في الحضارة الاسلامية ، ولا بد ان هذه المقالات كانت تكتب كرد فعل لما كان يدور في كواليس من أسماهم الأتراك الأحرار من تحقير للعرب وامتهمان للاسلام ، ومحاولة الانفصال الفكرى عنهم وهى النزمة التى استطاعت ان تقضى على الدولة العثمانية والخلافة من بعد والتى كانت وراءها قوى الصهيونية والغرب وروسيا من أجل ما أسماه (القضاء على دولة الرجل المريض) .

وقد أشار الى هذا المعنى في مقدمة مقالاته (مدنية العرب) فقال : لم نخرج عن التوجيه والتأليف بين العناصر كلها وانما أشرنا الى بعض نزعات التعصب الجنسى عند الترك ولا شيء يقرينا من اخواننا الأتراك ويجعل لنا قيمة في نفوسهم الا الاعتقاد بأننا شعب يفهم ويشعر فيسر بالكرامة ويتألم من الاهانة ولا نعنى بالوحدة العربية ان ينفصل العرب عن سائر المسلمين أو عن الترك بل نعنى بأن كل شعب يمهّد في ترقية نفسه ملاحظا أن في تربيته ترقيا لسائر الشعوب التى تتكون منها الأمة .

وقد أوردت فصول مدنية العرب كتابات عن أثر المسلمين في الحضارة العالمية كالأطباء والفلك وغيرها .

وقد عنى السيد رشيد رضا بدعوة الشعب التركى لتجديد حكومة الخلافة الاسلامية بقصد الجمع بين هداية الدين والحضارة لخدمة الانسان لا لتأسيس عصابة اسلامية تهدد الدول الغربية وذلك بانهاض الشعب التركى من كبوته التى قضت على السلطة العثمانية وتوثيق عرى الاخاء

- ٢١٧ -

بين الدولتين الأفغانية والإيرانية والدعوة إلى شدة أواصر الإخاء مع الأمة العربية والتعاون معها على إحياء المدنية الإسلامية وتجديد حكومة الخلافة على القواعد المقررة في الكتب الكلامية والفقهية (م ٤) .

المرحلة الثانية : (١٩٠٨ - ١٩١٨)

الاتحاديون والجمعية الطورانية

في مستهل هذه المرحلة كان حادث عزل السلطان عبد الحميد ، ومن ثم بدأ المنار موقفا جديدا من الدولة العثمانية بدأه على هذا النحو (م ١١) .

[اعظم أحداث هذا العام هو اعلان الدستور العثماني]

وتحفل المنار بفصول ضافية حول هذا المعنى وقد كشف السيد رشيد عن أنه كان مع الاتحاديين أو من الاتحاديين ومعهم طموال هذه الفترة وبدأ الهجوم على السلطان في صراحة وعنف وعلان الإعجاب بالاتحاديين في حماسة وكشف كثيرا من الصفحات عن سياسة السلطان مما كان يجمعه ويحققه في الفترة الماضية حرصا على أن لا يحجب المنار عن أهل الشام كما سافر الشيخ رشيد إلى سوريا بعد أن حيل بينه وبين ذلك أحد عشر عاما ، وكانت له خطب ومحاضرات في مختلف البلاد .

وبدأت المنار تنشر فصولا عن الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة (محمد زوحي الخالدي) بدأت م ١١ (ج ١٠) ص ٧٤٢ واستمرت وهي جديرة بالبحث والمراجعة في شأن التاريخ لهذه المرحلة من وجهة نظر شامية من أولياء الاتحاديين .

وكتب رشيد رضا يقول : حدث ١٣٢٦ هـ الانقلاب العثماني الذي كنا نسعى إليه في الخفاء ثم خلع السلطان عبد الحميد الذي كان مانعا بلاده من كل علم وعمل نافع يجب على المسلمين القيام به مجتمعين وقد سمعيت إلى تحسين التفاهم بين العنصرين القوميين لهذه الدولة وهم العرب والترك اللذان سميتهما العنصرين المكونين للماء أو الهواء .

وقد أشارت المنار إلى أن السلطان عبد الحميد تولى في شعبان ١٢٩٣ هـ وأن السنة الثالثة والثلاثين (١٩٠٨) كانت خاتمة حكم السلطان نفسه وبقبضه عن زمام السلطة بيده فإن اعلان الدستور حول

الحكم ولى الوزارة ومجلس الأمة ، وقد استمر السلطان بعد أن تولى الاتحاديون الحكم حتى عزل في مايو ١٩٠٩ حيث صدر المنار .

(٢٩ ربيع الآخر ١٣٢٧ هـ — ١٩ مايو ١٩٠٥ م) مجلد ١٢ تحت هذا العنوان : « احدى الكبر وكبرى العبر » : خلع عبد الحميد خان ، نفيه من دار السعادة ، وضعه تحت المراقبة العسكرية ، ضبط أمواله ونخائره وعقاره ، اباحة يلدز للأمة ، تولية مولانا السلطان محمد الخامس .

وقد سافر السيد رشيد رضا الى الأستانة للاتصال بحكومة الاتحاديين وأمضى هناك عاما كاملا للسعى في شأن الوحدة بين العرب والترك وحماية اللغة العربية ولكنه أحس بأنهم يراؤفونه وعاد دون أن تحقق مساعيه أى تقدم يذكر ، وكشف في (المجلد ١٤) عن مفاهيم جمعية الاتحاد والترقى وموقفهم من الاسلام فسر أنه إبان الحملة التى شنّها السيد رشيد رضا وشنتها صحف المقطم والهلل وغيرها على السلطان بمناسبة عزله كانت هناك كلمة تقال في جزء آخر من العالم الاسلامى تختلف من هذه النغمة ، فقد نشرت جريدة وطن التى تصدر في لاهور (الهند الاسلامية) بقلم مولوى محمد من الانقلاب العثمانى فصلا ضافيا تحت عنوان (الانقلاب المشنوم في الدولة العلية) قالت : نبأ عزل السلطان عبد الحميد الثانى عن عرش الخلافة والسلطنة العثمانية بقرار مجلس الأمة اجماعا على عزله . هل انعزل جلالته من عند نفسه أو عزلته جمعية الاتحاد والترقى التى كانت عند أول ظهوره في بدء احياء الدستور العثمانى أخيرا مظهرة عزمها على ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء لكون أعضائها من الناقمين من جلالته أو الخائفين من ذاته على الدستور .

ان الملاينة والانقياد لم تجد جلالته نفعا وصارت الجمعية تلعب وتلهو به كما تلعب الهرة بالفأرة التى تريد ائتراسها وقد أخذت الجمعية تمهد لعزله بأبعدت عساكر الأستانة وأرسلتها الى الولايات ووضعت دار الخلافة تحت حماية العساكر الموالية للدستور التى جاءت بها من سلانيك وغيرها وطلب من جلالة السلطان أن يرضى بوضع فيلق الحرس الهمايونى تحت امرة نظارة الحربية . ان جمعية الاتحاد والترقى كانت لا تزال تعتمد على الجيش في حفظ الدستور ولذلك لم تكن تسمح بإبعاد العساكر المواليين للدستور

- ٢١٩ -

الى الولايات . وترى المبعوثين او حزب تركيا الفتاة تائهين في تيه الضلالة وناسين واجبات صلاح الدولة والمملكة باسراعهم في عزل عبد الحميد عن عرش الخلافة وعدم تبصرهم في غوائل الأمور .

ولى عبد الحميد الملك والسلطة في أسوأ الحال من الانفلاس وعدم قوة الحربية وخلل النظام الداخلى وهجمات الأعداء الخارجية وكانت الأمة جاهلة عارية من العلوم منقسمة على نفسها أى انقسام ، أدى ذلك الانقسام الى ضعفها واضمحلالها الى حد حكم العالم بموتها فشر عن ساق الجسد وقوى مركزها بين الدول وأصلح الخزانة وعمرها حتى جعل لها اعتبارا ماليا في أسواق أوربا ودرب الجيش على قواعد الحرب الحديثة وأكمل تسليحه بأحدث الآلات حتى صار الجيش نفسه القلعة بعد أن كان ...

ثم سعى في انتشار التعليم والعلوم الحديثة في البلاد واقتلع صدا الجهل من مرارة قلوب العباد ، قضى ثلاثا وثلاثين سنة يجتهد وراء سعادة الأمة والملة وعمل من أجل رفاة البلاد والسلطة فعمر الطرق وبنى السكك الحديدية وأجرى الترع والقنوات وأخصب المفاوز والقفار وأوصل الأقطار بالأقطار وحفظ السلطة من الضياع أمام الأعداء الأشرار ففاز في كل المواقع السياسية المشهورة بهمة الشفاء غير مضيع نفسه ومضيع مركزه . وكان في كل زمان عاملا نشيطا وسلطان صارخا لا يعرف الملل ولا يعتريه الكلال . يعمل ثمان عشر ساعة في كل يوم ، ويشغل في مهام السلطة كادنى خادم للملك والملة .

(اقرأ المقال بكامله في المنار م ١٢ ص ٣٠٠ ، ٣٠١ وما بعده) .

● بل ان الصحف الأوربية المعادية للمسلمين لم تعدم ان تتحدث من شخصية عبد الحميد ، قالت جريدة أبزور تحت عنوان خلع السلطان عبد الحميد : ان خلعهم قد ذهب عن مرسح العالم السياسى بسخط مفرد كان له نفوذ عظيم في تكييف التاريخ الأوربى منذ ثلاثين سنة وقبض في راحته على مفاتيح الأسرار الدولية في الغرب ، وكان احساسه نقل حجارة الشطرنج على رقعة السياسة الأوربية موضع اعجاب ساسة المسيحيين وحسد هم ويأسهم ، وكان حسن تبصره في مشاكل الشرق الأدنى هو الباعث الوحيد علي انقاذ تركيا من الوقوع في أيدي جاراتها القوية الطامعة *

- زبدة -

اذ لا يخفى ان الدولة العثمانية انما فقدت بلغاريا والبوسنة والهرسك على عهد الحكومة الدستورية وسيفتح التاريخ فصلا كبيرا خطرا لوصف حكم عبد الحميد العظيم الشأن ويعترف بأن الفضل في سلامة المملكة من الفوضى وتحول الاتحاد الأوربي عليها عائد الى حنكته وحكمه ، فانه لم يسبق لملك سواه من التقدميين أو المعاصرين أن لاقى ما لاقاه عبد الحميد من العقبات الشديدة داخلا وخارجا وهو معرض كل يوم للفتنة المريبة والبلاغات الواردة عليه من كل جانب ومع ذلك فانه كان ينجلي عنه بثمار تلك الحوادث ظاهرا نائزا بفضل حكمه وحنكته وهو الآن قد ترك العرش في ظروف مخربة .. ان خصومه وأعدائه قد اتفقوا على الاعتراف بمقدرته السياسية وقدرته على افساد مساعي الأعداء الذين أحاطوا به من كل جانب وحبه الذي لا ينكر للاسلام وجمع ما له علاقة به وانما المستقبل وحده يستطيع أن يحكم الحكم البات في شخصه وأعماله يبني عليه أو يقصى بعد .. الذين دسوا الدسائس لخلعه ، على أن الدور الأخير من حياته جاء موافقا لما علمناه من حياته الشريفة فانه منع سفك الدماء ، ووعد أن لا يهجر بلدز ورضى بالخلع المقدر له من أمد ، ولم يطلب من القوم الا أن يسمحوا له أن يقضى بقية حياته مع أولاده في القصر الذي ولد فيه على أنهم لم يجيبوا طلبه بل نقلوه الى مدينة بعيدة سجننا في بلاده ومع ذلك فقد تصرف بأئفته المعهودة وصبره المعروف الذي يليق أن يفاخر به .

كذلك فقد كتبت جريدة وطن الهندية ردا آخر على المنار (ص ٤٥٠ م ١٢) وكان محمد روى الخالدي قد نشر فصولا تحت عنوان الانقلاب العثماني ، كما نشر سليمان البستاني كتاب الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده وجميل معلوف عن تركيا الحديثة وكلها تناولت الحملة على السلطان الذي وصفته بأنه تأمر على حكومة محنت الأولى وتحدثوا عن انسجون والاغراق في لجج البسفور وجواسيس السلطان ، وكلها شبهات تكشفت في السنوات الأخيرة بعد أن وضحت الحقائق ولم تكن على هذه الصورة العنيفة التي أراد بها النفوذ الأجنبي تبرير خلع السلطان مع اخفاء الغاية الحقيقية وهي تمكين الصهيونية من فلسطين ، والمعروف أن من يسمون الأحرار أتباع محنت وجماعة تركيا الفتاة والاتحاد والترقي كانوا

- ٢٢٣ -

قد وقعوا تحت تأثير جحافل الماسونية وحملوا لواء الحق على السلطان وخفى عنهم الجوانب القوية في شخصيته وخاصة موقفه من المؤامرة الصهيونية التي حاولت اغراءه بالمال ثم انتقمت منه لموقفه الحاسم .

● وقد استرجع السيد رشيد رضا الدور الذي قام به عبد الرحمن الكواكبي حين جاء مصر في وقت كان الخلاف قائما بين الخديو والسلطان وارتاح الانجليز الى مطالبته بالخلافة العربية وكتب هو عن حسن نية في جريدة المؤيد تلك الفصول عن الاستبداد يريد بها السلطان عبد الحميد بدون انعام النظر السياسى وهم من خبت طوية لان تقهقر الدولة لم يكن قاصرا عليها فقط بل كان ماسا بمصالحها (وهذه عبارة السيد رشيد رضا في بحثه عن الخلافة الاسلامية والجامعة العثمانية م ١٣) ويقول وقد ألف كتابه (أم القرى) ولو أنعم نظره السياسى لرأى الضرر الذى يلحق العالم الاسلامى بوجه عام والشرق الأدنى بوجه خاص من جراء هذا المسمى ، ولم يقتصر الانجليز عند حد استغواء هذا العالم من الذين لا يلمون كثيرا بالاعتبارات السياسية والظروف المصوبة .. » .

- ٢ -

في عام ١٩٠٨ - ١٩٠٩ (م ١١ من المنار) لم تكن الأمور قد تكتشفت بعد عزل السلطان عبد الحميد ، ولم تسفر جمعية الاتحاد والترقى عن غاياتها الحقيقية ولذلك فان العرب خاصة واطام الشام كانوا مؤيدين لها (الشيخ رشيد رضا ، عبد الرزاق البيطار ، جمال الدين القاسمى) وفي هذه الفترة كانت وجهة السيد رشيد رضا هادفة الى الوحدة والوئام بين مصرى الدولة العثمانية .

فيقول : [ان ابعاد العرب عن الترك مفسدة من آخر المفاسد وانما فى أشد الحاجة الى الاتحاد بالترك والاخلاص لها لان مصلحتنا ومصلحتهم فى ذلك] .

ويقول : يجب على العرب أن لا ينسوا فى اتحادهم بالترك أنفسهم ويتكلموا على غيرهم بل يجب عليهم مجاراة اخوانهم فى التربية التى يقتضيها حال العصر وتحصيل العلوم والفنون التى عليها مدار العمران ليكنوا

- ٢٢٢ -

يدا واحدة في احياء الدولة وليقدروا على ترقية ثشان بلادهم واستخراج خيرات العظيمة ثم ليكونوا اهلا لادارتها بأنفسهم .

ويقول : الدعوة أن تكون كل ولاية من ولايات الدولة مستقلة عن ادارتها الداخلية ويعبر من ذلك بعدم المركزية لأبد من استقلال كل جنس بنفسه ، أن نبني حاضرتنا ومستقبلنا على الاخلاص لدولتنا والاتحاد بالترك وسائر العناصر العثمانية ما دامت هذه العناصر متحدة بالدولة مخلصه لها ، وإن نكون الآن من أشد الأعوان لجمعية الاتحاد والترقي على بث روح الدستور في جميع الطبقات ورفقاء على الحكومة في سيرها وأعمالها . والدعوة الى الأخذ بالعلوم الرياضية والطبيعية التي هي حياة الأمة في هذا العصر واصلاح طرق التعليم بانشاء المدارس الأهلية والجمع بين الاسلام تربية وتعلما وبين تحصيل العلوم العصرية الكثيرة التي تقوى بها الأمة وتعزز الدولة . وقد كان العلماء السابقون يذمون العلوم الطبيعية وينهون عنها ويقصدون النظريات اليونانية في الالهيات التي تخالف أصول الدين » .

هكذا كان يكتب رشيد رضا في أول امر الاتحاديين بنية المصلح المخلص المؤمن بأن هؤلاء القوم يريدون اصلاحا يترايط فيه عنصرى الأمة على رفع شأن الاسلام ولكن الايام كشفت حقيقة الاتحاديين فكان رشيد رضا أول من حمل عليهم وفضحهم في العالم الاسلامى كله .

- ٣ -

فهو لا يلبث أن يتحدث عن الاتحاد والترقى (المنار م ١٤ سنة ١٩١١) يقول : اشتهر أن الانقلاب العثمانى كان بتدبير جمعية الاتحاد والترقى في سلانيك ومناستر وعرف الخاص والعام أن الانقلاب كان من عمل الجيش وبهذا حلا مقام كل ضابط عثمانى ورفع اسم (انيازى ، أنور) على كل اسم ولكن خفى اسم (صادق) وهو أجدر بالظهور فهو رب الدستور وحاميته وقد رفعت الأمم اسم الاتحاد والترقى بعمل صادق بك الخفى واخلاصه العظيم وكان أنور ونيازى سيفين من سيوفه (كتاب خاطرات نيازى) ولما وزعت المناصب طلعت للداخلية وجاويد للمالية وأحمد رضا رئاسة المجلس ؛ وتقدم اليهود في نظارة المالية على غيرهم وأعطوا كلمة الماسونية

والاسراف في نشرها وتقديم المقدمين منها على غيرهم وجعل مقام الخلافة كالمجرد من كل سلعة ونفوذ . وجاهد صاحب جريدة (طنين) المحامي عن جمعية الاتحاد والترقى بقلمه المسموم حتى سمى (سفيه القسوم) وأقيمت في الآستانة سنة كاملة وقفت فيها على غوامض سياستها ومخبراتها صناديق أسرارها ، ان هؤلاء الزعماء كلهم من شيعة الماسون ويجهرون في نشرها وقد جعلوا رجال الحكومة من أعضائها كما ينشرونها في ذباط الجيش وقد يكون هذا تهيدا للفصل بين الدين والسياسة وتجريد السلطان من صفة (الخلافة الإسلامية) ومن لوازم تشيعهم للماسون قوة نفوذ اليهود فيهم وفي الدولة وذلك يفضي الى فوز الجمعية الصهيونية في استعمار بلاد فلسطين التي يراد بها إعادة ملك اسرائيل الى وطنهم الأول وإلى ابتلاع أصحاب الملايين من اليهود لكثير من خيرات البلاد .

ويقول : وقد جعل السيادة للشعب التركي والتوسل بقوة الدولة الى اضعاف اللغة العربية واماتتها في المملكة وتترك العرب من ابقائهم ضعفاء بالجهل والضغط ومنع الألبانيين والاكرد من تدوين لغتهم وجعلها لغة علمية وقفت الآستانة على هذا ورأينا أهل الرأي والعبرة يتوقعون الفتن ويخافون العواقب ولم أحب ان أشرح هذه الأمور وأبين ما فيها من الخطر بل سعيت الى الإصلاح ما استطعت فلم يغن نصحي لهم شيئا ولما عدت الى مصر أثرت بلطف الى ما يخشى من خطر اليهود والماسون في هذه المملكة الإسلامية » .

وتوالت الكتابة بمزيد من الكشف عن دور الاتحاد والترقى مما ينفع الباحث اليوم بعد سبعين عاما في معرفة ما يدور في فلسطين وتركيا على السواء . ففى (المجلد ١٧ سنة ١٩١٤) مزيد من الكشف عن موقف الاتحاديين بعد الحرب البلقانية وإشارة الى حزب اللامركزية في مصر والمؤتمر العربى في باريس ومحاولة التفاهم تحت اسم العثمانيين ، حيث يجرى الحديث من حقوق العرب في المملكة العثمانية والدعوة الى نظام اللامركزية وإشارة الى أن الحكومة الاتحادية أضاعت بحجبها وغرورها وخبت طويتها جميع الممالك العثمانية الأوروبية والأمريكية وأشار الى تضيق الاتحاديين بحقوق الدولة في خليج فارس والعراق والطرف الشرقى من جزيرة

- ٢٢٤ -

انعرب والتزلف بذلك الى انجلترا ، وأشار الى الاتفاق بين تركيا الاتحادية والانجليز حيث تنازلت الدولة العلية عن جميع حقوقها في جزيرة قطر وفي الكويت وأشارت الى استيلاء الملك عبد العزيز على الاحساء والقطيف والغفر (عسير) .

ولم تمتنع المنار عن نشر ما سجلته جريدة دين ومعيشت التي تصدر في روسيا (أرنبورغ) عن موقف البلاد الاسلامية من السلطان عبد الحميد حيث قالت الجريدة :

انهزم العثمانيون لانهم استوجبوا غضب الله تعالى فلم ينصرهم وذلك أنهم خلعوا سلطانهم الذي خدمهم ٣٣ سنة خدمة جليلة وانهم لم يعرفوا قدره بل عزلوه عن منصبه وأسقطوه عن عرشه ومزقوه من تاجه فان الله حرهم من الاراضي والادوية كلها وتركهم أذلاء في العالم ، كان في مقدمة هؤلاء الناس الذين بغوا على السلطان عبد الحميد أنور بك ونيازی بك اللذان هما قدم شؤم أحدهما قدم بلاد الارناؤوط فذهبت تلك البلاد ، وثانيهما قدم طرابلس الغرب فذهبت الى الطليان .

ولشار المنار الى دور الاتحاد والترقي في انعاش الماسونية وأن الماسونية راجت بسعيهم وانهم أسسوا لها (شرقا عثمانيا) رئيسه طلعت بك ، وقال ان في رواج الماسونية في رجال هذه الدولة الاسلامية من الخطر ما فيه وقد ترجمت مجلة (دين ومعيشت) الروسية ما كتبه المنار وزادت عليه أن أركان الدولة والقائمين بأعمالها جميعا من الخفير الى السلطان ماسونيون يجعلت الماسونية في رجال الدولة مفضية الى هدم الدولة الاسلامية وتأسيس دولة ماسونية (وهذا ما حدث بالدور الذي قام به مصطفى كمال من بعد) وقال السيد رشيد رضا : أرجو أن يكون رجال الاتحاد والترقي قد اعتقدوا أن دولة عريقة في الاسلام وارثة لمقام الخلافة الاسلامية لا يمكن أن تدور رحاها على قطب الماسونية وان العناصر العثمانية لا يمكن ادغامها في العنصر التركي وانما من المملكة هو اثلاثها معه باقامة الدستور (صصادق ، طاهر ، رحيم ، ناظم ، طلعت ، جاويد) وجهاد أشدهم عنفا .

— ٢٢٥ —

وأفرد السيد رشيد بحثا تحت عنوان اليهود في المملكة العثمانية ، قال فيه : خبرنا الأساتذة باقامتنا فيها سنة كاملة فرأينا أن نفوذ اليهود في جمعية الاتحاد والترقي عظيم وأن ناظر المالية اسرائيلي النسب وأنه جعل كاتب سره وكثيرا من موظفي نظارته من اليهود فعلمنا أنه سيكون لليهود شأن في هذه المملكة وآمالهم في القدس وفلسطين معروفة ومطامعهم المالية في المكان بعظم نفوذهم فيه غير مجهولة . وجاءت أنباء مجلس الأمة العثمانية مصدقة لما قلناه فقد خطب بعض النواب المستقلين والمعارضين للحكومة خطبا نبهوا فيها على خطر جمعية اليهود الصهيونية على المملكة العثمانية.

— ٤ —

الجمعية الطورانية

وتحدث المنار (المجلد ١٩) عن الجمعية الطورانية ثمرة الاتحاد والترقي فقال : بدت طلائع الطورانية الحديثة في الأساتذة عام ١٩١٣ ثم أخذت تمتد وتزداد جلاء حتى أصبحت نهضة عامة في جميع أنحاء السلطنة العثمانية وخلاصة ما يعرف عن هذه النهضة أنها تركية محضة غرضها الأصلي الانفصال عن الاسلام ولها أغراض عديدة :

- ١ — جعل الجنسية التركية مستقلة عن الاسلام .
- ٢ — ترقية الروح العسكري في الأتراك .
- ٣ — انشاء علاقات تجارية وغيرها مع مسلمى أذربيجان وروسيا الآسيوية وروسيا الجنوبية .
- ٤ — تطهير اللغة التركية من كل ما هو عربى أو فارسى .
- ٥ — محو الجنسية العربية وإدماجها في الجنسيات الأخرى .

ويرمى القائمون بهذه الحركة الى جعل التركى يعتقد أنه تركى قبل كل شيء ومسلم بعد ذلك وتربية الأجيال الحاضرة والمستقبلية على الروح الطوراني بانشاء مدارس طورانية والتوسع في تعليم التاريخ باللغة التركية واشارات الفرقة ورواياتها مأخوذة من رموز ترجع الى ما قبل الاسلام واشارات الفرقة ورواياتها مأخوذة من رموز ترجع الى ما قبل الاسلام والأولاد الذين لهم أسماء عربية يستبدل أسمائهم بأسماء تركية بحثة

(مع العودة الى كتاب المسيو ليون كاهون عن تاريخ الترك والمغول منذ اقدم الأزمنة الى ١٤٠٥ للميلاد) وقد توجت الاكاديمية الفرنسية هذا الكتاب واتفق أن ناظم بك سكرتير جمعية الاتحاد والترقى العام قرأ هذا الكتاب فوضع أساسات النهضة الطورانية التى نحن بصدددها ، واعتقادهم صحة النظرية التى ابتدعها (ممبرى) وهى أن الاسلام يناقض فكرة الجنسية فالاتحاديون يقولون : ان الاسلام بالاتحاد مع العوامل العربية والفارسية والرومية والبيزنطية قد جعل الأتراك (مسلمين ليفانتين) وحال دون نشوء حضارتهم ، ان هذه الدعوى على عكس الحقيقة تماماً فإن الأتراك الذين جاءوا أصلاً من حدود الصين انتشروا في مجاهل آسيا حتى ضفاف (الأوكسوس) لم يكن لهم دين معروف أو حضارة راقية لأنهم كانوا قبائل رحل يؤجرون سيوفهم لكل من يطلب معونتهم ولم يحاول أحد قواد الأتراك أن يخضع جميع القبائل التركية . نعم ان جينكيز خان كان يحلم بنشر سلطانه عليها ولكنه لم يفعل وكل ما لدى الأتراك من حضارة هى بفضل الاسلام اذ لم يكن للأتراك حضارة خاصة بهم ، ولما كان التركى مشهورا بروح الخضوع العسكرى لمن يقوده فقد جعل نفسه سيفاً في قبضة الاسلام ، ان العنصر الطورانى لم يشتهر بشئ من قوة الابتداع وما تاريخه الا تاريخ تدمير ، ومما يدل على ان العقل التركى ليس عقلاً مستنبطاً انه لم يأت بمستحدث في الاسلام بل هو اتخذ الاسلام ودان به كما هو ، ومما تسعى اليه النهضة الطورانية الحديثة انشاء امبراطورية حربية واسعة الأرجاء تضم تحت ألويتها جميع قبائل التتر والمغول الخاضعة لروسيا أو لأى دولة أخرى أما الجنسية العربية فيجب إبادتها وادماجها في الجنسية التركية لذلك تراهم يسعون لتتريك العناصر العربية بحسب الأساليب البروسية ، قال جلال نورى في كتاب الله : ان بلاد العرب لاسيما اليمن والعراق يجب تحويلها الى مستعمرات تركية لنشر اللغة التركية التى يجب أن تكون لغة الدين .

وعرض السيد رشيد رضا لموضوع (الاسلام والجامعة الطورانية) وكيف يسعى الاتحاديون للانشاء الحضارة الاسلامية فقال : اقامت في الاستانة سنة كاملة اختبرت فيها الاتحاديين اختباراً تاماً لا أزال أرى

- ٢٢٧ -

فى كل سنة من الايات ما يؤيده ويقتضى بأتى قد استتبقت الى ادراك ما لم يدركه كله العثمانيون ولا الاجانب ، ولو كنت ممن يبيع دينه وقومه بالمال والجاه لامكننى أن أنال فى الآستانة من الاتحاديين أنفسهم ما لا مطمح لعربى من نيل مثله فقد منانى الاتحاديون اعظم الامانى لانهم كانوا يظنون انى ما دافعت عنهم ورددت على من سبق الى رميهم بالسكر والاحساد وانساد هذه الدولة الا لان اسلامى سياسى يدور مع المنفعة انى دارت .

لقد حملت على الاتحاديين بعد عودتى من الآستانة حملات مفكرة لم يحمل عليهم أحد بمثلها من الشدة ، كما تعلمون اننى لم اكتب شيئاً ينافى مصلحة الدولة العثمانية نفسها ولا شيئاً ينافى الاخاء الدينى بين العرب والترك فانا لم أعاد الدولة ولا الترك ببيان فضائح الاتحاديين ، والذين كانوا يعرفون مقاصد الاتحاديين الاحادية من العرب قليلين جداً ولعلمهم لم يكثروا الا بعد أن رأى من رأى خواص العرب فى سوريا مصلوبين فى أعظم مدنها عمراناً وسمع من سمع بأخبارهم ثم بما كان من أمرهم مع الشريف الأكبر أمير مكة المكرمة .

وأشار الى كتاب للاتحاديين تحت عنوان (قوم جديد) وكتاب اتحاد اسلام فقال : انه وسع الحديث عن الحركة الطورانية الحديثة وكشف عن أن فرضها هو هدم المدنية الاسلامية واحياء العصبية التركية على انقاضها والجمع بين العناصر التركية الثرية والشعوب المسلمة اليها وفيها الامة البلغارية ، والقائمون بها قوم مشهورون بعدائهم للاسلام وبغضهم عليه وكثيرا ما يجاهرون بأقوالهم وكتاباتهم بحجة أن الاسلام يسعى لقتل العصبية القومية وتحول دون نشوء المدنية التركية ولذلك فهم يسمون لجعل الجنسية التركية مستقلة عن الاسلام كل الاستقلال ولهم فى ذلك وجهان : تهجير الشعوب الطورانية والقضاء على العصبية العربية .

— ٢٢٨ —

— ٥ —

وأورد (المنار) في مجال الكشف عن الاتحاديين منشور شريف مكة وأميرها الذي أعلن فيه الحرب على الدولة العثمانية والانفصال عنها (١٩١٦) حيث أشار المنشور الى فئة الاتحاديين ووصفهم بالباغين وقال انها هي التي جنت على الدين والدولة والأمة فأنحرفت عن صراط الشريعة وأبطلت بعض أركان الاسلام وغيّرت أحكام القرآن وحجّزت على السلطان حتى منعه من التصرف لشئون خاصته وقصره ، ونكّلت بالأمة فلم ترع حقوق الاسلام ولا عهود الذمة وخصت العرب بالاضطهاد فصلبت في الشام كثيرا من أهل العلم والرأى والفضل واستحلت مصادر الأموال واخراج النساء المخدرات والأطفال من ديارهم وأموالهم ونفثهم الى بلاد الأناضول من غير ذنب وبغير قيم شرعى ، ثم ذكر تقبحهم بالدولة في هذه الحرب وتغريضهم أياها للخطر وما جنّوه على البلاد . ثم بين أن بلاد الحجاز اضطرت بسبب تلك الجرائم والمفاسد العامة التي اجترمها الاتحاديون الى اعلان استقلالها بنفسها دونهم حرصا على دينها وعلى جنسيتها العربية لأن الاتحاديين يتعمدون افساد هذا الدين ويحو هذه الأمة العربية من لوح الوجود وحسبنا برهاننا على ما تكنه صدورهم نحو العرب والدين رميهم البيت العتيق بقتلتين من قتابل مدافعهم أثناء قيام البلاد بالمطالبة باستقلالها ... » .

وواصل السيد رشيد رضا في المجلد ١٩ تطورات الأمور بالنسبة لحزب الاتحاد والترقى فأشار الى ما ينشره حزب تركيا الفتاة الذين تعتمد عليهم جمعية الاتحاد والترقى في تحويل الترك عن الاسلام والتشكيك في عقائده وشريعته والتثويه لآدابه ومضائله والمحو لعصبية من القلوب واستبدال صبغة جنسية طورانية بها .

وقال ان الشريف حسين وجريدة القبلة التي يصدرها محب الدين الخطيب في الحجاز تعتقد أن الاتحاديين ملاحدة ويكيدون للدين الاسلامي على ما لهم فيه من المنافع السياسية والمالية ، وانهم أشد الناس عداوة للعرب ، وأشار الى سوء نية الاتحاديين وخبث ما أضمره للعرب وما فعله

-- ٢٢٩ --

جمال باثما في سوريا وانهم كانوا يتأولون للاتحاديين ويرجون صلاحهم ولكن تبين لهم أن بغضهم للعرب أشد من بغضهم للروم والأرمن لسببين أحدهما أنهم أعظم أركان الاسلام وأنصاره ، وثانيهما أنهم أكبر الشعوب العثمانية وأكثرها عددا وانهم يهدفون الى إبادة الشعب العربي الناصر للانسلام وتترك بلاد الخصبه واذلال أهل الجزيرة العربية الأشداء باضعافهم وتزع السلاح منهم وان ملاحدة الاتحاديين أسرعوا في تنفيذه خطتهم باذلال العرب التي هي مقدمة لاذلال الاسلام .

- ٩ -

ويتساءل المنار في احدى فصوله : هل كانت جماعة الاتحاد والترقي خيرا من أولئك السلاطين العظام ؟ ويجب : كلا . ان زعماء هذه الجمعية الذين غلبوا الدولة على أمرها هم أوثاب من الملاحدة المارقين قد وصلوا الى ما وصلوا اليه بكيد يهود سلانك وشركاتهم في النمسا والمانيا حيث يوجد أقوى أنصارهم ولذلك نرى مهم جمع المال فلا هم على دين هذه الدولة فيغاروا عليه بل هم يقاومونه ويهدمونه ، ولا هم من أصل راسخ فيها فيكونوا أحرص على حياتها من أبناء سلاطينها وأساطينها فاذا نظرنا الى أعمالهم دون عقيدتهم وآرائهم نرى أنهم قد فعلوا في الدولة من الانسداد والتخريب ما لم يفعله غيرهم فيها وقد ثبت أنهم أخذوا من مال الدولة لنظارة الحربية خمسين مليون جنيه ليجددوا قوتها العسكرية بعد أن كسرت ولاية البلغار جيوش الدولة وكادت مدافعها بطلحة تمزق مسامع أهل الاستانة والسبب كله ما عند الجيش العثماني من المؤونة وقد خسرت الدولة في عهدهم المشئوم من الممالك ما لم تخسر مثله في عدة أجيال . خسرت البوسنة والهرسك ببيع الجمعية اياها للنمسا وطرابلس الغرب وبرقة ببيعها اياها لاطاليا ومكدونية والبانيا وكريت وجزائر الأرخبيل أضاعوا نصف الدولة في بضعب سنين وحملوها فيها من أثقال الديون ما لم تحمل مثله قبلهم في بضعة قرون .

— ٢٢٠ —

— V —

وهكذا أوشك الستار أن يسدل على الاتحاديين بنهائية الحرب العالمية الأولى حيث يستعرض السيد رشيد رضا نتائج تجربته معهم بعد أن أمضى عاما كاملا في الاستئانة عهد فيه على محاوره زعمائهم ومذاكره علمائهم ، وعاد وهو موقن أن هذه الجمعية (الاتحاد والترقي) ستتضي على هذه الدولة وان اضطهادها بسلطة الحكومة للعرب سيعيد اليهم مصيبتهم الجنسية .

وأشار الى علاقة العرب بالدولة العثمانية في عهد الاتحاديين فقال : « لم يكن لهذه الدولة هذه القبة الا يكون بلاد العرب التي هي مهد الاسلام وموطن نشأته جزءا طبيعيا فيها ولكن الاتحاديين المستكبرين احتقروا العرب وبلادهم ودينهم ولم يرقبوا فيهم الا ولا ذمة ولا دينا ولا حرمة مضطهدوهم وأذلّوهم وحاولوا ابطال لغتهم التي هي لغة كتاب الله ودينه استغناء عنها ومحاولة لنسخها باللغة التي جعلوها لغة (حاكميهم المالية) وجعل بلادهم الحصينة كسوريا والعراق وتركيا محصنة وجزيرتهم مستعمرة للترك يتصرفون فيها تصرف المالك في عقاره والسيد في عبيده وامائه .

وأشار الى هزيمتهم في حرب البلقان حيث انكسرت الدولة العثمانية حتى كادت دولة البلغار الجديدة ان تأخذ القسطنطينية منها وتحصدت عن قضائهم على الزهراوى وعبد الكريم الخليل وأشار الى احمد جمال باشا الذى عرف بسفك الدماء والذى خادع أهل البلاد وباطهار الميل الى العرب خدعة وانهم هم الذين اياسوا الأمة العربية من الدولة العثمانية واضطروها الى اعلان الثورة في البلاد الحجازية فكانت من أسباب تقليص ظلها عن رعوسهم وزوال سلطانهم من بلادهم .

- ٢٣١ -

المرحلة الثالثة (١٩١٩ - الى نهاية المتسار)

انتقورك بواسقاط الخلافة

- ٩ -

كانت قضية الخلافة الاسلامية بين مرحلة فصلها عن السلطة ومرحلة استقاطها هي اهم ما عنى به المنار (فى مجلديه ٢٣ ، ٢٤) فقد استهل مصطفى كمال الموقف باستقاط الدولة العثمانية ، وفصل السلطة عن الخلافة وتكشف بعد مؤتمر لوزان ما وصفه السيد رشيد رضا بأن العالم المسيحى تظاهر على تأليف أوطان خاصة للأقليات المسيحية فى الوطن التركى الصغير : الأرمن والروم والأشوريين والكلدانيين كلهم مسيحيون يجب أن تكون لهم أوطان فى قلب البلاد الاسلامية ولا سيما الدولة التركية ، وقد اضطر الترك الى الصلح لأن شعوب أوربا حاربهم أربع سنوات فانهكتهم الحرب وانهت ثرواتهم العظيمة » .

ومنذ اليوم الاول أخذت المنار تنشر قصولا ودراسات منوعة حول الخلافة والأحكام الشرعية الخاصة بها وكان أبرز الاتجاهات فى هذه الفترة :

أولا : اهتمام الأتراك بنشر دراسات عن الخلافة انتفعوا فيها بدراسات المستشرقين وخاصة اليهود منهم التى ترمى الى القول بأن الخلافة ليست من الاسلام ، وأن الاسلام ليس الا دين عبادى ، وذلك على النحو الذى ترجمه على عبد الرازق وأصدره باسمه من كتابات المستشرق اليهودى مرجليوت .

ثانيا : موقف مسلمى الهند وجهادهم فى سبيل الخلافة الاسلامية
وتحرير الجزيرة العربية حيث أخذت جمعية الخلافة الاسلامية بزعامة الشيخ سليمان الندوى تحرض المسلمين على النهوض للوقوف فى وجه حركة الكماليين وقد أشار فى رسالة أرسل بها الى المنار (م ٢٤ / ٦١٩) الى الحركة التى قام بها المسلمون فى الهند والمطالب التى نهضوا بها امام حكومتهم البريطانية ومساعدتهم التى بذلوها فى سبيل الخلافة العثمانية والدفاع عن كرامة الجزيرة العربية وكشفهم عن موقف الاتحاديين فى استغلال الأمم والخروج من ربكة الدين والانحياز الى الجنسية

— ٢٢٣ —

والعنصرية لضعاف كلمة الاسلام وتوهين جامعة المسلمين ، وقد دعا المسلمون في الهند الى التناصر والتآخى والدفاع من حوزة مركز الاسلام وهى الخلافة العثمانية وكيف سارعت بريطانيا تعلن انها لن تمس عواطفهم أو حياتهم الدينية أو البقاع المقدسة الاسلامية التى ستبقى محفوظة خلال الحرب وآمنة من الحملات وأن للمسلمين وحدهم أن يخوضوا فى شأن الخلافة» .

ومن ناحية أخرى أعلن عصمت باشا قيام الدولة التركية بدلا من الامبراطورية العثمانية واستقلال البلاد العربية وذكر منها الحجاز ، وأعلن أن الملك حسين رئيس الأمة العربية وأكبر زعمائها وقال المنار أن فى تنصيب الملك فيصل بن الحسين على العراق والأمير عبد الله على شرق الأردن ما يضمن للدولة البريطانية استعمار فلسطين والعراق بدون نفقة كبيرة ، كما قامت الخلافة المستقلة عن السلطة (وحيد الدين) وعبد المجيد بعده مقدمة لالغاء الخلافة عامة .

ولم يتوقف المنار عن مهاجمة جريدة طنين التركية فى شأن اللغة العربية بوصفها لغة الاسلام ، وكانت الصحيفة قد تلقت رسالة من مسلمين فى طشقند وأفغانستان ومصر والجزائر وبمباى وبكين يحثون فيها المسلمين على استعمال لغة واحدة فى العلاقات بينهم أسوة بالقاعدة المتبعة فى استعمال اللغة الفرنسية فى المسائل السياسية وصرح هؤلاء أن اللغة التركية تتوفر فيها الصفات الضرورية لهذا الأمر على كونها لغة أكبر دولة اسلامية .

وكشف رشيد رضا أن هذا الاقتراح مصنوع وأن صناعته غير متقنة وأن لغة تركيا التى يرى الآن سلخها من اللغة العربية وتطهيرها من لفظة القرآن لا يمكن أن تصلح لهذا الغرض مع وجود اللغة العربية » .

كذلك فقد نشرت المنار كتاب العلامة أبو الكلام اراد عن الخلافة الاسلامية (م ٢٣ / ٤٥) .

— ٤٣٣ —

— ٤ —

ولم تلبث الأحداث أن تواصلت ووقع الحادث الجلل . استسقط
 الخلافة الإسلامية وعرضه المنار في اهتمام بالغ تحت عنوان : الانقلاب
 الدينى والسياسى فى الجمهورية التركية : طرد الخليفة وعشرته من البلاد
 التركية واستصفاء أموالهم والغاء نظارة الأمور الشرعية ووزارة الأوقاف
 والمدارس الدينية وفى فصل مله طول قال السيد رشيد رضا : بدأ سياسة
 أوربا وأساتذتها ينفثون سم العصبيتين الدينية والجنسية فى الشعوب
 الأوربية المسيحية العثمانية كاليونان والعرب والرومان والبلغار حتى
 نهضوا بهم الى طلب استقلال بلادهم وساعدتهم الدول الأوربية على ذلك
 حتى نالوه ، ثم طفقوا ينفثون السم فى أرواح سائر الشعوب العثمانية عامة
 وعصبية الجنس واللغة فى شعب الترك خاصة لكرهه السلطنة العثمانية .
 ومضى الأحرار يسعون لاسقاط الدولة العثمانية لينبوا على أنقاضها دولة
 تركية محضة يكرهون جميع أهلها على قبول الجنسية التركية وقد فتن
 المترنجون من الترك بتقليد الأوربيين فى نظم حكوماتهم وقوانينها . وعلم
 السلطان أن الجون ترك يكبدون له فليج فى مطاردتهم فى الداخل والخارج
 وشغلته هذه المسألة عن اصلاح الدولة والاسراف (ولا شك) ان عطف
 الدولة البريطانية على الجون ترك ومساعدتها لهم من دلائل استخدامها
 ايهاهم فى سياستها من حيث يشعرون أو لا يشعرون ذلك أن رجال جمعية
 الاتحاد والترقى ، ألفوا الكتب الطاعنة فى الاسلام الداعية الى استبدال
 الرابطة التورانية بالاسلام ولكتهم كانوا يخافون عاقبة تنفيذ مقاصدهم ،
 ولما اتجهوا الى الحلف الجرمانى فعدت الدولة سائر ما لها فى أوربا وأفريقيا
 وآسيا ، ومزقوا هذه الدولة بمعاهدة سيفر شرمزق ، ومعاهدة لوزان
 التى تقرر فيها استقلال ما بقى للترك والغاء الامتيازات الأجنبية ، وقام
 مصطفى كمال بالغاء الخلافة الزمنية أولا ثم الغاء الخلافة بعام « .

ثم تواصلت الأحداث التى تمثلت فى مواقف متعددة حيث جرى البحث
 عن الخلافة الاسلامية بمناسبة سقوطها والمحاولات التى قام بها الشريف
 حسن والملك فؤاد وظهور كتاب الاسلام وأصول الحكم لعلى عبد الرازق
 وقيام الدولة السعودية فى الجزيرة العربية وتصدت المنار لكل ذلك

بثوة وبحضت شبهات على عبد الرزاق وهاجمت محاولة الدولة الكمالية في ترجمة القرآن ، وفي فصل مطول تحدث السيد رشيد رضا عن موقف الكماليين من الاسلام فقال :

كنا نعلم أن مصطفى كمال باشا يثبنا الاسلام ويمتته من قبل أن يظهر ذلك ونعلم أن ملاحدة الترك الموافقين له في السعى لتحويل الشعب التركي عن الاسلام بغضا فيه وفي العرب قوم الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرون وكنا نتمنى قبل تأليفه للجمهورية اللادينية لو يظل هو وأركان جزيه يظهرهم الاسلام ويحافظون على اسمه وشعائره الظاهرة ولا يعطون عدواته مراعاة للشعب التركي فأبوا الا أن يهدموا كل ما بقي للدولة فيه من مظهر وشعيرة ، وحكم وعمل وعلم ، وقد وضعوا في قانون الجمهورية أن دين الدولة الرسمي هو الاسلام فلم نشك وقد رأينا ما رأينا من هدمهم للاسلام من الدولة ثم محاولة هدمه في الأمة . ان هذا القلب قد وضع تنقية ، لئلا تكون لمفاجأة الأمة بترك دينها اسما ومعنى تأثير تخشى فائلته ، وقد صرح مصطفى كمال باشا نفسه أخيرا بعد أن صرح مرارا بأن التركي حر في اختيار الدين الذي يعجبه وثنا كان أو يهوديا أو نصرانيا ولعمري أنه ليس حرا في أن يكون مسلما فانه يجبر اجبارا على استباحة شرائع الاسلام من حلال وحرام ، وقال : لقد سمى الغاء الأحكام الشرعية توحيد للمحاكم وسمى منعه للعلوم الاسلامية وابطالها توحيد للتعليم التركي وسمى تفضيله للقوانين الأوروبية المسيحية الأساس كتمان سويسرة للأحكام الشخصية ايثار الأحكام الحديثة ، وهناك رواية أنه يريد أن ينصر الشعب التركي ولكن يود أن يأخذ ثمننا على ذلك من الدولة البريطانية وان من أشهر الكتاب الذين كانوا يغشون المسلمين بهؤلاء الملاحدة عمر رضا المصري الأصل المقيم في الآستانة الذي كان يرسل جريدة الأخبار المصرية الاسلامية قبل أن يصل أمر الحكومة التركية الى هذا الحد ، فلما نزح في الخفاء استبدل جريدة السياسة المؤيدة لنزعة الترك اللاحادية بجريدة الأخبار . وقد كتب الأمير شكيب أرسلان مقالات في اظهار خفايا شتان الحكومة التركية للاسلام والعرب نشرتها جريدة الأخبار فتولى الرد عليها عمر رضا هذا وبعض أصحاب الجرائد التركية ثم شايعتهم جريدة

— ٢٢٥ —

السياسة في مصر ولم يرد له أحد ججة ولا نقض له قضية ، وانما جادلوا وماروا بالباطل وزعموا أنه ليس له حق في الدفاع عن الاسلام لأنه من طائفة الدروز ، والأمير شكيب من أتبع مريدى الأستاذ الامام الذين تلقوا عنه مقائد السنة السامية وحكمها العالية في بيروت فكان بهذا من انصبل الاسلام والسنة لا من آحاد المسلمين (م ٢٨) .

وواصل السيد رشيد رضا كشف « حقائق عداوة ملاحدة الترك للاسلام » وعلمهم على نحو الاسلام من الشعب التركي وتأسيس دولة تركية محضة وجعل الولايات العربية مستعمرات لهذه الدولة وتترك سائر العناصر العثمانية ومن يقدر على تتركه من العرب وانهم اتخذوا سياسة المراحل في القضاء على الاسلام فمهدوا لالغاء الخلافة بتنصيب خليفة روحانى لا عمل له وقال انهم فشلوا في هذه الخطة لان الشعب التركى يدين بالاسلام وهو ساخط على الحكومة لشعوره بانها تهدم دينه الذى هو مناط امله .

وتحدث عن خط هجوم الكمالين على الاسلام باستبدال الاحرف اللاتينية بالاحرف العربية ووجوب محاربة هذا الخط على العالم الاسلامى فقال : لقد بات مقاومة هجوم الكمالين نرضاً مقدساً على المسلمين ليستطيعوا الاحتفاظ بدينهم هم وذراريهم المستقلة فان أعداء الاسلام في أنقرة لم يجدوا أمامهم عملاً الا استئجار الكتاب من أوروبيين وشرقيين بأموالهم وأموال المفسدين لنشر الدعاية ضد الاسلام يدعون الى استبدال الاحرف اللاتينية بالعربية كما فعل ذلك لويس ماسينون في باريس للقضاء على الاحرف العربية (م ٢٩) .

الفصل الثاني

الماسونية والصهيونية

كان السيد رشيد رضا من اليقظة والوعى بالتغيرات العالمية والمؤامرات التي تجري حول عالم الاسلام فكان من ذلك استشفافه لأخطار الماسونية منذ وقت باكر ففي المجلد السادس (١٩٠٣) تحدث عن هذه الارهاصات فقال: رأى جمال الدين أن نحلة الماسونية تجر هذه البلاد الى أوربا بخيوط سياسية خفية ولكنها متينة قوية فهي كالخيوط التي يربط بها المشعوذ التماثيل التي يلعب بها من وراء ستار ، فيحسب الصبيان أنها هي التي تلعب بنفسها . وهكذا كانت مصر العوية في أيدي الأوربيين فاراد أن يربى رجالا يعرفون كيف يحفظون بلادهم وأنفسهم فوجه همهته الى استخدام الماسونية في تعليم تلاميذه ما لا يمكن التصريح به الا في جمعية سرية مدخل في الماسونية ودخل معه تلاميذه التابعون فجعل بهم قوة للمصريين وصار رئيس مجتهدهم ، ولكنه كان غالبا في مضادة الانجليز لما كان من زحفهم على بلاده ولما كان يعتقد من طمعهم في مصر وقد صرح بذلك كتابة مقاوموه حتى اضطروه الى ترك الماسونية مع كبار حزبه ، ولم يكن للماسونية عمل في مصر الا في تلك الفترة ثم ان الماسونية صارت في مصر آلة لبعض زعمائها في جلب المنافع ثم كثر فيها الغوغاء حتى قل احترامها وانطلقت اللسنة بالطعن فيها وليس هذا مما يعني الان .

وفي نفس المجلد تحدث عن الماسونية واليهود فقال : الماسونية جمعية سرية تكونت في أوربا لمقاومة استبداد رؤساء الدنيا من الملوك والأمراء ورؤساء الدين من البابوات القسيسين الذين كانوا متضامرين على استعباد الناس وحرمانهم من نور العلم والحرية وقد اتفق على تكوينها اليهود والنصارى ولذلك جعلوا رموزها واشاراتها متفرعة من الكتاب المشترك الذي يسمى الكتاب المقدس وأسندوها الى بناء الهيكل المقدس : هيكل سليمان عليه السلام وهو المسجد الأقصى ، ثم ان الافرنج لما تغلفوا في الشرق ورأوا مزاج السيادة الاسلامية لا يقبل مشاركا له في حكمه

فهو يجيش بأنفعال جميع المسلمين لنبد سلطة من يحاول السيادة عليهم استعانوا بالماسونية على اضعاف هذا المزاج وتوسلوا الى بعض كبراء المسلمين وأغنيائهم بما توسلوا واستعانوا عليهم بنصارى بلادهم فأدخلوا طائفة منهم وبقي أكثر المسلمين الى اليوم يعد الماسونية نزعة من نزعات الكفر أو وسيلة اليه الا أن الشعب المصرى سريع الانتقاد الى التقليد ولذلك كثر الداخلون في هذه الجمعية من أهله على أن أهله يتصلون بالاديان ويدعون عدم التعرض لها بحال . . . »

ومضى السيد رشيد يوالى أمر الماسونية على صفحات المنار فتحدث (م ٨) عن مؤلفات جديدة بدأت تظهر بالعربية منها تاريخ اليهود لشاهين مكاريوس ، والحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية العملية ذكر فيها أمثالها السياسية السرية التى كانت من أعظم أسباب الانقلاب السياسى في أوربا (وثابعه بعد ذلك جرجى زيدان) ومضت الأحداث المضرة من أعمال الماسونية في الدولة العثمانية وفي السيطرة على جماعة الاتحاد والترقى وكانت قد حملت لواء القضاء على السلطان عبد الحميد بالقتل والانقلاب وقد جريت الاثنين ففشلت الأولى ونجحت الثانية ، وبعدها انكشفت أوراق الماسونية التى كانت قد خدعت الكثيرين ممن دخلوا فيها ظناً أنها وسيلة للنهضة أو وسيلة للبر أو مقاومة للنفوذ الأجنبى . ففى عام ١٩١١ (م ١٤) اتضح الموقف وكتب السيد رشيد رضا عن الماسونية في البلاد العثمانية قال : كان السلطان عبد الحميد عدو للجمعية الماسونية لاعتقاده أنها جمعية سرية وهو يخاف من كل اجتماع وكل سر وان غرضها إزالة الاستبداد وهو مستبد وإزالة السلطة الدينية من حكومات الأرض كلها وهو يفخر بالخلافة الاسلامية ويحرص عليها وقد تنفس الزمان للماسونية بعد الانقلاب الذى كان لهم فيه أصابع معرونة فأسسوا « شرقيا عثمانيا » أستاذه الأعظم طلعت بك ناظر الداخلية وأركانه زعماء جمعية الاتحاد والترقى وأنصارها من اليهود وغيرهم ولأجل هذا نرى طلعت بك لا يبالي بسخط الأمة ولا برضاها في ادارته التى استعانت فيها بالملكة بالسنة ولاياتها الا ولاية سلانيك وكذا أدرنة فيها انلن والسنة مبعوثها حتى بعض الاتحاديين وسلانيك هى الآن مركز السفلة الحقيقية في المملكة وإنما الاستانة مركزاً للتنفيذ .

- ٢٢٨ -

ثم واصل المنار الحديث في المجلد ١٤ (١٩١٢) ومنها أول كلمة صريحة وأول اعتراف بانصاف السلطان عبد الحميد وقال انهم كان لهم اثرهم في الثورة الفرنسية وفي الانقلاب العثماني ثم نشر بيان الاميرالاي صادق بك عن الماسونية والاتحاد والترقي وأشار الى مقالة مجلة دين دمعيشت الروسية أن جمعية أركان الدولة والقائمين بأعمالها جميعا من الخير الى السلطان ماسونيين وجعلت الماسونية مهمة رجال الدولة منصبة الى هدم الدولة الاسلامية وتأسيس دولة ماسونية .

- ٢ -

وكان هذا كله مقدمة للحديث عن الخطر الصهيوني الزاحف الذي لم يغفل عنه السيد رشيد رضا فقد كانت افتتاحية المنار (يناير ١٩٠٢) ١٣١٩ هـ عن أخطار الجمعية الصهيونية فقال : ان رياض باشا اطلع على كتاب لبعض الاوربيين المجاورين لليهود عن الجمعية الصهيونية ومساعدتها في اعادة السلطة والملك الى شعب اسرائيل وقال انه يعرف هذه الجمعية منذ خمس سنوات (أى منذ عام ١٨٩٧) وهو تاريخ عقد مؤتمر بال وظهور البروتوكولات ، وقال انها جمعية سرية غرضها الاستيلاء على البلاد المقدسة لتكون مقر ملكهم وعرش سلطانهم ، وجاء ذكر هذه الجمعية في منار السنة الاولى (ص ٤٤/٤٥) وفيه أن حركة هذه الجمعية ظهرت فجأة في النمسا والمانيا وانجلترا وأمريكا . وهي تتظاهر بنقل فقراء اليهود المهاجرين والمقيمين الى بلاد فلسطين فلما وثقت بقومها الآن خرجت من مضيق الكتمان وقد بعثت منذ أشهر المستر اسرائيل زنفويل من لندن الى الأستانة للمساومة على شراء القدس الشريف ويقال أنه لقي من الحضرة السلطانية التفاتا وانعطافا وبعد عودته خطب في الجمعية فقال : ان اليهود س يرجعون بكثرة الى فلسطين مملكتهم القديمة التي لا يمكن أن تغرب شمسها عن سماء افكارهم وسيبلغ عددهم فيها ٢٠٠٠ امم أى في آخر القرن العشرين المسمى مائتي ألف ألف (مليونين) نفس وسيجعلون تلك الأرض جنات عالية قطونها وينشئون فيها حدائق ذات بهجة ويصلون أطرافها وأرجاءها فيكون شعب اسرائيل منارا على جبل صهيون تهتدى به الامم ، وقال ان غاية ما يرمي اليه اليهود هو جمع

- ٢٣٩ -

النقود الكافية لايتباع أرض فلسطين من السلطان وبلغ ما جمع الآن ألف ألف ريال أمريكي (مليون) هذا ما نشرته الصحيفة العبرانية الفرنسية والموضوع بكامله (ص ٨٠٦ مجلد ٤ من المنار) ويبدو أن السلطان عبد الحميد لم يكن قد حدد موقفه من الصهيونيين في هذا الوقت ولذلك فانه لم يعلن موقفه الا بعد أن أتاح لهم الفرصة في ذكاء السياسى لطرح كل ما عندهم وقد أشار هرتزل في مذكراته أنه تردد أكثر من مرة على السلطان وان السلطان قد حسم الموقف في النهاية على النحو الذى أزعجهم وجعلهم يرتبون قتله أو اسقاطه ومن ثم أعلنوا عليه تلك الحملة الضارية التى قادها صحفيو المارون في مصر وغيرها في المقطم والهلال وكتابات سركيس وغيره .

وفي المجلد الرابع عشر من المنار سنة ١٩١١ تحدث السيد رشيد رضا عما أطلق عليه المشروع الأصفر فقال : خبرنا الأستاذة باقامتنا منها سنة كاملة فرأينا أن نفوذ اليهود في جماعة الاتحاد والترقى عظيم ، وان ناظر المالية اسرائيلى النسب وانه جعل كاتم سره وكثيرا من موظفى نظارته من اليهود فعلمنا أن اليهود سيكون لهم شأن أى شأن في هذه المملكة ، وآمالهم في القدس وفلسطين معروفة ومطامعهم الحالية في المكان تعظم وتعوذهم فيه غير مجهول وأشرنا الى ما يخشى من مغبة ذلك في أجزاء السنة الماضية ثم جاءت أنباء مجلس الأمة العثمانى في هذه الأيام مصدقة لما قلناه فقد خطب بعض النواب المستقلين والمعارضين للحكومة خطبا نبهوا فيها على خطر جمعية اليهود الصهيونية في المملكة العثمانية وأنكروا على ناظر المالية بيعه أحسن موقع عسكري في الأستاذة لشركة أجنبية بثمن دون المثل بسمسرة بعض اليهود ، كذلك أشارت المنار الى أن جريدة الكرمل نشرت مقالات عن جمعية اليهود الصهيونية التى تسعى لتمليك اليهود بلاد فلسطين وتمهد السبيل لاعادة ملك بنى اسرائيل .

- ٣ -

وتحدث عن ما نشرته صحف سوريا في مشروع الأصفر حيث قال ان عمران بلادنا يتوقف على استعمال الأموال الأوربية فيها وزمام هذه الأموال في أيدي اليهود ، وترى الصحف أن الخطر من الصهيونية ينحصر

— ٢٤٠ —

في شيء واحد هو امتلاكهم للأرض المقدسة ، والخطر من استعمال أموال الأجانب اليهود ينحصر في غرق الأهالي والحكومة في الديون وثانيهما تملكها لرقبة البلاد بأن يكون أكثر الأرض أو الكثير منها لهم ، وقال لقد زادت ثروة مصر بأموال الأوربيين وأعمالهم أضعافا مضاعفة ولولا جراحة الفلاح المصرى على الاستدانة بالربا الفاحش وغير الفاحش بغير حساب ولولا الاسراف والقمار والمضاربات لما كان على المصريين دين يذكر بالنسبة الى ثروتهم العظيمة .

وأشار السيد رشيد رضا الى أن المنار كان هو السابق لجميع الصحف في التنبيه الى نفوذ اليهود الصهيونيين في جمعية الاتحاد والترقي وما فيه من الخطر على الدولة ، وقد ظهرت الحقيقة في مجلس الأمة العثمانية وعلى لسان الصدر الأعظم حتى باشا الذى صرح في خطاب له بأن اليهود هم أصحاب المستقبل في هذه الدولة ، حتى في أمور الادارية والعسكرية .

— ٤ —

ويتحدث السيد رشيد رضا في مقال مطول عن بنى اسرائيل فأشار الى كيد اليهود في شل عرش ذلك السلطان الدينى والدنيوى في أوربا وأنه لولا ذلك لمحت العصبة الصليبية راية الاسلام في الشرق كما محتها في أكثر أوربا ولما وجدت هذه الحضارة المؤسسة على قواعد العلوم والفنون والحرية التى نفحها روح الاسلام في الأندلس والشرق ثم انتقلت الى ايطاليا وفرنسا فسائر بلاد الغرب ثم يقول : على أن الشعوب الأوربية الحرية بالطبع الموروث قد كثرت بنعم الله في العلم كما كثرت بنعمته في هداية الدين فمضى تستخدمها في الاستعداد لذلك معالم الحضارة والعمران وابادة بعض شعوبها لبعض ، فاليهود يلتوون لهذه الدول وشعوبها في شرق أوربا وآسيا بالبلشيفية وفي غربها بخصمها الراسمالية والفرس من الكيد من ازالة بغى القوة النصرانية ثم القوة المادية للشعوب أوربا التى تساعدهم على غرضهم الأنسانى وهو تجسيد ملك يهودى يكون له النفوذ الأعلى في العالم ، فهم الذين تلو عرش السلطان البابوى

— ٢٤١ —

بقوة العلم والمسال لأنه كان يضطهدهم في كل مكان وهم الذين وضعوا.
سلطان الحكم العنصرى بمجلس الدوما أولا ثم قوضوه بالحكومة الشيوعية
أخيرا لأنه كان يضطهدهم أيضا وهم الذين ساعدوا جمعية الاتحاد والترقى
على تقويض سلطان الخلافة التركية تمهيدا لتمكنهم من امتلاك فلسطين
لا لاضطهاد الترك لهم وهم الذين قوضوا صرح القوة الألمانية في الحرب
الأخيرة بما بعثوه من سموم الثورة في أسطولها وفي جيشها وبما جاهدوا
بأموالهم وكيدهم في حمل الولايات المتحدة على مساعدة أعدائها الحلفاء
عليها ثم سعوا لنشر الشيوعية فيها حتى لا تقوم لها قائمة مسيحية
ولا قومية ، وما كان هذا الا خدمة لانجلترا وجزاء على عهدا بلسان لورد
بلفور في تأسيس وطن قومى وملك يهودى في فلسطين فكيدهم لألمانيا ككيدهم
للدولة العثمانية لا ككيدهم لدول الاسفن والعنصرية الروسية . الظالم
سيف والله ينتقم به ثم ينتقم منه رواه الديلمى في مسند العروس بلفظ
عبد الله (م ٣٣ / ٣٤٧) .

— ٢٤٢ —

ثالثا : الحركات الإصلاحية (الوهابية والسنوسية) وغيرهما

— ١ —

أولت المنار على مدى عبرها الطويل اهتمامها بالحركات الإصلاحية الإسلامية وتابعت حركة اليقظة الإسلامية في مختلف أجزاء العالم كما أولت اهتماما بالغاً بالمؤتمرات الإسلامية التي عقدت في الهند ودمشق وجنيف ومكة المكرمة وبيت المقدس ، بل لقد اهتمت بمؤتمر أم القرى الذي تخيله الكواكبي ١٣٢٠ هـ .

مؤتمر ندوة علماء الهند ١٩١٢/١٣٣٠ .

المؤتمر السوري العام بدمشق ١٩٢٠/١٣٣٨ (وقد انتخب السيد رشيد رضا رئيساً للمؤتمر) .

المؤتمر السوري الفلسطيني بجنيف ١٣٤١ .

مؤتمر مكة المكرمة السعودي ١٣٤٤ .

مؤتمر بيت المقدس ١٣٥٠ (ديسمبر ١٩٣١) .

كما تابعت نهضة الاسلام في الهند وفي جزر الملايو وتحدثت عن أحمد خان الهندي وأحمد حطان ومدح المنار أحمد خان الذي أنشأ جامعة عليكرة لأنه كان دائماً موضع المقارنة مع الشيخ محمد عبده فيما فعله كلاهما للخروج من دائرة التقليد وبحث الاسلام بحث المجتهد المحقق كما يقول المنار (ص ٣٣ م ٧) ولكن الأبحاث بعد ذلك كشفت من جوانب أخرى بالنسبة للرجلين .

وفي المنار المجلد ٢ ص ٢١١ كتب السيد رشيد رضا عن السنوسية كما كتبت عنها صحيفة المانية (دى كولونى) وأشار الى أهميتها من حيث انتشارها السياسى وانها أنشئت ١٨٥٥ بواحة جغبوب محمد بن على السنوسى المولد ١٨٩١ على حدود الجزائر المتاخمة لأراكشى ، بارج ووطنه

— ٢٤٣ —

١٨٣٠: مشعلًا نار النقمة على الفرنسيين الذين كانوا استولوا على تلك البلاد وقد حط الرحل بعد الرحلة في واحة جغبوب ١٨٥٥ ، كذلك فقد واصل الحديث عن طريقة السنوسية من الاسكندرية ودنة (م ١٥) ودعوة السيد أحمد الشريف السنوسي الى جهاد الايطاليين كما تحدث عن ثورة السودان التي قام بها الامام المهدي (م ٢) وتحدث عن النفوذ الانجليزى في البلاد الاسلامية والامتيازات الاجنبية ، وتحدث عن تعصب غلادستون وسالسبرى ضد الاسلام .

وأولت الاستعمار اهتماما كبيرا فتحدثت عن السياسة الهولندية في جاوة وعن سياسة فرنسا في مراكش .

كما تحدثت عن انتشار الاسلام في مجاهل أفريقيا نتيجة أسفار المسلمين وتوغلهم بقصد الكسب والاتجار فلما انس الأهالى منهم الوفاء والاستقامة اقتدوا بهم فتناسلوا وتكاثروا ونما بينهم الاسلام، حتى قال أحد الرحالة الأوربيون أنه لم يكن يأمن على نفسه أثناء رحلته وأثناء تطوافه الا عند المسلمين .

وأولى المنار اهتماما كبيرا حول المسلمين في الهند ونشر نصولا من محاكمة الزعيم المسلم أبو الكلام ازاد في الهند وخطابه الذى القاه عند محاكمته أمام المحكمة الانجليزية ووصف ثورة الهند السياسية السلبية وانتصارها للخلافة والدولة التركية والبلاد العربية (م ٢٤) .

— ٢٤٤ —

ولقد كان لأحوال الحجاز والجزيرة العربية موضعاً هاماً ومتابعة كاملة وقد والت المنار أخبار الثورة العربية التى قام بها الشريف حسن وما اتصل بها من تمزيق البلاد العربية بمعاهدة سايكس باكو وقيام نظام في سوريا ملكى ثم احتلال فرنسا لها وما يتصل بموقف الشريف حسين من النفوذ الأجنبى ومسألة فلسطين .

ثم توالى الاحداث وزحف النجديون على الحجاز وتم استيلاء الملك ابن السعود على جميع الحجاز ديسمبر ١٩٢٥ (١٣٤٤ هـ) وأشار الى ما كان بين سلطان نجد والبيت الهاشمى .

وفي مجلد (٢١) تحدث المنار عن الخلاف بين النجديين والحجازيين
قال : لفظ الوهابية يطلق على أتباع الشيخ محمد عبد الوهاب العالم
السني الشهير المجدد للنهضة الدينية في نجد ، فقد اتخذ أمير نجد
تلك النهضة في إبان ظهورها وانتشارها وسيلة للاستيلاء على بلاد الحجاز
التي طال عليها عهد الظلم والجهل ولم يظهر فيها مصلح علمي ولا إداري .

وقد انتبرت حكومة الاستانة لمناهضته وإخراجه من الحجاز الذي
هو مناط عظمتها وسلطتها الإسلامية واستعانت على ذلك بحكومة محمد
على باشا التي كانت عاجزة عن تولى ذلك بنفسها وأرادت أن تشوه تلك
الحركة الإصلاحية فادعت أنها عبارة عن أحداث مذهب جديد مبتدع في
الإسلام مخالف لمذاهب أهل السنة وأغرت أنصارها من العلماء الرسميين
والمفتين بالرد على هذا المذهب وتضليل أهله وتكثيرهم وهم ينكرون كل
مذهب في الأصول غير مذهب السلف الصالح ويتبعون في اللزوع مذهب
الأمام أحمد بن حنبل وأصحابه .

وأشار إلى رواية الجبرتي عن الوهابية وعسكر محمد على .

ثم قال : ولا يزال مسلمي الحجاز ومصر وسوريا والاستانة يظنون
أن لأهل نجد مذهب مخالف لمذاهب أهل السنة لأن بعض الذين كتبوا عنهم
قالوا أنهم يكفرون غيرهم من المسلمين ويقولون في النبي عليه أفضل الصلاة
والسلام ما يعد إهانة وكانت قد صدرت الإرادة السنية إلى محمد علي
بقتلهم وردع هذه الطائفة خوفا من انتشار شرهم في البلاد الإسلامية
فأطلقا سراحهم وبدد ثملهم .

ولم يكن في هذه الفترة من الممكن قول كلمة الحق عن الوهابية لخوف
الدولة العثمانية منها ومعارضتها لها ، ثم أشار إلى ثورة الشريف حسين
على فعلة الاتحاديين الطورانيين ثم على دولة الترك بحملتها في عهد
الحرب الأوروبية وقد أقتنع بعض أهل الفترة والإحلاف من العرب باتخاذ
ذلك وسمى إلى جمع كلمة 'عرب الجزيرة في سبيل انتقاذ عرب سوريا
والعراق من ظلم الاتحاديين واضطهادهم . وقد سمي بعض الطامعين
في جمع الكلمة يعقود اتفاق بين شريف مكة والأمير ابن سعود صاحب

— ٢٠٤٥ —

نجد والامام يحيى صاحب اليمن والادريسي صاحب عسير على قاعدة الاعتراف بكل منهم باستقلاله في بلاده والتعاون بينهم على دفع العدوان الأجنبي ورفع شأن الجنس العربي ، وبدأت حكومة الحجاز في الطعن في اهل نجد والدعوة الدينية الى مثالهم ، وقد ارسلت حكومة مكة الهاشمية الحملة بعد الحملة لقتال الشريف خالد في الخرمة . وتضمن منشور ملك الحجاز ١٣٣٦ الاشارة الى البدع والزيغ الديني عن منتحلي العقيدة الوهابية المكرين لكل العالم الاسلامي

وتحدث عن موقف حكومة الحجاز وتكثير الوهابيين والنجديين والدعوة الى تعاليم باسم الدين وقد ارسل ابن سعود بياناً الى اهل الشام قال فيه : نحن مثلكم مسلمون مؤمنون موحدون ندين بدين محمد بن عبد الله ونقر بترتيب الاصحاب كما جاءوا في الحكم والاستخلاف ونفقد في عبادتنا الامام الاعظم احمد بن حنبل ونعترف ان اخوته الائمة الباقين هم مثله في العظمة والصدق والصحة محذار ثم حذار أن يفركم ويفسدكم ويفتنكم متمطوه صبرا ومالا . وقال : هم اخوتكم في الله يجاهدون في الله ولم يسبق بيننا وبينكم عداوة ولا نحن طامعون في بلادكم فخلوا بيننا وبينه لينزل الأجل ويقضى الله أمرا كان مفعولا » (م ٢١) .

ثم واصل السيد رشيد رضا كشف حقيقة الوهابية وتعلية منشأ الطعن فيها مقال : ان سبب قذف الوهابية بالابتداع والكفر سياسي محض ، كان أولا لتنفير المسلمين منهم لاستيلائهم على الحجاز وخوف الترك من أن يقيموا دولة عربية ولذلك كان الناس يهجون عليهم تبعا لخطط الدولة . الى أن حددها الملك حسين في الحجاز وولده فيصل في العراق وولده الأمير عبد الله في سوريا (فلسطين) لقد أصدر الملك حسين عدة منشورات في جريدته ١٣٣٦/١٣٣٧ رماه فيها بالكفر وتكثير أهل السنة والطعن في الرسول الاعظم وانه لابد للسلطان من قتالهم ثم سرى ذلك الى مصر وظهر له اثر في بعض الجرائد وقد رد على هذه الرسائل بعض علماء الشام وجرت مناظرة مع علماء مكة (م ٢٤) .

ثم انتهى الموقف بانتصار السعوديين واستيلائهم على مكة والمدينة والطائف وجدة واستقر أمرهم وتعرف المسلمون على حقيقة دعوة التوحيد

- ٢٤٦ -

التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتكشف زيف دعاوى النفوذ الأجنبي في تشويه الحقائق واستغلال ذلك سياسياً .

ويتحدث السيد رشيد رضا في المجلد (٢٧) تحت عنوان « الوهابيون والحجاز » فيقول : « ما خص الله به هذه الأمة أنها لا تجتمع على ضلالة ، وأنه لا يزال طائفة منها ظاهرين على الحق ، وإن الله تعالى يبعث فيها مجددين لأمر الدين كما ورد في الأخبار المرفوعة من صحيحة وحسنة تثبت صحة معانيها بالفعل . »

ولقد كان من أجلهم في القرون الوسطى قدرا وانبههم ذكرا شيخ الاسلام أحمد تقي الدين بن تيمية رحمه الله فقد أثناه الله من المواهب ما ينذر أن يجتمع لأحد من البشر ، وقد تصدى للرد على النصارى وأهل البدع وألف في ذلك المصنفات الدالة على سعة علمه وقوة حجته وقد شهد له أكابر المصنفين ولاسيما حفاظ الحديث بما لم يشهدوا لغيره من أهل عصره حتى اعترفوا له بالاجتهاد المطلق ، وتصدى لعداوته وبيئاته وصده عن نصر السنة وأحياء مذهب السلف بعض كبار العلماء الرسميين المقربين الى الملك فاوذى وحبس في هذا السبيل وظل أولئك المقلدين الجامدين يصحون الناس عن كثير حتى أحياءها الله تعالى في بلاد نجد بظهور المجدد الداعي الى الله تعالى الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده وأحفاده وأنصارهم من آل سعود أمراء نجد في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر ثم في نهضة الإصلاح الجديدة بمصر والهند وغيرها من البلاد الاسلامية في عهدنا هذا من القرن الرابع عشر وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مجددا للإسلام في بلاد نجد بارجاع أهله عن الشرك والبدع التي فشت فيهم الى التوحيد والسنة على طريقة شيخ الاسلام ابن تيمية .

أما الدولة العثمانية فقد استمرت على معاداة آل سعود زهاء قرن كامل لاعتقادهم أنهم يريدون تأسيس دولة عربية قوية تزيل ما لهم من

- ٤٤٧ -

السلطان في جزيرة العرب ويتبع ذلك هدم الخلافة التركية ثم ظهر لهم أن مصلحتها تقتضي بالاتفاق مع آل سعود والاعتراف لهم بسيادتهم على نجد وملحقاتها حتى ما كان بين الدولة فيها فعلت ذلك أما أمراء مكة المعروفون بالشرفاء فقد ظلوا في الطعن على دين الوهابيين وامتراء الأكاذيب عليهم ، وأشار إلى دسائس الشريف حسين لآل سعود ، وإلى زحف السلطان عبد العزيز على الحجاز وانتأذه منه ، وقد نشر السيد رشيد رضا بضع مقالات في جريدة الأهرام وفي المنار كشف فيها عن أن هؤلاء النجديين الذين يلقبون بالوهابيين سنيون متمسكون بمذهب السلف في العقائد ومذهب الإمام أحمد في الفروع وأنهم أشد شعوب المسلمين في هذا العصر اتباعا وابعدهم عن الابتداع ، وأن الاستعداد للإصلاح الإسلامي الحق بالتوحيد الخالص وترك البدع والخرافات والتقاليد الوراثية الباطلة قد صار الآن أقوى .

البَابُ الْخَامِسُ

ميادين العمل الصحفي الاسلامى

الفصل الاول : التعريف بفضل الاسلام

الفصل الثانى : الدفاع عن اللغة العربية

الفصل الثالث : التربية والتعليم

الفصل الرابع : قضايا المرأة والمجتمع

الفصل الخامس : احياء التراث

الفصل السادس : اعلام المنار ووفيات الاميان

الفصل السابع : الصحف والمجلات

الفصل الثامن : الجماعات الاسلامية

الفصل الأول

التعريف بفضل الاسلام

- ١ -

كان صدر السيد رشيد رضا ممثلاً ايماناً بعظمة الاسلام ومضله وامجاد تاريخه على نحو واضح في كل صفحات المنار ، ومنذ العدد الأول اولى اهتماماً كبيراً لابرار عظمة الاسلام « كمنهج اجتماعي وحضاري » كان له ابعاد الاثر في الحضارة الانسانية عامة وفي الحضارة المعاصرة وفي تمدن البشرية ولذلك فقد أولى اهتماماً بأدوار عدة :

أولاً - عرض ما جاء في تقدير الحضارة الاسلامية والشريعة الاسلامية في كتابات الغربيين .

ثانياً - عرض صفحات من التاريخ الاسلامي وتاريخ الاندلس ودور المسلمين في بناء المنهج التجريبي واقتباس أوروبا من الاسلام .

ثالثاً - دور العرب في بناء النهضة الاسلامية العالمية والتحدث عن مدينة الاسلام في الطب والفلك وغيرها .

رابعاً - الاهتمام بالشخصيات ذات الشأن في التاريخ الحديث التي اولت اهتماماً وتقديراً للاسلام .

خامساً - عظمة القرآن وصلاحية الشريعة الاسلامية لهذا العصر وكل العصور .

وهكذا مضى المنار لطيته منذ اليوم الأول الى اليوم الاخير فهو يتحدث عن احادة مجد الاسلام تحت عنوان : كيف يعود للاسلام مجده فيقول : الجواب من الكتاب (كما بدأكم تعودون) ومن السنة (بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ) ومن كلام علماء العمران ان التاريخ يعيد نفسه . ويقول : لماذا اختار الله الأمة العربية لهذا الاسلام لانها وسط بين الأمم ولم يكن لها رؤساء في الدين والسياسة يحكمونها بالجبروت والاستبداد ،

يل سلامة الفطرة وغيرة النفس وشدة البأس ، ولم يكن عند العرب من التقاليد الدينية شئ يستندون منه على وحى سماوى وعلى سلف من الأنبياء فيدافع ما جاء به الاسلام أو يزاحمه ، وأشار الى أنه يوجد من المسلمين بعض المتعلمين على الطريقة الأوربية وأكثرهم من الأتراك والهنود وعدد قليل من المصريين منحرفون عن صراط الدين غير مصبوغين بآدابه وفنائه ، وهناك سكان البوادي من العرب فانهم لم يصبهم من ظلم الظالمين ما أصاب غيرهم ، طائفة يعسر عليها أن تجارى المدنية الحاضرة قال : والنار يدعو الى الوحدة الاسلامية التى تضمن لسائر الشعوب والممل حقوقها فى بلاد الاسلام على أكمل وجه : هذه الوحدة الاسلامية لا يتيسر القيام بتعميمها من مصدر واحد من اختلاف لغات المسلمين ومذاهبهم وحكوماتهم وأقطارهم ومذاهبهم وإن الخطر الذى يتهدد العرب ابتلاع الأمم المتعدنة لهم ، فإذا كسر باب المسألة الشرفية انحسر الترك لأنهم عنصر مستقل ولكن البلاد العربية تذهب فريسة المطامع اذا تقلص عنها ظل الدولة العثمانية ومجد الاسلام انما يحفظ بمجد العرب وانما يعود مجد الاسلام بالاصول والأعمال التى أخذ بها المسلمون عند ظهور الاسلام فكان لهم ذلك المجد العظيم وزال مجدهم باهمالها هى التى يعود المجد بالأخذ بها والأسباب تتصل بمسبباتها ، وعبارة يعود غريبا فى الحديث النبوى أخطأ الذين يفهمون من الحديث أن الاسلام يضمحل ويتلاشى ثم لا يعود الى مجده وعزته ، انما هى صريحة فى أن الاسلام سيظهر مرة ثالثة مثل ظهوره فى المرة الأولى وظهوره فى المرة الأولى كان غريبا على العالم ولكن فى غرابته استعقب مجدا كبيرا وعزة كذلك يكون فى الكرة الأخرى إن شاء الله رغم أنوف اليائسين الذين سجلوا على هذه الأمة الشقاء بدينها الى يوم الدين ، على فهمنا هذا قمنا ندعو المسلمين فى (المنار) الى احياء مجد دينهم بالرجوع الى ما كان على سلفهم الصالح ولا بلاء أشد على المسلمين من اليأس والقنوط .

- ٢٥٢ -

- ٢ -

واحاديث مطولة في المنار (منذ المجلد الثاني) من مخنية العرب وقد اثنى هذا البحث ما كان يكتب في تركيا من العرب تعصبا للجنس وكان رشيد رضا قد تحدث عن تجديد الروابط بين الترك والعرب على أسلوب جديد وكانوا ينتقضون العرب في تركيا ويقولون انهم ليس لهم تاريخ ، وحاول في أدب رفيع أن يشرح هذا الأمر ثم بدأت هذه المقالات تروى ما قدمه العرب في مجالات المدنية المختلفة ، من طب وفلك وعلوم ، يقول مع الإشارة الى نزعات التعصب الجنسي عند الترك « حرصنا بأن لا تعنى بالوحدة العربية أن ينفصل العرب عن سائر المسلمين أو عن الترك بل تعنى به أن كل شعب يجتهد في ترقية نفسه ملاحظا أن في ترقية نفسه ترقيا لسائر الشعوب ، ثم اثار الى الفوارق بين المدنية الاسلامية والمدنية الاوربية وأخطاء الأخيرة حيث حرم الاسلام مقاتلة من لا يقاتلهم كالنساء ورجال الدين والأطفال والشيوخ وحرم عليهم التمثيل وهتك الأعراض .

كذلك تحدث عن اقتباس أوربا من الاسلام ، وعن ثناء منصفى الأفرنج عليه كما تحدث عن تبرئته بآدانة أهله وأورد ما قاله المسيو ريمون الرحالة الشهير من أنه كان لا يامن على نفسه الا عند المسلمين أثناء تطوافه في مجاهل إفريقيا حيث يجد منهم لطفًا وحسن ضيافة وقد كتب رسالة طويلة في هذا المعنى الى السيد السنوسي مدح فيها أخلاق الاسلام وفضلهم على سائر الأمم والشعوب .

كما تحدث السيد رشيد رضا الى سبق الاسلام الى المبادئ الجمهورية والاشتراكية وتحدث عن الفارق بين اشتراكية الاسلام واشتراكية المسيحية (م ١٩٤٨) .

كما تناول التاريخ الاسلامي وتاريخ الاندلس والخلافة الأموية وتحدث عن جزيرة العرب ومكتشفوها من الإفرنج ، وأشار الى تعصب أوربا على الدولة العثمانية وتنازعها للممالك الاسلامية وأورد شهادة التاريخ على بعضها (م ١٩٨٨) .

— ٢٥٣ —

— ٣ —

كما أورد كثيرا مما كتبه اعلام الغرب عن الاسلام وفي المجلد الحادى عشر نشر بحث مسيو رينيه ميليه الذى ألقاه فى مؤتمر أمريشيا الشمالية المنعقد فى باريس عن الاسلام والمدنية الحديثة ، كما أفاض فى عرض آراء القس اسحق طيلر عن الاسلام التى نشرها فى انجلترا عام ١٨٨٨ (م ٤ المنار) وكان قد كتبها يعد ما جاء مصر ليختبر حال المسلمين اذ قيل له انه مبالغ فى مدحهم ومدح دينهم وقد نشرها فى جريدة سنت جيمس غازت الانجليزية (١٨ ابريل ١٨٨) قال : انى ذهبت الى مصر احد اقطار الاسلام وه تصدى الوحيد أن أطلع من ذلك المكان على الاعمال المجموعة فى القرآن من الآداب والأخلاق والتقوى والمعرفة وأعلم ما هى العقائد الحقيقية المتعلقة بالمسلمين ذوى التربية وانى اقر وأعترف بأنى تعجبت غاية التعجب لما رأيت المسلمين راضين بأن يتكلموا معنا فى موضوع عقائدهم وحاضرين للاعتراف بذنوبهم ، كل مسلم يؤمن بالله الواحد القهار النافذ أمره فى السماء والأرض وبرسالة عيسى عليه السلام الملقب عندهم بالمسيح ومعجزاته ويؤمن بوجوب الصلاة وينقضاء النفس فى الآخرة ، أما فى الرحمة أو ما فى العذاب وبالهامية الكتب المنزلة من قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم متقنة جدا وبعض أدميتهم وصور مناجاتهم حسنة للغاية حتى انه لا يمكن لأحد من المستحقين أن يجد فيها كلمة واحدة يعترض عليها .

كذلك فقد اشار الى كتاب تاريخ القرآن والمصاحف الذى ألفه روستو فدوى الروسى وطبعه فى بطرسبرج (م ٩٥٣/٨) .

وأولى اهتمامه لاسلام لورد هدلى (م ٥٥٦/٢٤) وكتابه ايقاظ الغرب للاسلام (م ٢٦) قال من اللورد هدلى انه لم يكن فى حياته مسيحيا قط كما قال لى هو بنفسه فقد كان على مذهب الموحدين الذين يؤمنون بالله واحد ويعتقدون أن المسيح نبي وهؤلاء شيعة كبيرة فى انجلترا وأمريكا وأشار الى قول هدلى : كلما قرأت فى المصحف الكريم اكتشفت بنفسى انى مسلم دون أن يبشرنى احد بالاسلام ودون أن يدعونى أحد الى الاسلام ،

— ٢٥٤ —

وقد وجدت الاسلام دينا بسيطا ، ومما يذكر أنه أدخله باسلامه نحو أربعمائة شخص من رجال ونساء وتسمى بسيف الرحمن رحمه الله فاروق . ومن ذلك قوله : يسرنى أن أعرف أنه ليس هناك بغض بين المسلمين ولكن المحبة بأوسع معانيها وهى منتشرة بينهم أكثر مما هى منتشرة بين المسيحيين فى الجزر البريطانية فالمسلمون مثلا متسامحون جدا ومطبوعون على إتياء الخير إزاء جميع المسلمين بخلاف ما عليه مروع الكنيسة بعضها إزاء بعض وإذا عينت لجنة من الإنكليز الإكفاء حقيقة للحص الذى يجب أن يتدين به العالم كله لأجمعوا أمرهم على أن يختاروا الدين الإسلامى الذى يشهد له العقل والذى يجيب رغبة المؤاد والروح الشديدة من الاتصال بالخالق سبحانه وتعالى ، ولا أعتقد ولا سبق لى أن أعتقد قط أنه من الضرورى لخلاصى أن أصدق ألوهية المسيح أو أن أعتقد الثالوث أو العقائد الأخرى التى تدمى الكنيسة أنها ضرورية للخلاص » .

وقد مضى السيد رشيد رضا يتحدث سن حضارة الاسلام مبتدئا بما أورده الشيخ محمد عبده فى كتاب (رسالة التوحيد) حيث اثار الى ما كان من فتوحات النصرارى الأوربيين ونشرهم لدينهم بالقهر والتقتيل وإبادة المخالفين مدة عشرة قرون كاملة لم يبلغ السيف من كسب عقائد البشر فيها ما بلغه انتشار الاسلام فى أقل من قرن ، ولم يكن المسلمين فى هذه القرون من القوة العددية والالهية ولا من سهولة المواصلات ما يمكنهم من قهر الشعوب التى فتحوا بلادها على ترك دينها ولا على قبول سيادة شعب كالشعب العربى ، فهم لم يخضعوا للمسلمين ويدينوا بدينهم ويتعلموا لغتهم الا لما ظهر لهم من أن دينهم هو دين الحق الموصل لسعادة الدنيا والآخرة أو من أنهم أفضل الحكام وأعدلهم » .

ومن هنا فان الاسلام قد عرض على المسلمين ويوافقهم على ذلك جميع شرائع الأمم الا فرنج أن لا ضير على أى أمة فقد من وطنها شيء أن تستعد لاستعادته الى أن تظفر به كما فعلت فرنسا باستعادة ولايتى الأناضول واللووين من الماتيسا فى الحرب الأخيرة وكانت قد أخذتها منذ نصف قرن ونيف .

وأشار السيد رشيد رضا الى أن الاسلام دين سعادة وسلمان

وشريعة وحكومة شورية يجمعها نظام حربى جامع بين القوة والرحمة والعدل ، وقد جاهد الأوربيون المسيحيين فى أمر الجامعة الاسلامى حتى صرفوا وجوه الشعوب الاسلامية عن الجامعة الاسلامية الى الجامعتين الجنسية والوطنية وهدموا هيكل الخلافة العثمانية بأيدى حماتها من الترك أنفسهم ، ودفعوا حكومة هذا الشعب الاسلامى الباسل من حيث لا يدرى الى محاربة الدين الاسلامى نفسه بأشد من محاربتهم له بهدارسهم التبشيرية واللائينية وبكتبهم وصحفهم ونفوذهم فاعتقدوا أنه قد تم لهم بهذا فتح العالم الاسلامى وأنه لم يبق لهم لاتمام هذا الفتح الا القضاء الاخير على مهده الدينى وعلى شعبه وأنصاره .

وقال : ان رأى الفقهاء ان كل ما دخل من البلاد فى محيط سلطان الاسلام ونفذت فيه أحكامه وأقيمت شعائره قد صار من دار الاسلام ووجب على المسلمين عند الاعتداء عليه أن يدافعوا عنه وجوبا عينيا ، وكانوا آثمين كلهم بتركه وان استيلاء الأجانب عليه لا يرفع عنه وجوب القتال لاسترداده وان طال الزمان فعلى هذا رأى يجب على مسلمى الأرض ازالة سلطان جميع الدول المستعمرة لشيء من الممالك الاسلامية وارجاع كلمة الاسلام الا ما استطاعوا الى ذلك سبيلا وعجزهم الآن عن ذلك لا يسقط عنهم وجوب توطيد أنفسهم عليه واعداد ما يمكن من النظام والعدة له وانتظار الفرص للوثوب والعمل . وقد صرح الامام الشافعى أن ثغور الحجاز البحرية وما يوجد فى بحره من الجزائر لها حكم أرضه وبلاده فلا يجوز لامام المسلمين وسلطانهم أن يمكن أحدا من غير المسلمين بالاقامة فيها لتجارة أو لغيرها وقد ظهر لمسلمى هذا العصر من حكمة الاسلام فى هذا ما لم يكن يخطر بباله دولهم القوية من قبل التى تساهلت وقصرت فى تنفيذ الوصية المحمدية فسمحت ببقاء بعض أهل الكتاب فى بعض بقاع جزيرة العرب كاليمن ثم بوجود بعضهم فى جدة (م ٣٠ ص ٥٨١)

(٥)

وفيما يتصل بهذا كان دفاع السيد رشيد رضا من حماية القرآن من مؤامرة ترجمته التى كانت قد أثرت فى هذه الفترة م ١٨٤/٣٢ قال : ان المسائل القطعية فى هذا الموضوع وما يجب على المسلمين فى هذا العصر

ان اللغة العربية هى لغة دين الاسلام والمسلمين ورابطة الاخوة العامة
 ووسيلة السلام للمؤمن بما يقيد من نزعات الشعوبية وعصبية الجنسية
 ونزعات الملحين وتوحيد كلمة العلماء المختلفة (١) فقد اجمعت الامة
 الاسلامية عريها وعجمها على ان هذا القرآن المحفوظ فى قلوب الالوف
 المرسوم فى الوف الالوف من المصاحف هو كلام الله عز وجل المنزل على
 محمد رسول الله بلسان عربى مبين معجز للخلق اجمعين (٢) وقد اجمعت
 الامة الاسلامية عريها وعجمها على ان هذا القرآن العربى هو اساس دين
 الله الذى اكمل به ما اوحاه الى رسله من قبله ، واتم نعمته على العالمين
 وأمر رسوله ان يبلغه كما أنزله بنصه العربى المبين فبلغه كما أمره الله
 وما بينه من سنة الرسول وما استنبطه ائمة العلم من عقائده واحكامه
 وآدابه (٣) وقد اجمعت الامة عريها وعجمها على ان الله تعالى قد تعبد
 بهذا القرآن العربى كل من آمن به وبرسوله محمد خاتم النبيين من اجناس
 البشر تلاوة وتدبرا وادكارا واعتبارا وامثالاً للأوامر واجتناباً للمناهى
 وحكما بين الناس قال (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) على ما فى ذلك من
 الفروض والواجبات على الأعيان (٤) اجمعت الامة الاسلامية عريها
 وعجمها على ان ما مرض الله تعالى على أفراد أمة محمد صلى الله عليه
 وسلم من قراءة فى الصلاة فالواجب على كل فرد أن يتلوه بنصه العربى
 المنزل كما أنزل (قرآنا عربيا غير ذى موج) (٥) اجمعت الامة الاسلامية
 على أنه لا يباح للمسلمين ترجمة القرآن بلغة اخرى يتعبد بها فى الصلاة
 والتلاوة والتشريع ويطلق عليها اسم كلام الله وكتاب الله . والقرآن الكريم
 كما سمي الله كتابه العربى ويستغنى بها عن كتابه المنزل ولذلك نرى
 جميع الشعوب الاسلامية والأعجمية من الترك والفرس والامغان والهند
 والجاو والصين يعلمون أولادهم القرآن ويدرسون فى مدارسهم الدينية
 تناسيره وكتب الحديث والفقه والأصول والنحو والصرف والبلاغة باللغة
 العربية (٦) وقد علم من هذه الأصول التى اجمعت عليها الامة اعتقادا
 وعملا ان اقامة هذا الدين فى عباداته وتشريعه وحكومته يتوقف على معرفة
 اللغة العربية وان هذه اللغة قد جعلها شرع الاسلام لغة المسلمين كافة
 ووجب عليهم تعلمها ، ضريح بذلك الامام الشافعى فى رسالته والشافعى فى

مقاصدها في كتاب المواقات (٧) ترجم القرآن بعض علماء الامرنج بأشهر لغاتهم الحية وترجمه بعض المسلمين الى تلك اللغات الشرقية وفي كل ترجمة من هذه التراجم اغلاط لكثرة المخالفة لدلولات عباراته اللغوية والشرعية فتح باب للطعن فيه والصد عن الاسلام كما أنها فتحت بابا آخر لأن اطلع عليها من مستقلى الفكر عرفوا بخولهم فيه شيئا كثيرا من عقائد الاسلام الصحيح واحكامه العادلة وحكموا على جميع ما نشره الملاحدة الماديون ورجال الكنيسة المتعصبون ودعاة النصرانية من الكتب والرسائل في الطعن في الاسلام بأن ما دونوه منها من المطامن زور وبهتان فكبر مادحوا الاسلام من علمائهم الاحرار واهتدى كثير منهم به (٨) ما تروى على ما ذكر من صلاح وفساد يوجب على المساءين وجوبا كئاثيا أن يريدوا ما كان من صلاح قوة وتأييدا أن يفندوا ما حدث من الفساد تفنيدا وانما يكون ذلك بترجمته بتلك اللغات كلها ترجمة معنوية صحيحة ، هذه الترجمة فرض كفاية على المسلمين لا تسمى قرآنا ولا يتعبد بتلاوتها وانما هي خلاصة تفسيرية له تدخل في باب الدفاع عن دين الاسلام من جهة ومن باب الدعوة اليه من جهة أخرى .

(٦)

كذلك فقد أولى السيد رشيد رضا اهتمامه للشرعية الاسلامية ومصلحتها لهذا العصر وقد كتب الشيخ على سرور الزنكونى في هذا فضلا مستقيضا قال فيه : ان أسس التشريع الاسلامى قد قيدت البشر بقواعد من الحق والرحمة والعدل والفضل وحقوق الروح والجسد الصالح لكل عصر يكفل لهم كمال الانسان وسعادة الحياة ما أقاموها وأباحت لهم التشريع الاجتهادى فيما يتجدد من الاقضية والمصالح التى تختلف باختلاف الأزمنة والامكنة مع الحسافطة عليها وبهذا لم يكونوا محتاجين الى تشريع سماوى جديد بعدها ، وقد كان من عدم تقيدهم بها هذه الفوضى السياسية والادبية والاجتماعية والثورات الحكومية التى تهدد العالم المدنى بحرب شر من حربها الاخير تلك معالم العمران دكا . ولو أن دول أوربا تدين الله تعالى بما شرعه الله تعالى في كتابه القرآن من وجوب حفظ المهود والمواثيق واجتناب جعلها دجلا باطنها ينقض ظاهرها لتحاكم ذلك من كل ما بينهم

- ٢٥٨ -

من التنازع والتخاصم في معاهدة الحرب الكبرى وفروعها ، ولقد نبئت طائفة في هذا الزمان وكثيرا ما تنبت مثلها في عصور الانتقال - تنادى بوجوب سير الشريعة بجانب نظام المجتمع المادى الحاضر ، وهذه الطائفة ان لم تكن خبيثة فإنها جاهلة بالاسلام ، ان حياة العالم الآن حياة مادية تنحدر بسرعة في طريق الاهواء والشهوات فلو جرى الاسلام انذار الأمم فأباح الزنا للأعزب ومن لا كسب له ولجيش الحروب وأباح الرقص لمناجى النفس وأباح الربا لاستكمال مشتبهات الحياة أو لمزاحمة الأجانب وفي مكة المسلمين أن يزاحبوهم ويقفوا مثل وقفهم بثروتهم الطبيعية والاقتصادية ، لو اتسع الاسلام لكل ذلك لكان دين مادة لا دين خلق وأصبح من أوضاع البشر لا من شرائع الله ومع ذلك ما هو الأساس الإسلامى الذى جرب في الأمم الإسلامية وفشل وتبين خطؤه ، ومن ذا الذى وازن بعقله السليم المنصف بين حكم إسلامى ونظيره في تشريع وضعى ثم أمام البرهان الصحيح على ضعف التشريع الإسلامى وخذلانه ثم ما هو الأمر الجوهري الذى طعن به أعداء الإسلام عليه مع تألبهم الشديد وعداوتهم المستحكمة من أول أمره الى اليوم على كثرتهم وقوتهم ووفرة أساليب حروبهم وضعف المسلمين وتخاذلهم ثم اثبت العقل في وضوح أنهم محقون والإسلام مبطل ، ان العالم المادى لا يزن الإسلام الا بحالة المسلمين مع أن الإسلام دين وخلق يجب أن يوزن بميزان العلم والعقل لا بميزان أهلها المضيعين لها ، ومن العدل أن يقال ان أوربا اللاتينية انما تخدم القوتين الشعبية والشهوية لأن الإنسان سلام واحاء وتعاطفا في الخير لا في جوانب المادة ومناصرة في الحق لا تغلب على الضعيف بل الحيوان الضعيف أجدي على الإنسان من الحيوان الشرير .

الفصل الثاني

الدفاع عن اللغة العربية

- ١١ -

كانت اللغة العربية هدفا أساسيا من أهداف الدفاع عن الاسلام في نظر المنار باعتبارها لغة القرآن ، وفي مواجهة التحديات التي كانت قد بدأت تتعرض لها في هذا الوقت الباكر من قوى الاستشراق والتغريب والغزو الثقافي ومن أجل هذا أولت المنار الاهتمام باللغة العربية والبلاغة والأسلوب العربي المبين وتناولت الأخطار التي تتصل بإنشاء الصحف العامية ووصفتها بأنها صدمة جديدة على اللغة العربية ، وفي مجال الدفاع من ضرورة توحيد لغة المسلمين في اللغة العربية وعن العربية ووجوب تعلمها في الدولة العثمانية .

وفي المنار ١٩٠٢ تحدث السيد رشيد رضا عن مؤامرة التعلم بالعامية المصرية ، وقد بدأت الدعوة ١٩٠١ بكتاب ألفه المستر ويلموز المستشار القضائي باللغة الانجليزية داعيا الى جعل اللهجة العامية المصرية لغة المصريين العامة بدلا من اللغة العربية الصحيحة وحاول اقناع المصريين بأن هذا خير لهم ، وترجع الصيحة الاولى لصوت ولهم سبيتا بك الالماني أمين دار الكتب الخديوية المتوفي ١٨٨٣ فانه وضع حروف افرنجية للعامية المصرية لأجل احيائها وألف كتابا في صرفها وكتبا في امثالها وقصصا عامة ونشر ذلك باللغتين الالمانية والفرنسية ليرغب اوروبا في تنفيذ مشروع تعلم العامية بالحروف الافرنجية وجعلها لغة العلم والتعليم . وقد انتدب بعض اغنياء الافرنج منذ سنين لذلك وأرصد لهم مالا جبا ونشرت يومئذ كراسة في الحث عليه . وأشارت المنار أن (المؤيد) لم تلبث أن نشرت مقدمة كتاب ويلمور لأجل عرضها على الكتاب للرد عليها وقال الشيخ : ليت المؤيد الاغفر لهم تنشر مقدمة كتاب ويلمور فقد كان الاولى أن يحض شبهاته من غير أن ينشرها ويقررها فان من الناس من يلثاث بالشبهات .

وكان الأولى أن يبطل شهادته من غير أن ينشرها وأشار الى مناقشة الشيخ عبد العزيز جاويش لويلمور ، وأشار الى أن جمعية مؤلفة من الشبان الذين أتموا دراستهم في إنجلترا دعت المستر ويلمور لحضور اجتماعها للناظرة والمناقشة وكان الشيخ عبد العزيز جاويش موجودا فسأله : هل خطر على بال المستر ويلمور أن يدعو قومه الانجليز الى توحيد لغتهم بأن يجعلوا لغة العاصمة لغة المملكة كلها كما يدعو المصريين الى ذلك فإنه يعلم التفاوت بين لهجة أهل لندن ولهجات سائر الولايات فقال ويلمور ان هذا غير ممكن لأنه يضيع علينا تاريخ لغتنا فقال الشيخ ان هذه الغائلة التي يحذرنا منها هي بعينها محذورة في ابطال لهجات أرجاء القطر المصرى ماعدا لهجة القاهرة المذبذبة فان قبائل العرب الفاتحين ضربوا في كل رجا من أرجاء القطر وتبوات طائفة من كل قبيلة جهة من الجهات غلبت لهجتها عليها . وأبان خطأ ويلمور في قوله ان لغة القطر المصرى لغة مستقلة دون العربية الصحيحة وبين أنها ليست الا لغة عربية دخلها التحريف والدخيل وان أكثر ما يظن أنه مناف للعربية من لهجاتها هو من العربية وانه اذا لم يوافق لهجة قريش الفصحى فإنه ربما يوافق لغة بعض القبائل الأخرى ثم ذكر أيضا شيئا كثيرا من عيوب اللغة الانجليزية كالخلاف بين ما ينطق وما يكتب ، وكالحروف الأثرية الزائدة ، في كثير من الكلمات حتى ان متعلم هذه اللغة يضطر الى حفظ لفظ كل كلمة وحفظ صورتها في الرسم لأن الأول لا يدل على الثانى في العرف من الكلمات حتى يصح أنه لا قياس في هذه اللغة . وقال الشيخ اذا نبدنا اللغة الفصحى ظهريا وقبلنا أن يكون التعليم باللغة العامية المصرية التى لا كتب فيها ولا قواعد لها سننتقل الى دور آخر في تعذر الاصلاح واستحالة التعلم والتربية بهذه اللغة الفقيرة وهو الدور الذى احتج فيه لورد ماكولى على وجوب تعلم الهندو الانجليزية (م ٤ ص ٨٧٩) .

وأولى المنار اهتمامه بالحركة التى قامت على اثر ذلك في دار العلوم من أجل الترجمة والتعريب ونشر كلمات محمد الحضرى والاسكندرى (م ١٠ ص ٨٥٥) وكان لدار العلوم موقف حاسم بالنسبة للغة العربية والحرب المشنونة عليها ١٩٠٧ بعد انشاء نادى دار العلوم ، أن تكون المهمة الأولى

— ٢٦١ —

فى خدمة اللغة العربية مسألة أسماء الاجناس الاعجمية التى يراد ادخالها فى اللغة العربية هل تعرب أم تؤخذ بالترجمة والحديث عن جواز التعريب واقتراح بانشاء مجمع اللغة العربية خطاب فتنى زغلول (م ١١ / ٣٢) وخطاب حننى ناصف (م ١١ / ١٢١) .

كما اهتم بأمر الخط العربى واصلاحه (م ١٣ / ١٩٦) و (م ١٨ / ٤٦١) حيث قدم عبد الفتاح عبادة مصولا عن انتشار الخط العربى فى العبالم الشرقي .

والت المنار هذه الأبحاث فنشرت بحثا للأستاذ محمود بك سالم عن المطاعن الموجهة الى اللغة العربية وغناها بالمسميات العلمية وفضل اللغة العربية على لغات الامرنج وكونها لغة المستقبل (م ١٣) كذلك فقد فضل المشروع الذى تقدم به أحمد زكى باشا « الملعب بشيخ العروبة » (م ١٣ / ٩٣٧) وكان الكاتب الثانى لمجلس النظر لما له من الخبرة الواسعة فى هذا الباب وما يتصل بذلك من اصدار مجلس النظر قرارا قدمه أحمد حشمت باشا وزير المعارف عن الوسائل المقضى اتخاذها لاهياء الآداب العربية بالديار المصرية وكان أحمد زكى قد قدم مذكرة منذ عشرين عاما وهو يوالى البحث والتنقيب عن أنواع الطرق الموصلة الى تعميم المعارف واستنهاض الهمم لاختيار باب العمل فى فنون الاصلاح المطلوب لاهياء العلوم والآداب العربية ، وقد تناولت الابتداء فى احياء الآداب العربية بطبع ونشر الموسوعتين الكبيرتين المعروفتين باسم نهسلىة الارب فى فنون الأدب لشهاب الدين النويرى ومسالك الأبصار فى ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري وقد ضم المشروع عددا من الكتب الأمهات فى باب الأدب والبلاغة والحديث النبوى وآداب الملوك والتاريخ والتراجم والجغرافيا والرحلة وعلم حفظ الصحة وعلوم طيعية وميكانيكية وعلوم الحيوانات والمعادن والفلك والموسيقى والحرب والديانات القديمة وفنون متنوعة .

وفى المجلد الثالث عشر من المنار أوردت الأسماء العربية للمسميات الأجنبية التى اقترحها نادى دار العلوم وكانوا قد أعلنوا عن وضع أسماء

— ٢٤٢ —

غريبة لبعض المسميات الامرنجية وما لم يجدوا له اسما عربيا وضعوا له اسما جديدا أو عربوه والاشتقاق والتعريب ليس جديد في اللغة بل هما جئزان وواجب أن يصار لهما عند الحاجة ومن هذه الاسماء : اضمامة « بلوك نوت » صبغ « بوية » طنف « ترسيئة » مرمى « جول » خريطة « خارطة » ملف « دوسيه » بطاقة الزيارة « كارت فيزيت » خيالة « سينماتوغراف » .

— ٢ —

وانسحبت المنار صدرها لدراسات واسعة عن اللغة العربية بوصفها أقدم اللغات الشرقية وأم المدنية المصرية والبابلية وخاصة ما يتصل بدراسة أحمد كمال في هذا الشأن الذي أجرى مقارنة بين اللغتين المصرية القديمة واللغة العربية في عدة فصول (م ١٨) وفي المجلد الخامس عشر خطاب مطول في اللغة العربية لجبر ضومط تحت عنوان (بحث تاريخي فلسفي في مواطن اللغة العربية المصرية ونسبتها الى أخواتها من اللغات السامية) ومما جاء فيه ان العلامة روتشن المؤرخ الاثري يرجع أن المدنية المصرية القديمة لم يكن منبتها مصر بل جاءت من العراق وبلاد العرب وأن الباحثين انفقوا على أن لغة الاشوريين وقدماء البابليين واحدة وأن الآثار البابلية تثبت أن الناطقين باللغة السامية هناك لم يكونوا من أصل البلاد الأصليين وإنما جاءوها من مكان آخر ثم بين أن اللغة العربية هي أم اللغات السامية وسيدتها وأن أرومتها الأولى كانت في اليمن وحضرموت وعمان وأنه تشعب منها فروع الى بلاد (بابل بالعراق) فعلى ما تقدم يكون كل من مدنية العراق وسوريا ومصر عربى الأصل ثم تولد من ذلك الأصل فروع استقلت .

ويعلق السيد رشيد رضا على ذلك فيقول : لكن علامة العباديات والآثار المصرية وأمام اللغة الهيروغليفية في عصرنا أحمد كمال (أمين دار الآثار المصرية) أظهر لنا من الاتحاد بين اللغة العربية المصرية القديمة ما لم يكن في الحسبان فقد ألف قاموسا كبيرا أورد فيه ألفا من الكلمات الهيروغليفية الموافقة للغة العربية المصرية في الغالب اما موافقة تامة وإما موافقة بضرب من التحريف أو القلب أو الإبدال المعهود مثله في اللغتين وكان المشهور عن أحمد كمال أنه يرى أن العربية أصل اللغة المصرية

- ٢٩٣ -

القديمة المدونة بالقلم الهيروغليفي ومن لوازم هذا ان أصحاب تلك المدنية كانوا من العرب ثم انه رأى نصا يدل ظاهره على أن العرب أنفسهم أو بعضهم من المصريين فأخذ بظاهره حملا له على الصديق وبنى عليه مخاضته وذلك النص ما وجد منقوشا في الدير البحري بالانصر في زمن الدولة الثامنة عشرة (١٦٠٠ - ١٣٨٠ ق . م) وهى أرقى دول مصر وفيه أن المصريين الأولين اشتهروا باسم الأغنياء وهاجر بعضهم الى القيروان وتونس والجزائر والى أواسط أفريقيا والصومال وبعضهم قطع البحر الأحمر الى بلاد العرب وانتشر فيها وسار من هناك الى جنوب فلسطين (م ١١٦/١٥) .

- ٣١ -

ومن ناحية أخرى أولى المنار اهتمامه الى ما جاء في المقتطف من اشارة الى أن في القرآن كلمات أعجبية وقد كتب أحمد كمال الاثرى المعروف تحت عنوان :

[براءة القرآن الشريف من بعض الالفاظ الاعجبية] .

وأورد ١٧ كلمة وأثبت أنها عربية ، قال : اللغة المصرية أى لغة قبائل الأعداء التى سكنت مصر وما جاورها من الأقاليم هى أصل اللغة العربية بلا مرأى بنص النقوش المذكورة آنفا . وقد نزل القرآن الشريف بهذه اللغة العربية ونص على ذلك نصا جري فى آيات كثيرة . قال المفسرون ان فى القرآن الشريف كلمات غير عربية ولكنها لا تخرجه عن العربية كما أن الكلمة العربية اذا وردت فى القصيدة الفارسية لا تخرجها عن كونها فارسية وأنا أخالف هذا كله فقد جمع المرحوم الشيخ حمزة فتح الله جميع الكلمات الواردة فى القرآن الشريف ويقال انها أعجبية وطبعها بأمر نظارة المعارف سنة ١٩٠٢ وها أنذا أخالفه فى ذلك مبينا أنها عربية لورودها فى اللغة المصرية القديمة .

أكواب وإباريق (سورة الواقعة) أكواب الكلمة مصرية عربية ، إبريق ليست بفارسية ولكنها مصرية وجدت مكتوبة فى حجر نقش بأمر أحد ملوك الحبشة وعثر عليها فى دنقلة فبقيت فى العربية بهذا اللفظ .

— ٤٦٤ —

أب — وردت في نقوش معبد دندرة وعلى جدران مدينة أبو نهى عربية
لا أعجمية ، وفي القاموس : الأب الكلأ أو المرعى .

سرى — أى نهر بالسريانية والقبطية واليونانية وفلته كما مات غيره
من المفسرين أنه مشتق من سرى يسرى وسرى به فاشتق منه سرى
أى النهر ... الخ .

وتحدث في المجلد ١٥ من المنار صفحات (١٨٧/١١٢) جبر ضومط
من اللغة العربية ونسبتها الى اخوتها من اللغات السامية ،
وعن التحطانيون والعبرانيون .

— ٤ —

وأولت المنار اهتمامها البالغ بالبلاغة والبيان وتحدثت عن كتاب
أسرار البلاغة وضع عبد القاهر الجرجاني وقالت : لقد تنبه الناس في هذا
العصر الى احياء فنون اللغة العربية وتحصيل ملكة البلاغة فيها وقد أخذ
الشيخ محمد عبده يقرأ هذا الكتاب على طلبة الأزهر وكذلك ألف جبر ضومط
كتاباً في البلاغة أطلق عليه اسم (الخواطر الحسان) وكتاب آخر سماه
(فلسفة البلاغة) على قاعدة الاقتصاد في انتباه السامع (م ٣) .

كذلك أولى المنار اهتماماً بالغاً بالشعر العربى ونشر في المجلد الثالث
للراعى والكاظمى وأحمد محرم والبارودى وشوقى وحافظ وتحدث
من الشوقيات كما تحدث عن الشعر وأوزانه ، ومادته وبنائه .

— ٥ —

وقد عرض السيد رشيد رضا لمشروع التعليم بالعامية المصرية
التي يراد بها احكام المؤامرة ضد الفصحى لغة القرآن فقال : واجهت المنار
صيحة استبدال اللغة العامية السخيفة باللغة الصحيحة الشريفة ،
استبدال الذى هو أدنى بالذى هو خير ، هذه الصيحة هيكت الألسنة

والأقلام الى تعويق سهام الملام واقامة الحجة على الصائح بأنه يقتصد
منفعة قومه لا منفعة الذين يدعواهم الى ترك لغة دينهم وشريعتهم وعلومهم
وأدابهم الذى ضعف بضعفها منهم كل مقوم من مقومات حياتهم وفي محوها
من ألواح التعليم ومحو أمثهم من لوح الوجود الاجتماعى . وأثسار الى
صدمة جديدة على العربية وهى ظهور جرائد بالعامية : الحبارة واللجام
والغزالة والشيطان مع سقوط مجلة البيان الفصيحة ونهضت الحمارة
باللجام واحلقأه ، ألم يكفهم هذا حتى قام جماعة يسعون لتعليم وتعلم
اللغة العامية بحروف افرنجية .

وقال السيد رشيد رضا انه فند وجوه الخديعة الخلافة وكشف الغطاء
من ضروب التدليس والتلبيس فى الموضوع ونبه الى تقصيرنا فى احياء
اللغة الصحيحة ونشرها بالتعليم التويم حتى كادت تمحى وتزول وحتى
صار بعض الناس يعتقد أن احياءها محال وعلى الخطر الذى يتهدهدها
إذا تمادينا فى اهمالنا واغفائنا .

الفصل الثالث

التربية والتعليم

- ١ -

إذا قلنا ان لب لباب دعوة حركة الإصلاح الاسلامى هى التربية والتعليم ما عدونا الحقيقة فقد كانت الفكرة الاسلامية للاصلاح هى احياء التربية الاسلامية وتغيير مناهج التعليم بحيث تدخل اليها العلوم الحديثة واصلاح مناهج الجامع الأزهر وبناء المدارس الاهلية لاستنقاذ عدد كبير من المسلمين من مدارس التبشير والارساليات ولوضع مناهج اسلامية أساسية فى مواجهة التحديات التى كانت تتمثل فى مناهج وزارة المعارف التى وضعها دنلوب والتى فرغها من المفاهيم الاسلامية والتاريخ والأدب العربى والتراث بعد أن قضى على المناهج الدراسية التى كانت قائمة قبل الاحتلال وتحدث طويلا السيد رشيد رضا ، حتى ليكن القول دون مبالغة انه لم يخل عام من الأعوام من متابعة الحديث عن ترشيد التربية والتعليم العام والأزهري ، ومن أجل ذلك تحدث عن المدارس الوطنية فى الديار المصرية والتعليم عند القبط وسبب سببهم للمسلمين وصبغ التعليم بالصبغة الأجنبية ووثبة المصريين لانشاء المدارس الاهلية ، كما تحدث المنار عن تربية البنات تربية خاصة مختلفة عن تربية البنين وكذلك تحدث عن تربية الأطفال والتربية النفسية وتعليم النساء تدبير المنزل وتربية الطفل وتعليم الأمهات الأصول العامة لطباع الأطفال وغرائزهم، يقول فى نقد التعليم الرسمى وتعليم البنات (م ١٩٣/٥) لم يرد فى قانون التعليم ما يدل على أن البنات يتعلمن ما يختص بالنساء من الأحكام والآداب الدينية ورجعنا الى كتب التعليم فلم نجد فيها شيئا من ذلك ونحن نعلم كما تعلم نظارة المعارف أن النساء ليس لهن مورد من موارد العلم الا هذه المدارس فإذا جاز أن يكتسب التلميذ بعض ما يفوته من الأحكام الدينية فى المدرسة بمقياس أهل القطيع الدينى وحضور مجالسهم وسماع الخطب فمثل ذلك لا يتأتى للبنات ولا للنساء لأنه ليس فيهن عالمات بأمور الدين ثم ان البنات

- ٢٩٧ -

أحوج من الصبيان الى الدين عقائده وأعماله وآدابه لسبب آخر هو أن وضعهم في الشرق لا يزال في تأخر عظيم والنسبة بين الرجال والنساء في مصر كالنسبة بين المصريين والزنوج .

وأشار الى تعليم البنات في المدرسة السنية وما تشوبه من قصور وشبهات حتى أن مس. جريفس الناظرة الأولى للمدرسة السنية كتبت في تقريرها : ان تعليمنا بلا تربية لا يفيد وان التربية لا تكون بغير دين وان توحيد طرق التربية والتعليم ضرورى فلا يصح أن يكون في مدرسة واحدة دينان وان أولى الأديان بالترجيح في مدارس حكومة اسلامية وبلاد اسلامية هو دين الحكومة فيجب على نظارة المعارف تعميم الديانة الاسلامية في مدارس البنات وجعلها الزامية ومن أثاره أن ترشد البنات وكن مثلها في المدرسة حائرات .

وقد أزعج هذا التقرير مستر دنلوب. فاستغنى عنها .

وقد أشار المنار الى خطر دنلوب على وزارة المعارف (م ٢) والى عمله الخطير في « محو معالم اللغة العربية وطمس آثار الديانة الاسلامية في المدارس وجعل رسومها موائل ودوارس » قال : ولا لوم على من يخدم دولته وملته وانما اللوم والتثريب بل اللعن والتائب على الذين رضوا بأن يكونوا معاول في يديه لهدم بناء جامعتهم الدينية واللغوية وهم يعلمون أن هدمها يعسدم جنسيتهم بالكلية وفي هذا محو الملة والامة من لوح الوجود ، وعاولد السيد رشيد رضا الموضوع (م ٣) فأشار عن انشاء مدارس اهلية لمقاومة المدارس التبشيرية وانشاء مدرسة للبنات على نمط اسلامي كما أولى اهتماما كبيرا الى محاولة اصلاح التعليم في الأزهر. وأولى اهتمامه بمدارس الجمعية الخيرية الاسلامية والاحتفال بها وقال ان الغرض منها هو تربية أولاد الفقراء فلو أمكننا أن نطلقهم من الشوارع نرضى أوليائهم ، والمقصد هو أن ننزع من النفوس اعتقاد ان التعليم لا فائدة منه الا الاستخدام في الحكومة ، وقد أوجدت الجمعية في نفوس التلاميذ أن يعمل الواحد منهم عمل أبيه وأن يعيش مع الناس في أمانة واستقامة .

— ٢٦٨ —

وقال ان مدارس الجمعية الخيرية تأسست ١٨٩٢/١٣١٠ يوجد ٨٦٠ مشترك في عواصم متعددة للقطر المصري ، المدارس أربع وبها ٣٥٠ تلميذا .

— ٣ —

وفي مجال الدعوة الى التعليم والتربية الاسلامية أشار الى العلوم التي يجب تعلمها :

- ١ — علم أصول الدين : (لا البحث في غوامض علم الكلام كالوجود هل هو غير الموجود أم غيره والصفات وهل هي عين الذات أم غيرها) .
- ٢ — علم تهذيب الأخلاق واصلاح العادات .
- ٣ — علم قضية الحلال والحرام والعبادات .
- ٤ — علم الاجتماع وأحوال البشر في بداويتهم وحضارتهم وملهم ونحلهم .
- ٥ — علم تقويم البلدان والجغرافيا .
- ٦ — علم التاريخ (مع التوسع في معرفة تاريخ أمته وملته وبلاده وأن يأخذ طرفا من التاريخ العام) .
- ٧ — علم الاقتصاد الذي يبحث في انماء الثروة وحفظها .
- ٨ — علم تدبير المنزل .
- ٩ — علم الحساب .
- ١٠ — علم حفظ الصحة .
- ١١ — علم لفنة البلاد (يفقخر الامرنج بلغاتهم ويدلبون على خدمتها ، وحق اللغة العربية على أبنائها) .
- ١٢ — فن الخط .

وقد أشار (م ٩) الى التعليم الدينى في المملكة العثمانية وما أرسله الشيخ محمد عبده ١٣٠٤ هـ الى شيخ الاسلام في الاستانة في هذا الصدد ، أشار فيها الى الأخطار التي وقعت بسيطرة المدارس الأجنبية ، مدرسة الأمريكان واليسوعيين العزائية والفريد وجمعيات أخرى دينية أوروبية ؛

- ٢٦٩ -

والمسلمون لا يستنشقون عن ارسال اولادهم الى تلك المدارس طمعا في تعلمهم بعض العلوم المظنون نفعها في معيشتهم أو تحصيلهم بعض اللغات الأوربية ، هذا التساهل المحزن ، بالعامية تعدى الى المعروفين من ذوى المناصب الاسلامية ، هؤلاء الضعفاء يدخلون في سن السذاجة وغرارة الصبا ولا يسمعون الا ما يناقض عقائد الدين الاسلامى ولا يرون الا ما يخالف الروح الاسلامية ، بل لا يطرق أسماعهم الا ما يزرى على دينهم وعقائدهم آباءهم .

كذلك فقد اشار السيد رشيد رضا الى أن التعليم المنتشر في البلاد العثمانية في هذه الفترة (١٩١٠ م تقريبا) هو المانع الأعظم للعثمانيين من الاتحاد لاختلاف طرقه ولو كان عاما شاملا لكان الناس في اتحادهم أشد وأقوى .

كذلك فقد اشار الى المدرسة الكلية الأمريكية في بيروت وما تقوم به مع الطلاب المسلمين .

واشار الى واقعة استقدام الرئيس للتلاميذ طالبا منهم تعهدا للقيام بالواجبات الدينية من دخول كنيسة ودرس تورا و انجيل حسب الشرح والتعليق البروتستانتية التى يفر منها المسلم ويشكك في صحتها (م ١٢ / ٦٣٧) .

وتابع هذا من بعد بحث آخر تحت عنوان : الاتحاد في المدارس العلمانية قال : اطلعت على بعض كلام لبعض مدارس المدرسة العلمانية اللادينية التى صار انشاؤها حديثا في بيروت قوامه الطعن في الدين وفي ذات الله تعدست ذاته ومن ذلك قولهم ان العقل يقودنا الى الحقيقة والايمان يقودنا الى الكذب وكثير من أهالى بيروت أرسلوا أولادهم للمدرسة المذكورة ليتعلموا بها اللادين .

واشار الى ما نشرته عن التعليم اللاديني جريدة المقطم فقالت ان نخبة من الماسون ورجال الجمعيات الأخرى شارحون في انشاء مدارس للتعليم المطلق من كل سلطة دينية يعلمون فيها التلاميذ على مذهب ابن رشد ، وان فرنسا أقبلت على هذا التعليم منذ ١٨٨٢ فلم تر فيه مائدة في ترقية

— ٢٧. —

الأخلاق بل دلت الإحصاءات على أن الفساد زاد كثيرا في الأجيال التي تخرجت في عهده ولا يزال يزداد في الأحداث بنوع خاص ، ومعدل المنحرفين والفارين من الخدمة العسكرية وازدياد الجنايات وقال : والعقلاء متفقون على أن ذلك نتيجة التعليم اللاديني وقال المسيو تمبلنو من رجال القضاء ان زيادة الجرائم الهائلة بين الفتيات قد بدأت بعد أن انتشر التعليم اللاديني ورأى ابن رشد بشجب المدارس اللادينية ، حتى اذا صممت دعوتها الأولى وهي أنها تعلم العلوم في معزل عن الدين فكيف وهي لا تتصد حقيقة سوى مقاومة الدين ومثاقفه ، وقد أعلن ذلك فينفتاني في مجلس النواب الفرنسي وقال اننا نقصد انشاء مدارس لمقاومة الدين وكلمنا ذكر الحيداد في الأمور الدينية . هذه نتائج التعلم الذي يريد أن ينفضنا به ماسون الاسكندرية وأخوانهم » (م ١٤ / ١٩١١) .

وقد واصل السيد رشيد رضا دراساته عن التعليم والتربية فقال في المجلد ١٥ : انه اختبر أحوال العالم الاسلامي اختبارا لم يتيسر مثله الا لقليل من امتنا وكانت نتيجة هذا الاختبار انه يعتقد اعتقادا قاطعا انه لا رجاء لامتنا الاسلامية بالنجاح والفلاح الا بتربية خاصة وتعليم خاص لطائفة من المسلمين ليكونوا مرشدين ومعلمين لامتهم ثم لغيرها من الأمم كما يليق بهدى الاسلام الذي اكمل الله به دين الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا ينشغلون بعد ذلك عنه فحسبهم اصلاح النفوس وارشادها الى العمل بما تعلم وقال : وقد رايت عقلاء المسلمين من العرب والترك والفرس والهنود متفقين معي على هذا الرأي ، هذا هو العمل الذي تألفت له جماعة الدعوة والارشاد ، وأول تهمة قذفنا بها المرجفون في جريدة العلم المصرية هي أننا نؤسس جمعية سرية لاسقاط الدولة العثمانية وانشاء خلافة عربية وكانت حجتهم في ذلك أننا نخفي عملنا ولا نظهر للناس أسماعا وقانونا .

وتحدث المنار عن خطر المدارس التبشيرية في البلاد العربية فقال :

قرأ المنار يعلمون أن المدارس الفرنجية والمدارس المترنجة على اختلاف أنواعها من تبشيرية أنشئت لدعوة النصرانية وعلمانية أنشئت لمقاومة الإديان وكلها أخرجت للشعوب الإسلامية نابتة مضطربة في أمر دينها ودنياها وسياساتها وآدابها يقل منها من يعرف دينه معرفة صحيحة ،

ويكثر فيهم الهدامون لبناء أمتهم ، وأشار الى قول لورد سالسبرى عن أن هذه المدارس هي أول خطوة لاستعمار الشعوب التى تنشأ فيها ، فانها تخرج منها طائفة تحالف سائر أمتها فى عقائدها وتفكيرها وتقاليدها فتحدث فيها صدعا وشقاقا تنقسم به على نفسها فيقتلها هون الانقسام بأيديهم ومصداق ذلك أن متفرجة الترك قد هدموا تلك السلطة (الامبراطورية) الراسخة الأساس وانتهى أمرهم الى امارة صغيرة طردوا منها الشعوب المسيحية . ومن المعلوم عند كل من يعرف الاسلام أنه دين وتشريع سياسى قضائى ونظام اجتماعى وانه حكم عربى كما نطق به كتابه المنزل فان كان من مثار العجب أن يحاربه ملاحدة الترك ايثارا للعصبية اللغوية ، وقد جاء هذا ردا على مقال تحت عنوان العالم الغربى والعرب والاسلام وعن حرب أوروبا للإسلام وسياستها معه ، وجهد أوروبا فى تنصير المسلمين ومقاومة أوروبا للإسلام فى بلاده وعطف أوروبا على الأرض دون المسلمين (م ٢٦) وأشار من بعد عن مسألة تعليم أولاد المسلمين بواسطة معلمين غير مسلمين وما عساه ينشأ من غير المسلمين أمور تنافى دين الاسلام بسواء بالمقال ، أو بالمال فى بذر الفساد فى النفوس لكونهم ضعاف وذوى نفوس ساذجة ، فقد يجوز الانتفاع بهم فى الحساب والاقتصاد فيما لا يخشى على الأولاد ضرر منه فى دينهم ولا تربيتهم القومية والمالية . (م ٣١) وقد وسع هذا البحث من بعد فقال : ان تعليم الأولاد ما يجب عليهم من عقائد الاسلام واحكامه عندما يبلغون سن التكليف ومبادئ اللغة العربية التى هى لغة الاسلام فرض على والديهم وأولياء أمورهم فإذا كانت مدارس الدولة لا تمنع والديهم من تعليم ما يذكر من الأمور الدينية ولغتها ومن تربيتهم على هدى الاسلام وأخلاقه ومن أهمها عزة النفس فلا مانع من ادخالهم فيها إذا كانت تمنعهم فلا يجوز ادخالهم فيها ، وأشار الى مدارس النصرانية (مدارس التبشير والارسالية) فقد ثبت بالاختبار العام أن هذه المدارس انما تنشئها لنشر دينها وتربية التلاميذ والتلميذات فيها على عقائدهم وعباداتهم وآدابهم وانها تتوخى بذلك ابعاد المسلمين والمسلمات منهم عن دين الاسلام بأساليب شيطانية تختلف باختلاف حال المسلمين من العلم والجهل . ان المدارس اللادينية التى تنشئها الجمعيات السياسية والاحادية تتوخى بث الالحاد بل الكفر المطلق بالرسول وما جاعوا به من الهدى والرشاد وقد ثبت

- ٤٧٢ -

بالاختبار ان الالحاد في الدين قد نشأ في المتعلمين في تلك المدارس كلها على درجات منهم المعطلة ومنهم الشاككون أو اللادريون ومنهم الذين يلتزمون الجنسية الدينية والسياسية والاجتماعية في الزواج والأرث والأعياد والمراسم .

ومن آثار ذلك ما نراه من الفوضى في الأمور الاسلامية والجهل ببعض الأمور المعلومة من الاسلام بالضرورة التي أجمع علماء المسلمين سلفا وخلفا على ككر جاحدها وعدم عذر جاهلها والدعوة الى مخالفتها . ومن آثار ذلك ترجيح المترنجين وإلى العصبيية الجنسية للفسات الأجنبية على لغة الاسلام العربية بل يجهلون أن الاسلام قد جعل لغة العرب لغة كل المسلمين لتكون عبادتهم واحدة وشريعتهم واحدة وآدابهم واحدة ويصدق عليهم قوله تعالى (ان هذه أمتكم أمة واحدة) من كل وجه .

متعليم أولاد المسلمين في المدارس التبشيرية والمدارس الدينية (الايك) قد جنى عليهم في دينهم ودنياهم وسياستهم وأوطانهم وسلبيهم أكثر مما كانوا نالوه بهداية دينهم . انهم أسلموا أولادهم وأفلذ أكبادهم لأعدائهم لأجل أن يجعلوهم مثلهم فيما كانت به دولتهم عزيزة قوية فقطعوا عليهم الطريق المستقيم الذي يوجههم الى ذلك وهم لا يشعرون ولا يعقلون .

وأكبر المصائب على المسلمين أنه ليس لهم دولة اسلامية تقيم الاسلام في علومه وسياسته وهدايته وتشريعه وتعليمه وتربيته فيرجعون اليها فيما يختلفون فيه من أمورهم في بلادها وغير بلادها وليس لهم جمعيات علمية دينية حكيمية غنية كجمعيات النصارى واليهود فيجب أن ننشئ لهم المدارس والملاجئ والمستشفيات فتغنيهم عن الالتجاء الى أعداء دينهم (م ٣٢) .

وعاود البحث مرة أخرى حول التربية الاسلامية والتعليم الاسلامي
نقال :

الذي أعلمه أنه لا توجد في بيوت المسلمين ولا في المدارس الرسمية ولا غير الرسمية ولا في المعاهد الدينية (تربية اسلامية) مدونة أو متبعة بالعمل في تنشئة أطفالهم في البيوت ثم تلاميذهم في المدارس والمعاهد على أخلاق الاسلام وآدابه وعبادته كالصدق والحب والحياء والأمانة وهزة

— ٢٧٣ —

النفس وبر الوالدين وصلة الرحم والتعاون والاقتصاد والتراحم واجتناب البذاء والفحش في القول حتى يترعرع ويشب معتقد أن المسلم بإسلامه أعز الناس نفسا ، وأجدرهم بالكرامة واتباع الحق واحتقار الباطل وحب الخير للناس كافة ، وان يحب لذلك أن يكون قدوة لهم في كل مرحلة وعادة وعمل ولا يليق به أن يكون تابعا أو مقلدا لقوم آخرين فيما بعد تفضيلا لهم على قومه مع اعترافه لكل ذي حق بحقه وكل ذي فضل بفضله وبرأته من كل ما فشا في قومه من البدع والخرافات والعادات الضالة والسسمى لازالتها ، أما تربية المدارس فروحها تفرنج تقتل الاسلام قتلا بتفضيل كل ما هو أجنبي على ما يخالفه من عقائد الاسلام وشعائره وعباداته وأخلاقه وآدابه ومشخصاته ، وحسبك أن الصلاة التي هي عمود الاسلام وعنوانه ومغذية الايمان غير واجبة على أساتذة هذه المدارس ولا على تلاميذها . هذه المدارس قد وضع الانجليز نظمها وعينوا لها وجهتها وغايتها كما شاعوا ومن مقاصدهم فيها الا يكون لمن يتعلم فيها أدنى شعور بأن لقومه ملة اسلامية لها من المزايا في دينها وتشريعها وحضارتها وتاريخها ما تعلو به على جميع الملك وما لا تشاركها فيه ملة أخرى وقد عزلت الناظرة الانجليزية التي كانت تتولى المدرسة السننية على عهد القس فنلوب لأنها قالت لابد من تعليم البنات الدين ودين الاكثرية هو الاسلام ومزق تقريرها ، ومدارس التبشير وراهبات الكاثوليك يحتقرون الاسلام وكل ما ينتمى اليه ويحتقرون لفته أيضا .

الفصل الرابع

قضايا المجتمع والمرأة

كانت قضايا المجتمع والمرأة في مقدمة الموضوعات التي شغل بها المنار وعمل على تقديم رأى الاسلام ومفهوم الاسلام في مختلف المواقف فتحدث المنار عن وجهة نظر الاسلام في الاشتراكية التي تدع اليها بعض الجمعيات في أوروبا (م ١٨٩٨/١) وقال الترف مهلكة الأمم ، وأشار الى أسوأ المجتمع كالقمار والخمر والزنا وتحدث عن الاقتصاد وحرب الغرب لاقتصاد المسلمين وعن انشاء البنك الأهلي في مصر ، وقال : الأوربيون علموهم أن حرب الدراهم والدنانير انجح من حرب المدافع والبواريد وقد امتلكوا بهذه الحروب الذهبية والفضية أكبر بلاد الشرق فالتجلى استولوا على ممالك الهند عن طريق جمعية تجارية وطأت المسالك ومهدت السبل لطلبها السلطة ويؤيدها النفوذ وكذلك شركة البجر في أحشاء أفريقيا ، وعقد عدة فصول عن البنوك ومعاملاتها من وجهة نظر الاسلام (م ٣٦١/١٠) وعن حوالات البنوك كما تناولت المنار علوم الاجتماع والأحوال الاجتماعية في مصر وما يتصل بالانحراف والقمار (م ٥٧٣/١) وتناولت الرقص الأفرنجي (م ٩١٧/٤) ومضار تربية النساء الاستقلالية عند الأفرنج (م ٥) وتحدث مما أسماه البغاء أو خطر العهارة في القطر المصري (م ١٠) وقال ألف الدكتور ثورتفالييس بك كتابا باللغة الفرنسية قال فيه : لعل الذين تركوا الدين فوقعوا في الأدواء التي تنشأ من الزنا يعرفون الاخطار التي تساورهم في أجسادهم وفي دينهم فيقل تهافتهم على هذه الفواحش المحرمة في كل دين ، وأعتقد أنه لا علاج لهذه المعائب المعرانية والاجتماعية الا التربية الدينية وان من يزعم أن الامتناع بضرر المعاصي وحده يعمل ما يعمل الدين من النزوع اليها فهو من الجاهلين .

وقد واصل المنار الحديث عن قضية المرأة وترشيدها نهضة المرأة ، ودأب على نشر ما يؤيد وجهة النظر الإسلامية في هذا الشأن ، ونشر

محاضرة باحثة البادية التى ألقتها فى الجامعة المصرية على النساء (٥ ربيع
الأخير ١٣٢٨) عن دور الطفولة والمراهقة والملابس والأزياء والخطبة
والزواج والاقتصاد المالى والمنزلى والعمل البيتي والأخلاق والعبادات ودور
الأمومة .

وعرض السيد رشيد لقضية المرأة فى (المجلد ٣٣) فيقول : كان من
موضى الأتلام وحرية الإباحة والاحاد أن تصدى للتحريز فى الصحف وتصنيف
الكتب والقصاص أفراد من المتفرنجين الإباحيين ، انتحلوا لأنفسهم دعوى
التجديد وزعامة الحضارة فوجهوا دعوتهم الى النساء والشباب لأنها أسرع
انخداعا وألسن قيادا وما زالوا يشوهون لهم كل قديم كانوا عليه ويزينون
لهم كل جديد ضار بعروبتهم ولا سيما حجاب النساء وعفافهم ولزوم بيوتهن
وطاعة رجالهن حتى تهتن الحجاب والفن جلابيب الحياء ونشر الأرواح
على بعولتهن وتمرد العذارى على آبائهن وخروجهن فى الشوارع والأسواق
كاسيات عاريات مائلات كما ورد فى الحديث الصحيح وصفا لنساء
سوف يأتين من سيدخلن النار ثم صارت الجمعيات النسائية تجمّع بين
النساء والرجال فى مخالفتهم الخاصة بهذه الصنعة للرقص الشرقي وتعاطي
كؤوس الخمر ثم صار هؤلاء وهؤلاء يخرجون من البيوت الى سواحل البحار
بمازى الحمام يجترن الشوارع فرجات فرجات حتى اذا التقين بالرجال على
الشاطئ خاصرتهن الى حيث يسبحن معهم فنونا من سباحة الإباحة لم يبق
معها للدين ولا للشرف ولا للعفاف ولا الصيانة قيمة ، هذا الفساد وخطره
على الأسرة والوطن ، فالأمة . . .

وتحدث فى موضع آخر عن اشتغال المرأة المسلمة بالتمثيل (م ٢٠)
فقال ان اشتغال المرأة المسلمة بالتمثيل يشمل على منكرات محرمة منها :
ظهورها فى أمين الرجال متبرجة كاشفة ما لا يحل كشفه لهم من أعضائها
كالرأس والنحر وأعلى الصدر والزراعين والعضدين وتحريم هذا مجمع
عليه معلوم من الدين بالضرورة ، ومنها الاشتراك مع الرجال الممثلين فى
أعمال تكثر فى التمثيل ان لم يكن من لوازمه فى كل قصة كالمعانقة والمخاصرة
واللامسة بغير حائل ، وفيها غير ذلك من المنكرات التى تشمل عليها بعض
القصاص كون بعض كالتشبه بالرجال وتمثيل الوقائع العشق والغرام المحرم

- ٣٧٦ -

بما فيه من الأعمال المحرمة لذاتها أو لكونها ذريعة الى المحرم لذاته (وعاد السيد رشيد الحديث عن موقف المرأة في التمثيل والتياترو في المجلد (٣٨/٤١) .

وتحدث عن التمثيل والتياترو فقال : المجموع الذي يتضمن المحذور يكون محذورا وان درء المفسد مقدم على جلب المصالح وقد نهى القرآن عن ابداء النساء زينتهن لغير بعولتهن أو آبائهن ، فما بالك بما هو شر منها وهو الرقص مع الأجانب أو مطارحتهم الغرام و تمثيل معاملتهم معاملة الأزواج تارة والأخوان أخرى ، وقال ان من عصيان المرأة أن تبدى ما خفى من زينتها في التمثيل ورقصها مع الرجال وان اتباع التقليد يقطع الرابطة الاسلامية ويهدم الجنسية فليس ضررها محصورا في عصيان بعض النساء لأمر الله وجراتهن على انتهاك محارمه ..

ولقد ألف السيد رشيد رضا كتابا تاما في قضية المرأة تحت عنوان (نداء الجنس اللطيف) نشر مقدمته ومفصولا منه في النّار وقدم فيه مفهوم الاسلام لكل قضايا المرأة .

أما ما يتعلق بقضية تحرير المرأة التي أثارها قاسم أمين باصدار كتابه (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة) فقد وقف منها السيد رشيد رضا موقف جماعة صالون نازلي فاضل ، وان كان قدم ما كتب في معارضته مثل كتابي فريد وجدي وطلعت حرب وقال ان كتاب فصل الخطاب في المرأة والحجاب وضعه طلعت حرب للرد على كتاب المرأة الجديدة كما ألف (تربية المرأة والحجاب) للرد على تحرير المرأة وقال ان قاسم أمين غالى في بيان مضر التشديد والمبالغة في الحجاب وبالعجاء في جعل نجاح المسلمين متوقف على ازالة الحجاب المعهود في الأذهان والموجود أثره في العيان واعتذر منه بأنه افراط في مقابلة التفريط في التشدد بالحجاب حتى جعل مانعا من العلم (وأشار الى ما أورده قاسم أمين في فضائل الحجاب

— ٣٧٧ —

ومحاسنه وضرر التبرج والتهتك في رده على الدوق داركور اولاً (وأشار الى أن فريد وجدى في كتابه المرأة المسلمة اورد جملة حقائق أهمها :

١ — ان المرأة اضعف من الرجل جسماً واقل منه تبولا للعلم لان وظيفتها الطبيعية تقتضى ذلك لا لان يكون خاضعة للرجل .

٢ — كمال المرأة موهبة روحانية هذا الكمال لا تناله المرأة الا اذا كانت زوجة لرجل واما لاطفال .

٣ — ان اشتغال المرأة بأشغال الرجال قتل لمواهبها .

٤ — ان الحجاب ضرورى للنساء لصالح النوع الانسانى .

٥ — ان تعاليم الاسلام للمرأة موافقة لفطرتها تمام الموافقة .

٦ — لا ينقص المرأة المسلمة لى تبلغ اكمل نقطة يمكن أن ينال جنسها الا تعلم مبادئ العلوم العصرية .

الفصل الخامس

أحياء التراث

كان أحياء التراث وعرض المجدد منه من أبرز أعمال المنار فقد كان هذا العمل جزء من خطة الإصلاح ركز عليها الشيخ محمد عبده حين أحيى كتابى أسرار البلاغة ونهج البلاغة رغبة منه في رفع مستوى الأسلوب العربى وردده الى عصور الأزدهار ففى المجلد الثالث يشير « الى اهتمام الشيخ عبده بكتاب أسرار البلاغة واعادة طبعه وذلك فى نطاق الدعوة الى الرجوع فى العلوم الاسلامية الى الوراء بضعة قرون والأخذ بكتب الائمة الذين دونوا العلوم ووضعوا الفنون وقد خالفه علماء الأزهر الأزهر فى ذلك ومن ذلك أن كتاب عبد القادر الجرجانى أسرار البلاغة لم توجد نسخة منه فى مصر فاستحضرت من الشام وروجعت مع نسخة فى الاستانة ،

قال السيد رشيد : ان هدف الشيخ محمد عبده مواجهة الضعف فى أسلوب الكتابة والبيان ، وقد خالفه فى ذلك علماء الأزهر من يعجز منهم عن فهم كتب القدماء فضلا عن تدريسها ويثقل عليه أن يقرن العلم بالعمل لأن ما عنده من العلم خيالات لا تهدى الى عمل فبعد أن سعى لطبع (البصائر النصيرية) فى المنطق وأتم قراءته درسا فى الأزهر وجه نظره الناقد لطبع كتاب امام البلغاء بل واضع فنون البلاغة ومؤسسها الشيخ عبد القاهر الجرجانى (سقى الله ثراه) ولعبد القاهر كتابان فى البلاغة مشهوران ينقل عنهما العلماء ، أحدهما أسرار البلاغة والثانى دلائل الاعجاز ولا يوجد فى القطر المصرى نسخة من الكتاب الأول ولكن كانت توجد منه نسخة فى طرابلس بالشام فاستحضرتها بأمر الأستاذ وبعدما نظر فيها رأى فيها غلطا نسخيا وعلمنا أن فى بعض مكاتب الاستانة العلية نسخة أخرى فأمر الأستاذ بعض طلاب العلم النبهاء مذهب الى الاستانة مخصوصا وقابلها عليها فخرج من النسختين نسخة صحيحة تولى الأستاذ تصحيحها وضبطها بنفسه وأمرنا بطبعها فباشرنا الطبع وبأشر هو تدريس الكتاب فى الجامع

— ٢١٨ —

الأزهر فأقبل على حضور دروسه مع المجاورين كثير من العلماء وكبار الموظفين والكتاب والشعراء وأساتذة المدارس الأميرية ، أما عبارة الكتاب فهي في الطبقة الأولى من السلامة والمتانة وأسلوبها عريى صريح لا عرقى معتد » .

وتحدث المنار على مدى سنواته الطويلة عن المؤلفات التي حققت وبعثت من التراث وهي كثيرة منها نهاية الأرب في فنون الأدب ، وعيون الأخبار والأغاني وكتاب أساس البلاغة للزمخشري والذي عنى بتصحيحه الشيخ محمد محمود الشنيقطي (والكتاب وضع لبيان الاستعمال الفصيح والأسلوب البليغ منها وتصريف القول في أساليبها ومضامينها ومنه الحقيقة والمجاز والكناية) وقد كتب للخواص من أهل العلم والأدب ، وأشار إلى عشرات الكتب منها الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية لابن تيمية والإشارة إلى محاسن التجارة لأبي الفضل جعفر بن علي الدمشقي ، والسياسة الشرعية لابن تيمية ، وفيصل التفرقة بين الإيمان والزندقة للغزالي ومسند الإمام زيد المسمى بالمجموع الفقهي . واحياء علوم الدين للغزالي والاعتصام والموافقات للشاطبي ، ومقدمة ابن خلدون واحياء كتاب التبر المسبوك في نصيحة الملوك لأبي حامد الغزالي كتبه للملك العادل السلطان محمد بن ملك شاه (ولاحظ السيد رشيد على الكتاب الغلو في الرهبنة والنهي عن العناية بعمارة الدنيا) وكتاب ميون المسائل في أعيان الرسائل لعبد القاهر بن محمد الحسني . وهو دليل على أن رجال الأزهر حتى القرن العاشر كانوا يترؤون العلوم الطبية والفلكية والطبيعية التي يعادونها علماء الأزهر اليوم . (م ٣) .

وتحدث عن مغارى الوائدي في فتوح الشام وقال : انتقده الشيخ محمد عبده وقال أنه كان من عمال الدولة العثمانية ولاه المأمون القضاء في عسكر المهدي وقال ابن خلكان : ضعفوه في الحديث وعدوه ضعيف الرواية ليس من أهل الثقة لهذا نفى الإمام الرملي من علماء الشائعة على أن لا يؤخذ بروايته في المغازي فان كان هذا الكتاب المطبوع الموجود في أيدي الناس من تصنيفه فهذه منزلة من الضعف عند علماء المسلمين على أنى لو حكمت بأنه مكذوب عليه مخترع النسبة إليه لم أكن مخطئاً (م ٣/٧٥٩) .

- ٢٨٠ -

وثال ان كثير من عباراته يظهر منها وجه المخالفة بينها وبين مناهج أنساق القرون الاولى فى التعبير وهذا لا يحتاج الى بيان والعارفين بأطوار اللغة العربية يعلمون ذلك فهذا الكتاب لا تصلح الثقة به اما لانه مكذوب النسبة على الواقدى وهو الاظهر واما لضعف الواقدى نفسه فى رواية المغازى ١٠

- ٢ -

وكما اولت المنار اهتمامها الواسع للتراث الاسلامى المجدد وكان لها دور فى احيائه وطبعه كذلك فقد اهتمت بالمؤلفات الاسلامية الجديدة التى كانت من ثمار حركة الاصلاح فى الاغلب وقد عرضت لكثير منها :

تطبيق الديانة الاسلامية على نوااميس المدنية	فريد وجدى
تاريخ دول العرب والاسلام	طلعت حرب
نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين	محمد الخضرى
الفتنه والتصوف	الزهرراوى
طبائع الاستبداد	الكواكبى
الدنيا فى باريس	احمد زكى
اشهر مشاهير الاسلام	رفيق العظم
الشوقيات	احمد شوقى

كذلك فقد اهتم بالمؤلفات التى كتبها غربيون عن الاسلام وترجمها بعض الباحثين :

الاسلام : كونت هنرى دى كاسترى ترجمة أحمد فتحى زغلول ١٠

العصبية الاسلامية : عبد الله كوليام رئيس المسلمين فى ليفريول بانجلترا مره محمد ضيا المصرى يحتوى على شهادات علماء أوربا واشتهر كتابها بفضل الدين الاسلامى فى نشر المدنية وارتقاء العمران ١٠

سر تقدم الانجليز : احمد فتحى زغلول ١٠

هذا وقد نشر السيد رشيد رضا مؤلفات هامة فصولا فى المنار :

أم القرى : عبد الرحمن الكواكبي ، المستقبل للإسلام : محمد توفيق
البكري ، الإسلام والنصرانية في العلم والمدنية : محمد عبده .

وقد أولى السيد رشيد رضا اهتماما خاصا بكتاب على أبو الفتوح
« خواطر في القضاء والاقتصاد والاجتماع » وبها مقال عن الشريعة
الإسلامية والقوانين الوضعية (م ١٨) قال المؤلف : يظن كثير من الناس
حتى من المسلمين أنفسهم أن المبادئ المقررة في الشريعة الغراء لا توافق
هذا الزمان الذي بلغ فيه الإنسان من المدنية والحضارة درجة رفيعة
ويتوهمون أن الأحكام والروابط التي في القوانين الحديثة الوضعية لا مقابل
لها في الأصول الإسلامية ولكن الباحث في الفقه الإسلامي ولو قليلا لا يلبث
أن يغير هذا الظن ويتحقق من أن أسلافنا بلغوا من الرفاهية وتقرير
المبادئ العمرانية والاجتماعية والقضائية شأوا قلما يجاريهم فيه أحد إلا
أن صعوبة كتب المتأخرين وطريقة تأليفها والتواء أساليبها وتعقيد عباراتها
قد أوصد الباب . وقال : أشير على من يسلك هذا الطريق أن يقصد
المؤلفات القديمة لأنها أسهل موردا وأغزر مادة مع خلوها من التعقيد
وتنزهها عن المشافعات اللفظية ويترك هذه الكتب الحديثة للمنقطعين
لفهمها دون ملل ، وأشار إلى كتاب الخراج لأبي يوسف فقال : عثرت
في هذا الكتاب على درر كثيرة عمدت إلى نظمها في هذه المقالة ... الخ .

كذلك فقد أولى السيد رشيد رضا اهتماما خاصا بكتاب تطبيق الديانة
الإسلامية على النواميس المدنية لفريد وجدي وقال أن فريد وجدي على
طريقة الأستاذ الإمام وقال : من الأسف أن أكثر التصانيف الإسلامية
في القرون الأخيرة أو كلها مأخوذة من كتب المتقدمين نسخا يشبه المسخ
وأنه لم يكن يوجد عندنا كتاب في الدين إذا عرض على متمدن هذا العصر
يأخذ من قلوبهم مأخذا يستلغتهم إلى النظر إلى الدين يتبلله سائقا لهم
أنى سعادة الروح والجسد على الوجه الذي يناسب زمانهم وعمرانهم
حتى قام حكيم المسلمين في هذا العصر العلامة الشيخ محمد عبده والف
رسالة التوحيد الشهيرة وأما الآن كتاب تطبيق الديانة الإسلامية على
نواميس المدنية مؤلفه الشاب الذي فاق الشيوخ أناة وكمالا مملأ بعلمه

محمد فريد أفندى وجدى بين أن الدين ناموس عام ضرورى فى الكون كسائر
نواميسه وبين أن العلوم الطبيعية خدمت الاسلام وانها كلها ترقى وزاد
الناس رسوخا فيها زادوا قريبا من الاسلام وكشف عن براءة الاسلام
من الحقد الدينى المعبر عنه بالتمصّب والاسترقاق وأن الاسلام راعى
ناموس الحضارة والدين الوحيد الذى راعى حقوق الروح والجسد معا
وكفى الكتاب شرفا أننا جعلناه ثانيا لكتاب رسالة التوحيد الذى لم يؤلف
مثلا فى الاسلام وقد جرى المؤلف على آثار الاستاذ فى الرسالة أسلوبا
وبحثا .

وأشار الى ديوان الشوقيات الذى اصدره أحمد شوقى أمير الشعراء
فقال : ان للشوقيات أبواب يدخل فيها أنواع القول وفنونه وضروبه
وشجونه من آداب وأخلاق وحكم وأمثال وفزل ونسيب ومديح وثناء ،
وحاشاها من الذم فقد ضربت آداب شوقى بينه وبين الهجو بسور لا باب له
يفتح ولا يخرق ولا يتسلق أما حكمه ومواعظه فصوادع ، وأما أسلوبه
فحلو رائع ، وأما قديمه فقد أحله محله وارتقى به الى مكانة تليق به ،
فجعلته مقصور على أمراء مصر (اسماعيل وتوفيق وعباس) وأما الرثاء
فلم يتجاوز الأمراء الا الى بعض العلماء والكبراء ولا تسئل عن سائر الشجون
وما فيها من الفن والفنون (م ٥٦٦/٢) .

الفصل السادس

وفيات الأعيان وكتاب المنار

كان للمنار موقف واضح من الشخصيات البارزة في العالم الاسلامى كله سواء اكانوا من انصار حركة الاصلاح ام من أعدائها ولم يفتها ان تذكرهم في مناسبات الاحداث وأن تنعاهم في حال الوفاة وكان موقفها معتدلا كريما الا مع قلة قليلة من خصوم الأستاذ الامام في الأزهر أمثال الشيخ محمد بخيت والشيخ عفيقى وكان لها معارك ومساجلات وخلافات واضحة مع عبد العزيز جاويش وفريد وجدى وقد عرضنا أسماء من رثتهم المنار على مدار السنوات أمثال نعمان الألوسى وحسن الطويل ومحمد بريم والسنوسى ، كما أولت المنار تقديرها لكتابها أمثال رفيق العظم ومحمد توفيق صدقى وجمال القاسمى والكواكبي .

وكان المنار حفيا بتلاميذ الأستاذ الامام حتى ولو اختلف منهم كما فعل مع سعد زغلول حيث قال عنه (م ٢٢) : الا أنه ينقصه من صفات الزعماء السياسيين — كما يقولون — ما يسمونه المرونة السياسية وهى تشمل سعة الصدر والحلم والمواراة والتمويه والخداع وان شئنا قلنا والبراعة والكذب الذى يحتل التأويلات الكثيرة والتعلق والبراعة فى الاستمالة والتزلف عند الحاجة ، وقد زادوا فى هذه الأيام نعتة أنه مستبد لا يخضع للشورى فهو يعمل باسم الوفد ما يراه وان خالف قرار الاكثرين وهذا خلاف ما يعرف فيه ويعهد فيه . .

كذلك فهو يتحدث من حسن الطويل (م ٢) أنه أحد أركان النهضة العلمية الأدبية فى مصر وتلاميذه هم تلاميذ السيد جمال الدين الافغانى كان يصرح بانتقاد الحكام فى السياسة وانتقاد شأن الناس فى عاداتهم التى أضرت بدينهم ودنياهم لاسيما الغلو بتعظيم القبور وطلب الحوائج من الأموات .

وأشار الى ان الكواكبى فى كتابه « أم القرى » قد أشار لاسمه برمز « الرحالة ك » ليحكم الناس على القول بذاته ولذاته فاذا الذين يعرفون شخص الأستاذ الهام السيد الشيخ عبد الرحمن الكواكبى الحلبى وفضلهم فيقولون أجدر بهذا الكتاب أن يكون له ، أما الذين لا يعرفونه فليحفظوا هذا الاسم الذى يطابق الرمز الى أن يجرى يوم يستدل فيه هذا الرحالة التصريح بالتلميح ، وأشار فى (مجلد ٤) الى بعض كلام فى كتاب أم القرى من الدولة العلية فقال انه يؤلم أكثر الناس ولا ينبغي أن يعرفه الا الخواص .

ولا ريب أن معظم اعلام المنار على امتداد حياته كلها هو الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية ، وقد أشار فى غير موضعه الى أسلوبه فى التعليم ودعوته الى ايقاظ أهل الأزهر الشريف وارشادهم بطريقة التعليم المثلثى فلقى فى ذلك من العناء ما كان يلقاه المصلحون من قبله ، وعلم أن الارشاد بالقول قليل الجدوى فصار يقرأ الدروس بنفسه وفى ليلة الاربعاء أتم كتاب البصائر النصيرية فى علم المنطق وقد احتفل بتمامه فى الرواق العباسى وأشار الى اهتمامه باختبار الكتب وانه لضعف العلم فى القرون الأخيرة صار العلماء لا يقرعون الا كتب المتأخرين والنسب كتبت على الشروح والحواشى المملأى بالمنازعات والمحاورات ولا يكاد يتجرأ عالم على قراءة كتاب من كتب الجهابذة المتقدمين التى لم تشرح ولم يعلق عليها الحواشى فعملنا الأستاذ كيف نختار الكتب النافعة وعلق عليها شرحا يبين غوامضها وأصلح ما عساه يوجد من الخطأ ، علمنا كيف نهتم بالحقائق للوصول الى اليقين بالعلم ليخرجنا من الحيرة الى طريقة التعليم المألوفة لهذا العهد : طريقة الاحتمال وسرد الأقوال وقد فند كلام أنفلاطون وأصلح رأى أرسطو فى الماهيات وكان من آيات شجاعته هى رفع القيد الذى هو التقليد الأعمى ووضع الميزان الصحيح الذى لا ينبغي أن يقر رأى ولا فكر الا بعد ما يوزن به ويظهر رجاحته وبهذا يكون الانسان حرا خالسا من رق الاغيار عبدا للحق وحده ، وهذه هى طريقة معرفة الشيء بدليله وبرهانه ما جنينا من علم المنطق ، وانما هى طريقة القرآن الكريم الذى ما قرر شيئا الا واستدل عليه وأرشد متبعه الى الاستدلال انما المنطق

ان يضبط الاستدلال كما أن النحو له لضبط الألفاظ في الاعراب والبناء .
ويتحدث السيد رشيد رضا عن مدرسة الشام السلفية بمناسبة وفاة العلامة محمد جمال الدين القاسمي (م ١٩١٣/١٧) ويشير الى أن مدرسة الشام السلفية قوامها عبد الرازق البيطار ، مجدد مذهب السلف في الشام ، وطاهر الجزائري ، وسليم النجار ، ورفيق العظم ، وكرد علي ، وقد جاء مصر مع البيطار في عهد الامام وقد مضى القاسمي في الدعوة الى الإصلاح المدني لحاجتها الى الإصلاح الديني وتصدى له التقليديون وأخذوا يكيدون له .

ومن أولى المنار اهتمامه بهم زعماء الإصلاح في الهند الاسلامية : وفي مقدمتهم شبلى نعماني وشوكت علي : يقول في رثاء شوكت علي (م ١٩٠٧/٣١) انه تربى وتعلم في البلاد الانجليزية وتخرج في مدرسة أفسفورد الجامعة وعاد الى الهند متفرنجا في زيه وهيئته واكله وشربه واثاث داره ولقاء زواره وكان يظن أن هذا يقربه الى الانجليز الحاكمين في بلاده زلفى ويزيده عندهم ودا ولكنه لم يزد الا امتهانا منهم فاستيقظ من رقدته وتنبه من غفلته وعاد الى شارات قومه وشعائره ملته فاضطروا الى احترامه ومراعاة كرامته ، ودما الى الاعتصام بكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ودما الى التربية الدينية الاسلامية وتحذيره النابتة الجديدة من تقليد الافرننج في أزيائهم وعاداتهم وتقاليدهم واقناع الشبان المفتونين بهذه المظاهر لضررها القومي والسياسي .

كذلك فقد أولت المنار اهتماما لتراجم عدد من أعلام الاسلام : الشافعي ، المعري ، الغزالي ، شاه العجم ، ونشرت شعرا لمصطفى صادق الرافعي ، وعبد المحسن الكاظمي ، ومحمود سامي البارودي ، وشوشي ، وحافظ إبراهيم ، وأحمد محرم .

الفصل السابع

المجلات والصحف

- ١١ -

منذ أن ظهرت المنار (وبالرغم من أنها مجلة شهرية) فقد كان لها شخصيتها وموقفها من مختلف الصحف اليومية الكبرى لرسالتها ذات الطابع الاسلامى المتميز ، وكان لها مع ذلك موقفها القائم على التقدير البالغ لجريدة المؤيد فهي دائما تتابع موضوعاتها وتعددها أصدق الصحف وتعتبرها من أسلحة الاسلام ، وكانت المؤيد قد صدرت قبل المنار بسنوات وتحمل طابع الصحافة الاسلامية اليومية وان كانت على ولاء كامل لخديو مصر والمعروف أن جريدة المؤيد انشئت بعد أن ظهرت جريدة المقطم مؤيدة للنفوذ البريطانى بينما كانت جريدة الاهرام مؤيدة للنفوذ الفرنسى ، وقد اشار المنار الى الصحف الاسلامية القائمة وخاصة الى مجلة ثمرات الفنون التى كان يصدرها عبد القادر القبانى فى دمشق (وكان ذلك بمناسبة مرور ٢٥ عاما على تأسيسها) المجلد الاول من المنار .

كما أشارت لصدور مجلة الحياة (فريد وجدى) عام ١٨٩٩ بعد المنار بعام واحد وقد أشارت الى المؤيد (م ٢) فقالت انها كبرى الجرائد العربية دخلت فى السنة الحادية عشرة وهى ثمانية على منهاجها فى خدمة الدولة العليا فى مصر على ما تحب وترضى والمدافعة عن حقوق مصر والمصريين التى هضبتها الدولة المحتلة على وجه نالت به ثقة السواد الأعظم من الأمة ، ولقى صاحبها فى بداية ما يندر أن يثبت معه شرقى على عمل فكانت له العاقبة فصدق عن قول صاحب الحكم (من لا يكون له بداية محرقة لا تكون له نهاية مثمرة) وقد سمي العشر الاول من عمر جريدته طور الطفولة وفى هذا من الهضم لنفسه ولعمله الناجح ما كان ينبغى . أن يكون أسوة للذين يوعوا جرائدهم وهى أجنبية مقاعد الشيخوخة .

— ٢٨٧ —

— ٣ —

ولما ظهرت جريدة اللواء ظهر خلاف كبير بينها وبين المنار نتيجة لاختلاف الوجهة بين حزب الاصلاح الاسلامى وبين الحزب الوطنى الذى كان بزعامه مصطفى كامل مواليا للخديو معاديا للاحتلال البريطانى بينما كان حزب الاصلاح بزعامه الشيخ المفتى معاديا للخديو مواليا للاحتلال يقول رشيد رضا :

صاحبها سعادتلو مصطفى كامل بك ظهرت فى غرة رمضان المبارك اصفر والطف من سائر الجرائد اليومية حجما واقل ثمنا ، ولا تعلم ماذا يكون من امر هذه الجريدة ولكن نظن انها اما أن تتلو تلو غيرها اما أن لا تروج اما مواضيعها فهى فائقة عن ذلك الرجل الكبير اللهج بالوطن وحب الوطن وخدمة الوطن ، وقد ضم الى هذه الكلمات أخيرا ذكر الاسلام والدين اما الاسلام والدين فلا ينتظر من هذه الجريدة كلام مهما يفيد الأمة الا بتتبع ما يذكر منها من الجرائد الامرنجية .

وقال : انتقدنا عليها أمرا ذا بال هو الارجاف بأن بعض الناس فى مصر يسعون فى اقامة خلافة عربية كان الخلافة من الهنات الهينات تنال بسمى جماعة أو جماعات ولا يمكن احتقار مقام الخلافة الأعلى بالكبر من هذا الارجاف فان مقام الخلافة أسمى من أن يتناول اليه أحد وقد سلم السواد الأعظم من المسلمين زمامه لبنى عثمان سلميا والرابطة بين الترك والعرب هى كما قال كمال بك الكاتب الشهير موثقة بالأخوة الاسلامية والخلافة العثمانية فان كان أحد يقدر على حلها فهو الله تعالى وان كان أحد يفكر فى ذلك فهو الشيطان ويعلم كل خبر بحال هذا الزمن أنه لا يرجف بالخلافة فيه الا رجلان : رجل اتخذ الارجاف حرفة للتعيش واكل السحت او التحلى بالوسامات والألقاب الضخمة ورجل اتخذ الأجناب لخداع بسطاء المسلمين بايهاهم ان منصب الخلافة ضعيف متزعزع يمكن لأى أمير أن يناله ولاية جمعية أن ترحضه عن مكانه ليزيلوا هيئته من القلوب ويقتنعوا نفوس العامة الاغرار بإمكان تحويله فى وقت من الأوقات وبأن المسلمين ليسوا راضين عن الخلافة العثمانية جميعا . وكان مصطفى كامل أنندى يوم ألف كتاب المسألة الشرقية ينسب هذا الطمع الأشعبي

— ٢٨٨ —

للانجليز واليوم ترى مصطفى كامل بك يلقي القول فيه على عواهنه في خطبه وجريدته ويدع نفوس البسطاء تذهب اليه كل مذهب (م ٢) .

وفي موضع آخر يتحدث عن المنار الاسلامي واللواء الوطني فيقول :
بينهما تضاد فيما يسمونه المبدأ فالمنار يدعو الى الاصلاح الاسلامي ويثبت ان المسلمين لا يلقونه الا بترك البدع ورجوعهم في الدين الى ما كان عليه السلف وباخذهم بوسائل القوة والمخنية العصرية في امر الدنيا .

وجريدة اللواء لا رأى لها في الدين والاسلام . ولكن لها وطنية عمياء من معناها انه يجب على كل مصرى أن يتعصب على كل من يقيم في مصر من غير أهلها وان كان مسلما وعلى كل مصرى مسلم أن يتعصب على كل مصرى ليس بمسلم وهذا ما ينقضه المنار .

ويقول في موضع آخر : كان صاحب جريدتي اللواء والعالم الاسلامي (يقصد مصطفى كامل) على غروره بنفسه يشعر بأن جريدته لا قيمة لها فهو يخترع الرسائل ويدعى أنها جاءت من الهند وجاوة الآستانة وغيرها من البلاد ثم يتبجح ويفتخر بذلك ويدعى أن جريدته موضع ثقة الأمم والشعوب الاسلامية في العالم الاسلامي ولعلك لا تجد شيئا من هذا التبجح في جريدة أخرى الا ما يسمونه بالجرائد الساقطة (م ٨) .

— ٢٩ —

ويواجه المنار حملة جريدة الوطن القبطية التي هاجمت مشروع احياء الآداب العربية فيقول : عزمت الحكومة المصرية على طبع بعض الآثار العربية من المصنفات النافعة النادرة بالمال الخاص بدار الكتب المصرية وكان لديها في الميزانية ألف جنيه لتنشيط الآداب العربية ولا ريب أن المال الذي خصصته قليل فهي تنفق أكثر منه في ضيافة أحد ضيوف الأمير يوما واحدا وتنفق أكثر منه في مساعدة التمثيل الا فرنجي الذي يرى جمهور الأمة أن اثمه أكبر من نفعه . ولم يكن يخطر في البال أن يلقي هذا المشروع اقتراضا حتى سمعنا نعايب صاحب جريدة الوطن القبطية يدعو بالويل والثبور وينعى على الحكومة المصرية عملها ويندب الشعب المصري مدعيا أن الحكومة تريد بهذا العمل افساد آدابه ومنعه من العلوم والمعارف

الصحيحة التي ترقيه وتجعله من الشعوب العزيزة الراقية وزجه في ظلمات
الخرافات والسفاهات والسخافات والجهالات العربية ويزعم أنه لا يوجد
في الكتب الغربية غير تلك المضار التي استترغ كل ما في جوفه وجعله
وصفا لها وكل اثناء ينضح بما فيه لم يكف الكاتب بتحقيق جميع العرب
والقدح في كل ما كتبوا ووضعوا حتى خرج يذم دينهم وليست علة صاحب
الوطن هي الجهل فنداوبها بما ذكرنا من العلم الصحيح فان الجهل وحده
لا يستطيع أن يهبط به الى هذه الدركة من الخذلان وانما علتة هي الغلو
في التعصب القبطي وكراهة كل شيء ينفع الاسلام والمسلمين وان نفع غيرهم
ولم يضرهم (م ١٣/٩٠٨) .

ولا يتوقف المنار عند هذا الحد فهو منافع عن مفهوم الاسلام
ازاء اى صحيفة او كاتب ومن ذلك موقفه من لطفي السيد (م ٧/٣٩٩)
يقول : يكتب صاحب الجريدة بحسب هواه ويضحك على الناس غاشا
اياهم بانهم يخدمهم ولا عجب اذا راجت على الثقاتين دعواه . من اطراء
الامراء الحاكمين من الخدمة الوطنية ولكن العجب العجيب رواج دعواهم
خدمة للدين الذي هم به جاهلون وعن صراطه ناكبون . وقد ملا الاتفاق هذه
الايام صياح بعض الجرائد التي تسمى نفسها اسلامية من الشكوى
من صاحب المؤيد والنيل من عرضه والطنع به والتحريض على ترك جريدته
الانه عقد عقدا شرعيا قابلا للفسخ بطلب الولي على عدم اثبات كفاءته ،
اذا كانوا يغارون على الدين كما يزعموا فلماذا لا يتعلمون عقائده واحكامه .
ولماذا يمدحون الاعمال المجمع على تحريمها وكفر مستحلها كالمرقص الذي
يكون في قصر الأمير بين النساء والرجال مع الدعوة الى شرب الخمر جهارا
وما قام به زعيمهم صاحب جريدة اللواء يندد بعمل محافظ مصر السابق
عندما اراد التشديد على النساء المتهتكات في الشوارع والأسواق وتبعه كثير
من الجرائد .

ولكن السيد رشيد رضا بالرغم من حملته على اللواء ومصطفى كامل
فانه عندما توفي رثاه في تقدير شديد (م ١١/٦٠) فقال :

اندى الصحفيين المصريين صوتا وأبعدهم في عالم السياسة الحقيقية
واشدهم في دهاء بلده تائرا واكبرهم ولما ونصيرا . قضى من أربعة وثلاثين

— ٢٩ —

ربيعاً قضى نصفها في السياسة ونصف هذا النصف في الصحافة بإذلا مما أخذ فيه جميع أوقاته وممرغاً فيه منتهى وجدانه وشعوره . وقد أعجب في اللواء جمهور القارئ ثم تحزبت له نابتة كبرة من المتعلمين بل عشقته بعض طلاب الحقوق عشقا وملك قلوبهم ملكا فظهر أثر تحزبها في تثنييع جنازته بظهر غريب ما رأى مثله من نسيب أو قريب . كان مصطفى كامل هو المجلى في هذا الطور من أطوار التجلى ثم صار داعية النابتة الى هذه الوطنية وهاديا أو ساقيا وجاريا ، رايت الدعوة موجهة الى جعل الوطنية جنسية للمسلمين فائكرتها في المنار بالبرهاني المثين . واكثرت من الكتابة فيها حتى في تفسير القرآن . وانتقدت عليه الارجاف بمسألة الخلافة العربية اذ كان كتب ان في مصر من يسعى لها سعيها وبيئت له وجه الضرر في ذلك الارجاف فكبر عليه وقطع المبادلة الصحفية ، وألقى علينا بغد ذلك كثيرا لما كان عليه عفا الله عنه من الشدة على من خلفه ولو مهضوما ونصر من واقعه ظالما كان أو مظلوما وكان الاولى من أسباب انتشار اللواء كالمبالغة في ثم المحطين وانتقاد الحكومة ومدح الامة وتحامى الانتقاد عليها والتثويه بالاستقلال والتعجل بطلب محور الاحتمال . (م ١١/٦٠) ومن مواقفه خطبة مصطفى كامل في تمجيد محمد جلبي بعد انتقد المنار أعماله (م ٢٣٢/٥) .

— ٣ —

وكان خلاف المنار مع جريدة السياسة قائما على الخلاف في وجهة النظر الاجتماعية وفي موقف السياسة من التغريب وتأييدها أفكار الغزو وضمها مجموعة المعارضين للفكرة الإسلامية أمثال طه حسين وعلى عبد الرازق ومحمود عزمى وحريهم الشديدة الدائمة للإسلام . يقول صاحب المنار : « ان بين المنار والسياسة خلافا أهم مما كان بين حزبها وحزب الوفد المصري وهو ان المنار داعية الدين الاسلامي والمدافع عنه والسياسة تقوم بدعاية الحادية تريد أن تنسخ بها هداية الاسلام وتقطع الرابطين الاسلامية والعربية بما تعبر عنه بالثقافة المصرية والتمدين وما كتب عن مسائل شخصية مختلفة كزعمها ان صاحب المنار ليس له دين ولا عقيدة ولا مذهب فتبارة يكون مسلما سنييا أو شيعيا أو وهابيا وتارة بوذيا أو يوهابيا وتارة ملحدا وما أشبه ذلك ، والعمل جريدة السياسة تريد

- ٢٩١ -

أن تستدرجنا بهذا الى منازلها في هذا الميدان الذي تعلم علم اليقين اننا لسنا من فرسانه وان جميع فرسانه المهزومين يهزمون امامها فيه ، ان الجرائد البذيئة في هذا العصر ، قد بذت الشعراء الهجائيين في العصور الخالية فيجب الاعراض عنها ، لابد للأحزاب من جرائد تنشر دعوتها وتحمي حماها ، ولو بالطمع الشخصي في خصومها كما كانت القبائل تختار لها شامزا هجاء يدافع عنها اذا هجيت يلقب بسفيه القوم وكان خصوم القبيلة يهجونها في حملتها دون سفيهاها ولو كانت السياسة ترد على ما ننشره من تفنيد بعض نشرياتها الالحادية عملا بحرية الرأي والنشر التي تدافع به عن الكتب الالحادية ككتب على عبد الرازق وطه حسين وتعترف لنا بمثل هذه الخرية ... » .

ويشير السيد رشيد رضا في عنوان : « لابد من قتل صاحب المنار » الى ما بلغه من الدكتور هيكل (لسان حال الحزب الحر الدستوري وحزب الملاحدة) قد قرر لمعوسيه محرري جريدة السياسة لأنه لابد من قتل صاحب المنار وقد وافقوه وهم يعنون بهذا القتل أن يكون بأسنة أعلامهم الطماعة ، القتل المعنوي أو الأدبي ، اتهمته جريدة السياسة من قبل أنه يعمل مع جمعية سرية دينية سياسية باغراء الأمير عباس حلمي الخديو السابق ، وكذبت الحكومة هذه التهمة ، وكان ذنب صاحب المنار لدى جريدة السياسة انكاره علامتها المحقق على عبد الرازق الذي أنكر التشريع الاسلامي من أساسه يضاعف ذنوب صاحب المنار من هذا النوع فهو بالمرصاد لجميع أنواع الدعاية الالحادية التي تبثها جريدة السياسة باسم التجديد والثقافة المعاصرة التي تزعم أن مختبر بدعائيتها وبعناية مدرسة الجامعة المصرية ستنتسخ بها ثقافة الاسلام التي مصدرها الأزهر وغيره وتحل محلها وتتبعها في ذلك سائر العرب بزعمها ، يقولون اننا قتلناه نصف قتلة بما كتبناه في مسألة مؤتمر الخلافة كما قتلنا الأزهر نفسه وهو الآن مثخن جراحا وسنقضي عليه ببضع مقالات أخرى ، وما قتلوا ولن يقتلوا الا حزبهم وأنفسهم وسنقضي بحول الله وقوته على أباطيلهم (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ماذا هو زاهق) . (أبريل ١٩٢٧) .

وكان للمنار موقفه أيضا مع مجلة الحديث الحلبية وصاحبها سامي الكيالي في مواقفه التغريبية (م ٢٨) يسوؤنا أن هذه المجلات أضرم على

٢٩٢ -

الأمة من بعض الجرائد السياسية التي تخدم الأجانب الغزاة باستعبادها واستعمار بلادها وتمهد لهم السبيل لذلك ، وانها تعمل على تقطيع الروابط التي توحد جمعها وتجمع كلمتها من دين ولغة وأدب وتشريع وهو ما نعبر عنه بمقوماتها ومن عادات وأزياء وهو ما نعبر عنه بمشخصاتها ، ذلك مثل بعض محرري جريدة السياسة أو مجلة الهلال بمصر (كسلامة موسى وطه حسين ومحمود عزمي) المنتحلين لأنفسهم صفة تجديد الثقافة ، واننا نرى مجلة الحديث السورية معجبة بهؤلاء منوهة بأرائهم مننية عليهم . فان كان محررها غير مقلد لهؤلاء فلماذا لا يفتا ينوه بهم بما يغري قراء مجلته باتباع خطتهم وهو ما يسمونه الثقافة الجديدة التي يحكمونها في كل ما اشرنا اليه من مقومات الأمة ومشخصاتها وبذلك كانوا دعاة هدم وانسداد فيها ، هم عاقون لامتهم هادمون لهدايتهم وتشريعهم وادابها بل ساعون لابتلاع الافرنج لها ومنهم المستخدمون لذلك وهم يوهمون الناس في هذه الايام أنهم مبدعو هذه الدعوة في بلادهم وليس كذلك بل ابتدعها في مصر الخديو اسماعيل اغترارا بزينتها وشهواتها فهو أول من اراد ان يجعل مصر أوربية وله في ذلك كلمة مشهورة فكان أول عثرة منها خباها فقد ملكه ، اما جده محمد علي فانما اخذ عن أوروبا اسباب الثروة في صناعة وزراعة واسباب القوة ، وهو الواجب على كل شعب شرقي يملك امريقية دون تقليد القردة في الآراء والزينة والعادات وحرية الفسق والفجور والكفر التي يدعو اليها منتحلو الثقافة الجديدة » .

٣١ -

وكان للسيد رشيد رضا موقفه من جمعية الرابطة الشرقية ومجلتها (م ٢٩ / ٦١٩) فقد أخذ عليها وجهتها التفريعية من أول عدد منها حيث صدرت بإشراف على عبد الرازق وتنويعها بكتابات طه حسين وسلامة موسى قال : صدر العدد الأول فاذا هي مجلة لا دينية تؤيد ما يسميه ملاحدة العصر بالتجديد اللاديني وتحرير المرأة المسلمة وتدافع عن الترك والفرس والافغان فيما يحاولونه من تجديد بهدم الاسلام على احتراس قلبيل في التعبير ، هو اقرب الى الدفاع عن مصطفى كمال وأمان الله خان منه الى الهجوم عليهما . واشار الى بحث طه حسين « انذى اشتهر بالطعن في الاسلام وتكذيب القرآن » وخلاصة بحثه الجهلى السخيف في ضمير الغائب واستعمال اسم الاشارة في القرآن الكريم واشار الى بحث سلامة

- ٢٩٣ -

موسى « عدو الرابطة الشرقية من وطنية وجنسية ولغوية وداعية الكفر والوقاحة والتهتك للذين يعبر عنها بالأدب المكشوف » وكذلك الدكتور هيكل داعية الثقافة الأوروبية وتنويه مجلة الرابطة بالحاد الكهاليين وخداع طه حسين للأزهريين بترك الدنيا للهلحين ودعاية سلامة موسى الى الاتحاد وهمد الاسلام .

- ٤ -

ومن اخطر معاركه في هذا المجال معركته مع مجلة الأزهر التي أصدرها الأزهر ١٩٣٠ ومن أبرز ما أخذه عليها معارضته لكتابات الشيخ يوسف الدجوى « نفى مكتوباته ما يدعو الى العجب في مخالفة اجماع السلف الصالح في الاتباع وتأييد الحلف الطامح في الابتداع وأقرار ما أسند على الخرافيين دينهم وآدابهم من عبادة القبور بالدعاء والاستعانة والتضرع والنذور لها واللواف بها كالكمبة واستقلال ركناها وتقبيلها كالحجر الأسود » . وأخذ على مجلة الأزهر سكوتها عن امور المسلمين في بعض البلاد الاسلامية ، وقد توقفت عنه المجلة بحجة أنه من أعمال السياسة وهي مجلة دينية رسمية ، واقترح عليها امرين : أحدهما الدفاع عن الاسلام والمسلمين بصد كل من يهاجمها في هذا العصر بالحجة والارشاد الى العمل الذى يكشف الغمة ويجمع الكلمة والثانى الدقة في اختيار كل ما ينشر في المجلة من الأحاديث والآثار اذ أن أكثر علماء الأزهر ينقلون الأحاديث من كتبهم دون الرجوع في تخريجها الى دواوين السنة المعتمدة حتى اشتهروا باهمال علم السنة .

وقد دخل السيد رشيد رضا في مساجلات واسعة مع الأستاذ « الخضر حسين » رئيس تحرير المجلة وكتب نصوصا مطولة عن نفسه وعن المنار جمعها بعد في كتاب تحت عنوان « المنار والأزهر » .

- ٥ -

وقد أشار السيد رشيد رضا الى أنه وضع نموذجا لمجلة الأزهر قبل صدورها على هذا النحو : (هذا النموذج ما زال يحتذى ويمكن الانتفاع به الى اليوم) .

الباب الأول : مقالات دينية وعلمية وتاريخية وخطابية ، الغرض منها

بيان حقيقة الاسلام واحكامه واصلاح لشئون البشر الشخصية والقومية ،
والوطنية والسياسية ورفع مستوى الانسان وتوحيد مقومات الأمم وبيان
حاجة البشر الى اصلاحه في كل زمان ومكان ولأسيما في هذا الزمان الذي
طلعت فيه الأخطار المادية على الأمم فأفسدت آدابها وعلى الدول فحصرت
كل منها هما في الاستعداد للوثوب على التي تأنس فيها الضعف .

الباب الثاني : الفتاوى العامة : فيما يتعلق بالاسلام وآدابه واحكامه
وتشريعه وسياسته .

الباب الثالث : كشف الشبهات وحل عقند المشكلات التي تعرض
بطلاب العلوم وغيرهم بالاطلاع على كتب العلوم والفلسفة والأديان المختلفة
وما يورده الملاحدة الماديون ودعاة النصرانية وغيرها من الطعن في الاسلام ،
ومقاومة تيار الاتحاد الذي انتشر .

الباب الرابع : باب البدع والخرافات وانتقاد الضار من العادات
ويسمى باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعتمد فيه على كتاب المثل
والنحل والاعتصام .

الباب الخامس : باب التربية والتعلم : التربية الدينية والجسمية
والعقلية والنفسية :

العقلية : تربية ملكة الاستقلال في الفهم وجرية البحث .

النفسية : تهذيب الأخلاق وتربية ملكات الفضائل وتربية الإرادة
التي عليها المذار الأعظم في النهوض بالأعمال وتربية الخصال بالأساليب
المصورة للمعاني الخطابية والشعرية ومواضع التربية فأولها النبوت
ثم المدارس فالجميعيات .

الباب السادس : آداب اللغة العربية وتاريخها .

الباب السابع : الاقتباس والانتقاد وتقريظ الصحف والكتب والمجلات
(وما ينشر في الصحف الغربية من مباحث هامة والرد على المباحث الباطلة)

والقاعدة هي الاجتهاد فيها ليس فيه نص قطعي من وحي ربهم
ولا سنة ماضية من سنن نبيهم بشروطه المعروفة في مجلها فان الاجتهاد
مع وجود النص متنوع في الشروع وفي القوانين الوضعية جميعا .

الفصل الثامن

الجمعيات الإسلامية

كان متعدد انشاء الجمعيات الإسلامية من اكبر اهداف حركة الإصلاح باعتبارها المندلق الحقيقي لتوجيه النفوس الى فهم الاسلام فهما صحيحا ، ولذلك دعت المنار منذ اليوم الاول الى انشاء الجمعيات الإسلامية وعقدت فصولا مدلوقة عن الجمعيات الدينية في الشرق وأشار الى الجمعية الخلدونية في تونس والى جمعية شمس الاسلام والجمعية الخيرية الإسلامية في مصر ، والى ندوة العلماء في الهند بوصفها منطلقات جديدة في مواجهة جمعيات الشهاب المسححة التي نشمها التبشير في أغلب بلاد الشرق ، وقد انتشر المنار في تقديره بالغ الى نشوء ثلاث جمعيات في القاهرة هى جمعية مكارم الاسلام وجمعية التعليم الإسلامى وجمعية النهضة الأدبية ، وقال ان بعضها انشأ مدارس جعل التربية والتعليم فيهما على منهج الدين وسننه التوفيم فيها انشأت مدرسة أخرى لتعليم البنات .

وقال : انه يسر كل مسلم وكل انسان يحب الفضائل ويرقى ابناء نوعه ما تقوم به جمعية شمس الاسلام وجمعية مكارم الاخلاق من النهوض والانتشار وبرزت أسماء محمد نور مؤسس المدرسة التحضيرية وتلاميذها ثلاثمائة ونيف وقد جعل التربية والتعليم على منهاج الدين وسننه القويمة مع عدم الاخلال بمناهج المدارس الأميرية ، وقد ساء هذا النجاح الباهر اعداء الاسلام من المارقين والحكام فحاولوا اطفاء نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . واشاع اصحاب الجرائد الضالة أن الجمعية لا ترضى الحضرة السلطانية وما قيل كذب ، اما جمعية مكارم الاخلاق فقد كان راعيها الأستاذ زكى سند مشعلا متوقدا وكذلك اشاروا الى على ابو النور الحربى وخطابه المؤثر في تهذيب الانسان وتربية الابناء .

انتهى القسم الاول عن (مجلة المنار)

القسم الثانى عن (مجلة الفتح) يصدر قريبا

آفاق البحث

صفحة	
٣	موسوعة تاريخ الصحافة الإسلامية
١٧	الباب الأول : العروة الوثقى
٢٩	الباب الثاني : مجلة المنار — محمد رشيد رضا
١٠٩	الباب الثالث : النهضة الإسلامية (حركة الإصلاح) كما صورها المنار
٢١٣	الباب الرابع : أحوال العالم الإسلامي
٢٤٩	الباب الخامس : ميادين العمل الصحفي الإسلامي

رقم الإيداع ٨٣/٣١٩٢

دار عظموه للطباعة

تاريخ الصحافة الإسلامية

بقلم أنور الجندي

كان للصحافة الإسلامية دورها الكبير في بناء النهضة الفكرية المعاصرة ، فقد حملت منذ وقت بعيد لواء الدفاع عن مفهوم الإسلام الأصيل والدعوة في العودة الى منابع والتمسك بمفهوم القرآن والسنة ، بداها جمال الدين ومحمد عبده بمجلة العروة الوثقى ، ثم جاء النسيد رشيد رضا في خلال خمس وثلاثين سنة من حياته وحياة المنار لتقديم منهاج أصيلا جاثما للعمل الصحفي الإسلامي وهو ما نقديه في هذا السفر .

وسيقدم المجلد القادم من مجلة الفتح للسيد محب الدين الخطيب التي امتدت عشرين عاما وسنواصل باذن الله دراسة المجالات الإسلامية الكبرى .

المنشأ